

د. خالد النجار

قطوف ولكن مرة



قطوف ولكن مرة

د. خالد النجار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أما بعد فهذه مجموعة من المقالات كتبها في فترة مديدة من العمر، رصدت فيها الأحداث مؤرخا ومعلقا ومحكما ومتوقعا ومستشرفا لآفاق المستقبل، ثم مرت على هذه الأحداث والمقالات سنوات عديدة وأزمنة مديدة، وكشفت لنا الأيام عن غرائب وعجائب فيما يخص هذه المقالات.. فبعضها تجلت رصانتها وأخرى كشفت عن سذاجتها بل وحمافتها والبعض الآخر لا له ولا عليه.

ولذلك عمدت إلى ترتيب هذه المقالات على هيئتها يوم كتبت بلا أي تعديل لأدلل على أن السياسة أمرها عسير، وليس لها تحليل منطقي راجح على الدوام، وأن ما يعرفه الكاتب عبر قنوات الإعلام إنما نذر يسير ضئيل جدا مما يدور في الكواليس، وأن عدو الأمة مكر وفاجر وخبيث ولا يتورع عن أي شيء، وأبرز ما فيه أن يجيد فن التلون بما يناسب المرحلة، فهو مع الإسلام يوم يسود، وضد الدين يوم تضعف شوكته وسطوته، وهو بارع في تمجيد القائد بغض النظر عن ميوله أو توجهه فهو في رضاه يسير كما يسير سيده القائد حتى لو بذل له عرضه وعلمه.

وأن من بديهيات السياسة أن من تملك القوة هو الذي يسود ويقود، وأن من سمى السياسة بـ «اللعبة القذرة» كان محقا إلى حد كبير

لكن الأحداث اللاحقة كاشفة، بل هي خير فاضح للمنافقين والوصوليين والبراجماتيين وغيرهم مما يظهر ما في قلبه مع قوارع الأيام ومرور الأحداث التي هي كفيلا أن تنزع كل رداء وتظهر عورات المرء وخباياه

والله يعلم ابتداء ما في قلوب

وإن كان هذا ينطلي على عموم الجماهير فلن ينطلي على الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى

والكل سيموت

{وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٠٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

العرب ظاهرة صوتية

في تصريحه الأخير على حسابه الشخصي بموقع التواصل الاجتماعي «تويتر» اتهم الفريق (ضاحي خلفان)، القائد العام لشرطة دبي، الإخوان المسلمين بالتآمر على قلب أنظمة الحكم بدول الخليج العربي، وقال ما نصه: «نعم، أنت لم تر شيئاً منهم، لكن المتقضي لاجتماعاتهم السرية يدرك أنهم يتآمرون على قلب أنظمة الحكم الخليجية لتكون رهينة للمرشد». ثم ما لبث أن استأسد خلفان وهدد باعتقال الشيخ القرضاوي على أثر استهجان فضيلته طرد مائة أسرة سورية من الإمارات لأنهم تظاهروا ضد جرائم بشار الأسد في سورية.

هذه التصريحات النارية للفريق خلفان أرجعها البعض من الهواجس والمخاوف المتزايدة لدى حكام الخليج من تسرب الثورات العربية إلى دول الخليج، ومما يؤكد هذا التحليل ما تسرب إعلامياً من أن الإمارات دعمت حملة ترشيح (عمر سليمان) رئيس المخابرات المصرية لمنصب الرئاسة بـ ٧٥ مليون دولار.

وكي لا يتهمنا أحد في تحليلاتنا بالتحيز لجماعة الإخوان المسلمين، ندع المواقف تتكلم فهي أبلغ في الإقناع وأقرب لحسم نقاط الخلاف .. حيث شاءت الأقدار أن يعقب هذا الموقف الهجومي للإمارات على لسان قائد شرطتها، زيارة رئيس إيران (أحمدي نجاد) لجزيرة أبو موسى الإماراتية المحتلة من قبل بلاده منذ عام ١٩٧١. ووصف الإعلام الإيراني زيارة أرفع مسئول إيراني للجزيرة منذ احتلالها في زمن الشاه محمد رضا بهلوي، بأنها أتت "ضمن جولة للرئيس في ساحل إيران المطل على الخليج". وزاد حسين أمير عبد اللهيان -مساعد وزير الخارجية- برفض الاحتجاجات الإماراتية على الزيارة، ووصفها بأنها "شأن داخلي إيراني".

وهنا اختفى صوت الفريق خلفان (رجل أمن وحراسة المؤسسات السياحية الإماراتية)، وأبان الموقف عن حجمه الطبيعي، وأنه ليس سوى جزء من المنظومة العربية الصوتية، في عالم لا يعترف بالضعفاء حتى وإن كانوا أثرياء، ولم تملك

الإمارات من أمرها شيئاً سوى الشجب والاستنكار على لسان وزير خارجيتها، ثم انتفضت بصولة كصولات الأسود واستدعت سفيرها (سيف الزعابي) من إيران للتشاور!! كما استدعت الإمارات السفير الإيراني لديها (محمد علي فياض) وسلمته مذكرة احتجاج على الزيارة!! وشاطر وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي الإمارات محنتها باستنكارهم الحاد من فوق كراسيهم الفخمة للزيارة، واعتبارها عملاً استفزازياً!!.

وهذا دفع صناع السياسة الإيرانية إلى إصدار بيان شديدة اللهجة يقرر أن سيادة إيران على الجزر الثلاث أمرٌ ثابت وغير مطروح للحوار والنقاش، وأن الحديث والاعتراض الخليجي على زيارة نجادي لجزيرة "أبي موسى" يعتبر تدخلاً في الشأن الإيراني الداخلي. وقال (رامين مهمان برست) الناطق باسم الخارجية الإيرانية: "إن انتساب الجزر الثلاث للتراب الإيراني أمر ثابت وغير مطروح للحوار".

فما كان من خلفان أن خرج عن صمته ليُضحك العالم منه، بعد أن أكد أن نشر قوات إيرانية في جزر الإمارات المحتلة هو دليل خوف إيران من الإمارات دون أدنى شك، وقال عبر تغريداته في موقع "تويتر": "لو كانت الإمارات تريد حرباً لأحرق كل أخضر ويابس على الجزر .. لكن نحن ميالون إلى الحلول السلمية مع كل جار"، مشيراً إلى أن الإمارات دولة قوية جداً!!.

وأوضح خلفان أن احتلال إيران للجزر الثلاث كان في وقت ليس للإمارات فيه جيش، وقال "نعم احتلتها قبيل ساعات من إعلان الدولة .. دولة ما عندها جيش، وقوة إيران آنذاك الخامسة على مستوى العالم، اليوم الوضع مختلف!!".

وأضاف: "الإمارات قوة جوية حق وحقيقة، وسلاح الجو الإماراتي ضارب". واستدل على أن قوة سلاح الجو تعني قوة الجيش بقوله: "يقول كلوب باشا في مذكراته: تفوق إسرائيل الجوي في جميع حروبها هو سبب انتصارها على الأمة العربية".

يشار إلى أن إيران استحوذت على جزء من جزيرة أبو موسى وفق تفاهم مع الشارقة لتقاسم السيادة رعته بريطانيا، لكنها بعد قيام الجمهورية الإسلامية ابتلعت

الجزيرة كلها، وأقامت فيها منشآت عسكرية وخيرت سكانها العرب بين الرحيل أو الجنسية الإيرانية. وفي الفترة ذاتها اجتاحت إيران جزيرتي طنب الكبرى والصغرى التابعيتين لرأس الخيمة، وانتزعتها عنوة منها.

ونظرا لأن طهران تعتبر أن الجزر الثلاث المتحكمة بمدخل الخليج العربي "أرض إيرانية خالصة" فإنها كررت رفضها كل دعوات الإمارات لإيجاد حل لقضية الجزر عبر التفاوض أو التحكيم الدولي.

ثم أين زئير الفريق خلفان من قضية اغتيال محمود المبحوح -أحد قيادي حركة حماس البارزين- التي لم تقدم فيها أجهزته الأمنية سوى كشفا تليفزيونيا عن القنلة وتصوير تحركاتهم، لكن أين هم؟ وما هي الجهود التي بذلت للقبض عليهم حتى الآن؟ .. لا شيء يذكر.

وأنظر مثلا للتصريحات الأخيرة لرئيس أركان الجيش اللبناني اللواء الركن (وليد سلمان): أن الجيش اللبناني على جهوزية تامة لمواجهة أي عدوان إسرائيلي!! هذا تعقيبا على تقارير إعلامية إسرائيلية أشارت إلى أن السلطات الأمنية الإسرائيلية هدّدت لبنان باستخدام القوة ضد المظاهرات المقرر إجراؤها على الحدود المشتركة في ذكرى في «يوم الأرض» في ٣٠ آذار (مارس).

بل الأعجب التأكيدات العنترية لخبير عسكري مصري: أن الحديث عن استهداف الكيان الصهيوني لشبه جزيرة سيناء لا يؤثر ولا يهز الجيش المصري، وأنه قادر على سحق أي عدو. وأشار إلى الخسائر الفادحة التي تكبدها جيش الاحتلال الصهيوني في غزة وجنوب لبنان، فكيف إذا واجهت جيش مصر وهو أقوى جيش في المنطقة!!.

ويكشف (ويكيليكس) عن محصلة مفادها أن الأنظمة العربية بشكلها الحالي، لا إستراتيجية واضحة لديها، بل هي تخدم إدامة السيطرة الأميركية على المنطقة فقط لا غير. في نفس الوقت تصر أمريكا على وصف التعاون العربي بوصف التابع وليس الحليف!!

إن الوضع العربي يدعو للشفقة، ولا يزيد على الظاهرة الصوتية، فكلمة العرب ليست مسموعة عالميا، لأنها بدون رصيد، بل لا يحسن العرب حتى توظيف أرصدتهم الشعبية والنفطية ولا معايرهم المائية ولا سائر ثرواتهم الطبيعية، في تفعيل دورهم الإقليمي والعالمي. هذا فضلا عن حاجتهم لتطبيع أوضاعهم الداخلية لتقوية الجبهة الوطنية.

لكنهم في نفس الوقت بارعون في الجدالات والتحليلات والاستنكارات، وأسود فقط على بني جلدتهم، مصداقا لقول الشاعر:

أسد علي وفي الحروب نعمة .. فتحاء (ناعمة) تطير من صفيير الصافر

بسم الله الرحمن الرحيم
القافلة العربية دوما تصل متأخرة

ماذا يحدث في سوريا تحديدا؟! .. أليس هذا نوعا من التهريج؟! .. لكنه تهريج «كالح» يبعث على البكاء لا الضحك، حيث قال الفريق أول السوداني (مصطفى الدابي)، رئيس بعثة مراقبي الجامعة العربية للتحقق من التزام السلطات السورية بمبادرة الجامعة، إن الوضع في مدينة حمص «يبعث على الاطمئنان»!! .. وأضاف: «كان الوضع في بعض المناطق المحددة غير جيد، ولكن لم يحصل أي شيء مخيف على الأقل عندما كنا هناك، فقد كانت الأوضاع هادئة ولم تحصل أي صدامات»، وقال: «لم نر أي دبابات، ولكننا رأينا عددا من العربات المصفحة»، ومضى للقول: «ولكن تذكروا أنه كان اليوم الأول من مهمتنا، وما زال الوضع بحاجة إلى المزيد من التحقيق. لدينا ٢٠ فردا سيمكثون في حمص لفترة طويلة».

وأورد موقع الجزيرة في تصريح أعجب من العجب عن الفريق الدابي، حيث قال: «إن أعضاء الوفد لم يروا شيئا مخيفا في مدينة حمص»!!.

هذا بالرغم أن التقارير الإخبارية أوردت أن ستة محتجين قتلوا عندما فتحت قوات الجيش السوري نيرانها لتفريق جمع كبير كان يحث المراقبين العرب على الإدلاء بآرائهم بصراحة.

وأظهرت أشرطة مصورة نشرت على الانترنت مشاهد لسكان حي بابا عمرو في حمص وهم يحيطون بالمراقبين ويشيرون إلى برك دماء على الأرض بينما كان الرصاص يمتطرهم. وحث المحتجون المراقبين على الإدلاء بآرائهم بصراحة أكبر، إذ صرخ احدهم: «أين العدالة؟ أين العرب؟».

وحسب موقع الجزيرة فإن مقيمين في منطقة بابا عمرو التي تفقدها الوفد قالوا إنهم يشعرون بأن المراقبين لا يستجيبون لشكاواهم.

وقال الناشط (عمر) وهو أحد المقيمين في بابا عمرو: «شعرت بأنهم لم يعترفوا حقاً بما رأوه، ربما لديهم أوامر بأن لا يظهروا تعاطفاً، لكن لم يكونوا متحمسين للاستماع إلى روايات الناس».

وأضاف: «شعرنا بأننا نصرخ في الفراغ. عقدنا أملنا على الجامعة العربية كلها، لكن هؤلاء المراقبين لا يفهمون فيما يبدو كيف يعمل النظام، ولا يبدو عليهم اهتمام بالمعاناة والموت اللذين تعرض لهما الناس».

وقال أعضاء المجلس الوطني السوري في مؤتمر صحفي عقده في لندن: إن النظام السوري قام بتغيير أسماء قرى لإيهام المراقبين بأن الأوضاع في البلاد آمنة. إذن من أين أتت تصريحات الفريق الدابي؟ وهل بحر الدماء الهادر في سوريا منذ أشهر يحتاج لرؤية بصرية أم يحتاج لتصرف واقعي حاسم لوقف نزيف الجراح الغائرة؟ وهل النظام السوري الوحشي سيعجز عن خلق أجواء هادئة في أي مكان سيذهب فيه المراقبين، خاصة وأنها تعودنا في منطقتنا العربية على رسم الديكورات الخلابية في أشد الأماكن عشوائية لمجرد زيارة مسئول رفيع المستوى، فما بالنا بقضية حياة أو موت للنظام السوري الغاشم، فالجميع على قناعة بأن الحكومة السورية إنما تتظاهر بالتعاون مع الجامعة العربية، وتحاول خداع المراقبين بينما هي مصممة على إبقاء الموقف دون تغيير.

يذكر أن رئيس المنظمة السورية لحقوق الإنسان (رامي عبد الرحمن) قال: إن سكان حي بابا عمرو بحمص سمحوا للمراقبين بالدخول إلى الحي بعد مغادرة ضابط سوري كان برفقة المراقبين. وطلب السكان من المراقبين -حسب عبد الرحمن- مشاهدة الجرحى وأسر القتلى بدل زيارة أعضاء حزب البعث الحاكم في المدينة.

وقال (رامي): إنه يخشى أن يتحول المراقبون العرب إلى شهود زور على العنف الذي يحدث في سوريا، وأن يغادروا البلاد دون أن يروا شيئاً.

وأضاف: إن معظم سكان بابا عمرو يشعرون بخيبة الأمل إذ كان يجب أن تمنح البعثة المزيد من الوقت، لأن المراقبين بحاجة إلى أن تتاح لهم الفرصة لفترة طويلة بما يكفي للقيام بالتفتيش قبل إصدار الأحكام.

ومن جهتها قالت وزارة الخارجية الفرنسية: إن المراقبين العرب لم يتمكنوا من التحقق من الوضع في حمص، وأنه يجب إتاحة الفرصة لهم كي يعودوا إليها. ومن سخرية الموقف أن وفد مراقبي الجامعة العربية بعد زيارتهم بابا عمرو توجهوا إلى حي باب السباع الذي نظمت فيه السلطات مسيرة مؤيدة للرئيس بشار الأسد قرب جسر الفارابي في مسرحية ساذجة من المسرحيات التي عودتنا عليها الأنظمة القمعية.

هذا في نفس الوقت الذي ارتفع عدد القتلى ٤٢ شهيدا خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية برصاص الأمن السوري، بينهم أربعة أطفال ومعظمهم في حمص، وذلك في اليوم الأول من عمل بعثة المراقبين العرب في المدينة.

واتهمت منظمة «هيومان رايتس ووتش» المعنية بحقوق الإنسان السلطات السورية بتعمد إخفاء المئات من المعتقلين عن أنظار المراقبين. وقالت المنظمة إن المعتقلين قد نقلوا إلى مواقع عسكرية يحظر على المراقبين وصولها، وحثت بعثة الجامعة العربية على الإصرار على تفتيش كل المواقع المستخدمة لاحتجاز المعتقلين.

وقال مسئول أمني سوري في حمص للمنظمة: إن الحكومة السورية نقلت ٤٠٠ - ٥٠٠ معتقل من المعتقل الذي كان يديره إلى أماكن أخرى بما فيها مصنع قريب للصواريخ، وذلك عقب توقيعها على تفويض دخول المراقبين العرب.

كما انتقدت جماعات مدافعة عن حقوق الإنسان اختيار الفريق الدابي أساسا لرؤس البعثة، قائلة: «إنه من المستحيل تصور شخص تبوأ مناصب عسكرية وحكومية سودانية رفيعة في إقليم دارفور وغيره أن يوصي باتخاذ إجراءات شديدة بحق الرئيس السوري بشار الأسد».

إنها بدايات عمل للمراقبين لا تبعث على التفاؤل، كما توقع الكل، هذا في نفس الوقت الذي تمر فيه الساعات وعشرات القتلى من إخواننا بسوريا يتساقطون، الأمر الذي ينذر بسقوط آلاف جدد حتى تتمكن بعثة المراقبين العرب من إحكام سيطرتها الرقابية على الموقف، وهذا فرضا إن أفلحت في التغلب على مناورات النظام السوري، وأظنها لن تفلح.

وهكذا تسيل الدماء وتزهق المزيد من الأنفس، والعرب يتحركون كما السلحفاة،
وكأن كل هذا الكم الهائل من القتلى والجرحى والمعتقلين يهون في سبيل مجرد تناغم
النظام السوري مع المطالب العربية. وهيئات أن يفعل، بعدما أصابه السعار جراء النهم
المفرط في شرب دماء الأبرياء، واستحلال ثرواتهم.
إن الموقف العربي مؤسف بكل المعايير الإسلامية والإنسانية والدولية والقانونية..
مؤسف أن نتحرك بعد فوات الأوان، وأن نصل للحلول متأخرين، وقد أتت النيران على
الأخضر واليابس، وخفت أوارها بعدما لم تجد شيئاً تأكله، وصارت قطرات الماء التي
نحملها نحن العرب لا فائدة منها، فلقد احترق كل شيء ولم يبق سوى دخان يعمي
أبصار العميان، الذين وصلوا للنجدة متأخرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

جرذان العرب

وقف الطاغية الليبي البائد (معمر القذافي) إبان انتفاضة شعبه العظيم عليه ..
وقف يخطب من برج المحصن، ويهتف بالشعب الليبي أن يخرج في حشود ليدمر
«الجرذان» بحد وصفه لشجعان ليبيا، الذين هبوا في بسالة منقطعة النظير ووقفوا في
وجه صلفه وجبروته.

وفي رأيي أن وصف الجرذان إنما هو صوت داخلي نابع من ذات معمر نفسه،
حيث يشعر في قراره ضميره أنه هو «الجرذ الأكبر» والجبان الأعظم الذي يحسب
كل صيحة عليه، ولا يتحرك إلا في حراسة نسائه الأربع الفاتنات الذين اختيروا له
بعناية بالغة.

بل إن هذا الوصف -بتقديري- يناسب، ويعبر عن كافة زعمائنا العرب!!
وكي لا تتبادل الشتائم والتجريعات بيننا وبين الآخرين الموالين، دعونا نعرض
الأمر على الوقائع والأحداث التي هي أصدق من الطنطنات الكلامية والسجلات
الحوارية.

فأنا أكتب هذه الأسطر -يا سادة- والقنوات الإخبارية لا تتوقف عن عرض
المجازر التي يوقعها نظام بشار الأسد بحق الشعب السوري الأبي .. أكثر من أربعة
آلاف سقطوا حتى الساعة وعشرات الآلاف من الجرحى، والشهداء تتساقط يوميا،
والجرحى لا يتم إسعافهم بأوامر من النظام، والأطفال تصرخ، والنساء تولول، ونظام
الأسد يضرب في الشعب الأعزل بالقاذفات الثقيلة التي طالت حتى المآذن.

فأين زعماء العرب؟! ... انزوا كالجرذان في (قصورهم/جحورهم).
أين أصحاب الجلالة والفخامة والسمو .. أصحاب الخطب الحماسية والجامعة
العربية ومجالس التعاون الخليجية والجيوش المغفورة .. {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ
تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}.

أين ملك السعودية، وأمير الإمارات والكويت، وسلطان عمان، وملك الأردن والمغرب .. هربوا كالجرذان في (قصورهم/جحورهم) .. إنهم على حد زعمهم لا يتدخلون في الشؤون الداخلية للدول، ولكن عن أي دول يتحدثون .. ألم يعلمونا في المدارس، ويخطبون في كل المؤتمرات العربية، أننا جسد واحد ودين واحد ولغة واحدة ومصير واحد .. وأن هذه التقسيمات القطرية مصطنعة من قبل استعمار سايكس بيكو.

لقد شاءت عناية الحكيم الجبار أن يثبت حقيقة هذه الجرذان، فمعمّر القذافي نفسه انتهت حياته في مأسورة مجاري كالتّي تقطنها الجرذان .. كان مختبئاً فيها كالجرذ الأجرب، وكانت آخر من شهد حتفه بجوارها، بعيد عن قصره وحارساته. أما فرعون مصر فاختارت له العزة الإلهية أن يدخل قفص المجرمين .. قفص بشع، أشبه بمصيدة الجرذان التي كانت تستعملها جدتي في صيد هذه الحيوانات المزعجة.

وطاغية تونس -الذي ملأ الأعين والأسماع- ها هو يعاني مرارة الشعور بأنه جرد حقير منبوذ، مختبئ في أحد (قصور/جحور) السعودية، لا يستطيع أن يخرج منه، ولا أن يسير حتى في الشارع كما يسير أبسط الناس .. يا إلهي، تصورا أن المشي في الشارع باطمئنان نعمة يشتهيها (زعماء/جرذان) العرب، لكنهم لا يستطيعون، ويعوضون هذا النوع من الحرمان الغريب بتصفيق المنافقين وتقبيل الأيدي من المتملقين ومدح المتزلفين.

هل أبانت الأحداث -يا قوم- عن الجرذان الحقيقيين؟
هل أماطت اللثام محنة غزة وسوريا واليمن عن الوجوه الحقيقية للجرذان.
هل تكشفّت النوايا الخفية للتجهيزات الجبارة للجيش العربية، وأنها لحماية العروش والكروش، وليست لحماية البيضة وتحرير الأرض المغتصبة.
يا ملك السعودية .. أين قلادة الملك عبد العزيز التي وهبتها لأعداء الأمة، فأهل الصومال في أشد الحاجة لأثمانها كي يشتروا رغيف خبز.

يا أمير سلمان بن عبد العزيز .. أين السيف الذي راقصت به بوش، فجموع
الشكلى السوريين في أشد الحاجة إليه.

يا أمير الكويت .. أين الجائزة التي منحتها للفنانة نانسي عجرم.
يا أمير الإمارات .. هل وجدت من يسكن في برج خليفة -أعلى برج في
العالم- الذي بنيته بأموال الأمة المكلمة، وكنا في غنى عنه.
يا ملك المغرب .. أين قراراتك الجريئة كمثل القرار بوقف تقبيل يدك من كبار
رجال الدولة.

يا إمام الحرم .. أين دعواتك الحارة التي عودتنا أن تختتمها بالدعاء للمليك
المفدى وولي عهده الأمين، وأن يرزقه الله البطانة الصالحة.
آآآآ آه .. الجرح كبير يا (جرذان/ زعماء) العرب.

ضيعتمونا تربويا واقتصاديا وصحيا وأمنيا .. ثم انزويتم كالجرذان، فلا صرنا نسمع
لكم خطبكم الحماسية، ولا نرى انجازاتكم الوهمية.
قد أبانت الحقيقة عن أم رأسها وفلذة كبدها.. فصرخات المجروحين أفزعتكم
وأظهرت حجمكم الحقيقي فأفزعكم الواقع وهربتم يا جرذان العصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياضة ومليارات العرب النفطية

لسنا من أعداء الرياضة التي تعني الرشاقة واللياقة والصحة والعافية، خاصة وأن رفاهية العصر الحديث أصابت أجسامنا بالترهل وأبداننا بالعلل في ظل غياب الحركة التي باتت مطلباً ملحا للجميع.

هذا الحديث بالطبع يشمل الممارسين للرياضة لا المشاهدين لها كما هي عادتنا الغالبة في عالمنا العربي!! لكن الأعجب من مسألة المشاهدة دون الممارسة، هذا الكم الرهيب من الأموال التي تنفق من قادة ووجهاء العرب -خاصة الخليجيين- على مهرجانات رياضية لاحظ لهم فيها إلا التفاخر والتباهي بينما يحصد الرياضيون الأجانب كل المكاسب الفلكية على مرأى ومسمع من المشاهد العربي المتأزمة أحواله بداية من محاصري غزة ومرورا بأهلنا بالعراق وسوريا وانتهاء بالآلاف من ساكني المقابر في وسط القاهرة المعز، ولا يفوتني جوعا الصومال ومشردي أفغانستان ... والقائمة تطول.

ويكاد يطير عقلك دهشا وعجبا وأنت تتابع بعض أخبار البانورامات الرياضية العربية وقد أنفقت فيها الأموال المكدسة وحظنا منها التصفيق والتهليل، حيث اللاعبون كلهم من ذوي المهارات الأجنبية، الذين أحسنوا استثمار مواهبهم وجهودهم في حصد الملايين من جيوب العرب السذج المهووسين بفخر الجاهلية العربية القديم. فعلى أحد المواقع الإلكترونية الرياضية تطالع الخبر التالي: بدأت فعاليات كأس (مكتوم الإماراتي) للتحدي للخيول العربية الأصيلة والخيول المهجنة الأصيلة، ويتنافس خلاله ١٤ خيلاً في الجولة الأولى والتي يبلغ مجموع جوائزها ٥٥ ألف دولار. ويتوقع أن يشهد الشوط صراعاً شرساً بين الفرس «إيه اف الغبرا» لخالد خليفة النابودة بقيادة [ريتشارد مولين] بإشراف [جوليان دوفيلد] والفرس «كندار دو فالجاس» لسمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم بقيادة الفارس [ريتشارد هيلز] وإشراف [دوغ واتسون]. ويتصدر الفرس «باريس جاجر» لسمو الشيخ حمدان بن

راشد آل مكتوم المشاركين في الشوط بقيادة الفارس [تاغ أوشي]. وأقوى المرشحين للقب الفرس «تيوريتكالي» لأسطبل عذبة بقيادة الفارس [واين سميث]. وآخر مشاركاته يوم ٢ أكتوبر الماضي في مضمار لونشامب بفرنسا حيث حل في المركز الثامن خلف الفرس «أريج» إلى جانب الفرس «صاحب دو كلوز» لفصيل الرحماني بقيادة [رويستون فرنش] والفرس «داريا» لسمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان بقيادة [تيد دوركان] والفرس «فريفولوس» لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان بقيادة الفارس [ميركو ديمورو] والفرس «البر لوتوا» لعلي الحداد بقيادة الفارس [اوليفيه بيليه].

فلو كان فرسان هذه الخيول من العرب لهان الخطب، خاصة وأن الفروسية فن عربي أصيل، ورياضة راقية، بل كنت أتمنى على الأقل أن تكون مجموعة الفرسان سألقة الذكر خليط من العرب والأجانب حتى نقول إنها المنافسات والاستفادات من الخبرات الأجنبية عن طريق المشاركة والاحتكاك المباشر.. لكن للأسف وبكل أسى نلاحظ الفشل العربي متوغلا حتى النخاع، إلا أنه يرافقه في هذه المرة نوعا من الهبل والخبل في إنفاق النخبة ثروات الأمة النفطية المستأمنين عليها من قبل شعوبهم.

وفي زمن الإنجازات العربية الزائفة تطالع الخبر التالي عن السباق الأغنى في العالم الذي تبلغ إجمالي جوائزه المالية ٢٧.٢٥ مليون دولار: فاز الحصان «مونترسو لجودلفين» ببطولة كأس دبي العالمي في نسخته السابعة عشرة، وقد تلقى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله التهاني والتبريكات بهذا الفوز الكبير!! لخيول الإمارات من الشيوخ والحضور الذين باركوا لسموه هذا الانجاز العالمي الذي تحقق لخيول الإمارات!! وقد فاز الحصان بالجائزة الأولى وقدرها ٦ ملايين دولار أميركي!! وقال سموه: «إنها ليلة فرح عشناها وعاشها معنا أكثر من ثلاثة وستين ألف متفرج هنا على أرض ميدان، إضافة إلى عشرات ملايين المشاهدين عبر شاشات التلفزة العالمية، ما يعد مبعث فخر لنا ولكل شعب الإمارات العزيز»!!.

وحدث ولا حرج عن (دورة أبو ظبي للتنس) حيث تأهل الصربي [نوفاك ديوكوفيتش] المصنف أول عالميا إلى نهائي دورة أبو ظبي الاستعراضية للتنس بعدما سحق السويسري [روجيه فيدرر] في الدور نصف النهائي. ويلتقي [ديوكوفيتش] في النهائي مع الإسباني [ديفيد فيرر] الفائز على مواطنه [رافايل نادال]. ويلعب أيضا [نادال] مع [فيدرر] لتحديد صاحب المركز الثالث. وكانت مباراتا الدور الأول التي أعفي [نادال وفيدرر] من خوضها، شهدت الخميس فوز [ديوكوفيتش] على الفرنسي [غاييل مونفيس]، و[فيرر] على الفرنسي [جو ويلفريد تسونغا] .. يذكر أن هذه البطولة الإماراتية يحصل الفائز فيها على ٢٥٠ ألف دولار، كما يُذكر أن اللاعب [فيدرر] يحمل الرقم القياسي بعدد الألقاب في دبي برصيد أربعة ألقاب أعوام ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ و٢٠٠٥ و٢٠٠٧، وكان خسر أيضاً نهائي ٢٠٠٦ أمام [نادال]. وعلى نفس الدرب سار القطريون في بطولة (قطر إكسون موبيل) المفتوحة التي تبلغ قيمة جوائزها ١.٤٩ مليون دولار، يحصل منها الفائز باللقب على ١٨٣ ألف دولار و ٢٥٠ نقطة في الترتيب العالمي، وصاحب المركز الثاني على ٩٦ ألف دولار و ١٥٠ نقطة، وحصد جوائزها تقريبا نفس الحاضرون بدورة أبو ظبي من نجوم التنس العالميين.

لقد غابت الأسماء العربية في ظل حالة الترهل العربي والتفوق الرائع للمهارات العالمية، وكما يقول المصريون: «مولد وصاحبه غائب» لكن مع الفارق أن أصحاب المولد من الأشاوس العرب حاضرون بدراهمهم ودنانيرهم، حيث يصفق لهم بالأيدي ويشار لهم بالبنان في صناعة مجد زائف لا ناقة لهم فيه ولا جمل إلا الإنفاق من فوائض ميزانيات النفط الذي يوشك أن ينضب ويعودوا لركوب الناقة وأكل التمر وسكنى الخيام، وحينها سينفض الناس من حولهم، ولا يبقى لهم إلا أحاديث الذكريات.

كما أن الفساد المتغلغل في الأفق العربي باقتدار ربما كان هو دورنا الفاعل في عالم الرياضة العربي، فبسبب الفساد المالي في البحرين أفادت التقارير أن حلبة البحرين الدولية -التي تستضيف سباقات الفورمولا ١ سنويا- تكبدت خسائر مالية

متراكمة وصلت إلى ٨٦.٨ مليون دينار (الدينار البحريني يساوي ٢.٦ دولار أميركي) الأمر الذي أدى إلى تآكل رأس مال الحلبة البالغ ٧٥ مليون دينار.

أليس أولى بقيادة وأثرياء العرب أن ينفقوا هذه الملايين على تدعيم البرامج الرياضية المحلية لتخريج أبطال عرب يضارعون المستويات العالمية؟ أليس أولى بقيادة العرب أن يعملوا لأممهم لا لشخصهم ورجباتهم ونزواتهم؟ أليس أولى بدولة قطر التي دفعت ربع مليار دولار في لوحة فنية تعود للقرن الماضي تمهيدا لأن تصبح مقرا للثقافة العالمية .. أولى بها أن تضخ هذه الملايين في «البحث العلمي العربي» لصنع إنجازات من عقول وسواعد أبنائها، علما بأنه أعلى سعر دفع في عمل فني معاصر، ويذكر أن هذه اللوحة للفنان الفرنسي [بول سيزان] لأناس يلعبون القمار!! الذي هو ضد تقاليدنا وديننا.

رحم الله الشاعر محمد إقبال الذي قال: «الرجل القوي يكون البيئة المحيطة، والرجل الضعيف يؤقلم نفسه معها» فاللهم هب لنا قادة كبار يكونون لأمتنا العربية واقعا جميلا، ويرسمون معالم حضارتنا المعاصرة، ويبقى الواحد منهم علماً حقيقياً لأبناء شعبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

السياسة العربية .. طالق طالق طالق

ما إن تنطلق القاطرة الإخبارية يومياً تجوب الأرض من أقصاها إلى أقصاها، إلا وتغيب عن المشهد الإخباري الكثير من الدول التي انشغلت بالتنمية، فلا تكاد تسمع في شريط الأخبار نبأ عن اليابان أو ماليزيا أو تاوان... إلا في النذر اليسير، وما إن تقترب قاطرة الأخبار من المنطقة الإسلامية عامة والعربية خاصة إلا وتشهد حالة من الغليان منقطعة النظير، فباكستان مشتعلة، وأفغانستان تنهار، والعراق ضاقت، ولبنان تكاد لا تتفق أطيافها على كلمة، وفلسطين جرح نازف مزمن، وسوريا غارقة في أنهار دم، واليمن تنهار، ومصر لا تهدأ، والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب...

معقولة ما يحدث من غليان وهيجان وفلتان؟! ولماذا كل هذا يحدث .. وتلك البانوراما المأساوية ليست وليدة الساعة، بل هي اضطرابات مزمنة نعاني منها منذ سنوات مديدة، ولا شيء من الانفراجة يلوح في الأفق، ولا نخرج بنتيجة إيجابية من كل هذه الحركات، ولا سياسة حكيمة تضعنا على بدايات طريق التنمية.. ثم ما إن تكاد القاطرة الإخبارية تتجاوز المنطقة حتى تعود لها سكينتها، فدول أوروبا والأمريكيتين شغلها البناء كما شغل باقي دول الجناح الشرقي من الكرة الأرضية.

والأعجب أن القنوات الإخبارية العربية تتلقف هذه الأحداث بنوع من المبالغة والتهويل، وتتبنى في غالبها سياسة النفخ في النهار، وكأنها تبحث -في زمن الإفلاس الإعلامي العربي- عن مادة مثيرة تجذب بها آلاف المشاهدين الساذجين.. فهذا يفند وذاك يحلل وآخر يحاور ويناور، ولا تخلو خارطة الإعلام الكلامي من منتقد أو مقترح أو متفائل أو متشائم، في سوق لا تملك غير العبارات والثروة والقليل والقال، من قبل تجار برعوا في المناورات الكلامية التي تلعب على المشاعر لا أكثر ولا أقل، فلا كاميرا ترصد إنجازا يذكر، ولا رسالة بناء أو خطط إستراتيجية تتبناها جهة إعلامية محترمة، تشحذ بها الهمم لتحسين أحوالنا والخروج من معاناتنا، حتى وصل الأمر أن

سئم المشاهد العربي من تلك القنوات، وكفر بالسياسة وصناعها، والتي لم تخرجه يوما من نفقه المظلم التي يعيش فيه منذ عشرات السنين.

فكيف لأي عاقل أن يقتنع بقبول سوريا مبادرة الجامعة العربية بنشر مراقبين على أراضيها للخروج من الأزمة الحالية .. هذا التوقيع الذي تم بعد سقوط أكثر من خمسة آلاف شهيد غير الجرحى والمصابين والمشردين، فلقد رحبت الجامعة العربية بالتوقيع وكأنه سيبعث الموتى من قبورهم ويشفي الجرحى من كلمهم، رغم أن يوم التوقيع نفسه كشف «المرصد السوري لحقوق الإنسان» عن مقتل عشرات الجنود السوريين المنشقين جراء إطلاق النار عليهم لدى فرارهم من مراكزهم في منطقة جبل الزاوية في محافظة إدلب. ونقل المرصد عن جندي منشق قوله إن "الجنود المنشقين تعرضوا لإطلاق نار من رشاشات متوسطة لدى فرارهم من مراكزهم العسكرية على الطريق بين بلدي كنصفرة وكفرعويد بجبل الزاوية". وقدر الجندي -الذي أصيب هو أيضاً بجروح- عدد القتلى بما بين ستين وسبعين جندياً، مشيراً إلى أن "السلطات السورية سحبت جثامين الجنود المنشقين".

ومن جانبها، أكدت الهيئة العامة للثورة السورية مقتل ٧٢ جندياً منشقاً في محافظة إدلب. وذكرت أن قوات الأسد نفذت ما وصفه بمجزرة كبيرة قتل فيها ٧٢ منشقاً في كنصفرة بإدلب وقامت بسحب جثثهم للتخلص منها وإخفائها. وأضافت أن ثمانية منشقين آخرين بينهم ضابط برتبة مقدم قتلوا برصاص الجيش في الحسكة. وسقط ٣٤ قتيلاً في كل من دمشق ودير الزور ودرعا وحماة والحسكة وحمص التي بدأت قوات الجيش حملة لتطويقها، حسب ما أكدته الناطق الرسمي باسم قيادة المجلس الأعلى لقيادة الثورة السورية.. فهل هذا يا جهابذة السياسة العربية تصرف دولة تريد الخروج من الأزمة؟! أم إنه نوع من المراوغة السياسية لكسب الوقت، والحيلولة دون تصعيد الملف السوري لمجلس الأمن. خاصة وأن جيران سوريا مختلفون حول تطبيق العقوبات الاقتصادية، والمجتمع الغربي بقيادة الأمريكان لا يريد فعلياً إسقاط نظام الأسد، والمغامرة بأمن إسرائيل، خاصة بعد صعود الإسلاميين في تونس ومصر بعد الثورة.

وفي العراق يحتفل صناع السياسة هذه الأيام بخروج القوات الأمريكية بعد احتلال دام تسع سنوات.. فهل هذا تحرر أم انسحاب أم هزيمة؟ أو على الأقل خروج من مأزق كما يصفه أحد المحللين بقوله عن الأمريكان: «فهم يبحثون عن حل لمشكلة أمريكا في العراق، وليس لمشكلة العراق التي صنعتها أيديهم، لأن الكلفة العالية في الجانب البشري والاقتصادي التي أفرزتها الحرب (أكثر من تريليون دولار وأربعة آلاف قتيل وما يفوق الثلاثين ألف جريح)، لم يعد بإمكان المواطن الأمريكي تحملها أو القبول بها، كما أن انحدار الهيبة الأمريكية كقوة عظمى في العالم بسبب الكلفة السياسية والعسكرية والمعنوية، واحتلال الموازين الإقليمية التي أفرزها الغزو والتي باتت تهدد مصالحها في المنطقة، لم يعد بإمكان الساسة الأمريكان القبول بها».

لقد دخلت أمريكا العراق بكذبة وخرجت منها بكذبة أخرى، وتركت عراقا لا حراك فيه، قائما على الطائفية والفقر، مفرغا من الكيان الفعلي للدولة (مليون ونصف قتيل، نصف مليون معاق ومشوه جسدياً، خمسة ملايين يتيم، مليون أرملة، خمسة ملايين مهجر في الخارج والداخل، مدن وأحياء وقرى مدمرة وبنى تحتية بحالة مزرية، انفصال الإقليم الكردي عن سائر أنحاء العراق ليصبح قاعدة أمريكية أو إسرائيل ثانية علنية).. فهل حقا تحرر العراق، أم أنه خرج من احتلال لا احتلال أشد جرما منه، احتلال طائفي من أبناء جلدته، عقدي (السنة/الشيعة)، وإقليمي (بغداد/أربيل)، احتلال ولاء قياداته حتى النخاع للأمريكان أكثر منه لأبناء شعبه، فالمعروف أن جميع الذين تسلموا السلطة في العراق منذ الاحتلال دخلوا على ظهور الدبابات الأمريكية، وكانوا يتنقلون خلال سنوات طويلة بين إيران وواشنطن ولندن والقاهرة ودمشق.

إن الولايات المتحدة لم تنسحب فعليا من العراق، بل فرضت وجودها الدائم فيه، وقد أشار (رون بول)، أحد المرشحين لرئاسة الجمهورية، في مقابلة له مع قناة (سي، إن، إن) الأمريكية إلى أن هناك سبعة عشر ألف شخص باقون في العراق، نصفهم يعملون في السفارة الأمريكية، وهي كبرى السفارات الأمريكية في العالم، ونصفهم الآخر مما يسمون بالمتعاقدين، وهم بالفعل من المرتزقة الأمريكيين ومن

جنسيات أخرى كانوا وما يزالون مسئولين عن عمليات القتل والتعذيب وتفجير السيارات، وسيحرصون على بقاء العراق في حالة فوضى دائمة وتشتت.

وفي مصر نرى سقوط حوالي عشرة من الشهداء ومئات الجرحى في الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الجيش، وحرق المجمع العلمي، وزيادة التوتر بين المجلس العسكري وقوى سياسية عديدة، بدأت تجاهر بشكوكها فيه وبأن ما حدث عملية مدبرة منه، لاتخاذها مبررا لإلغاء الانتخابات، وهذه الشكوك تتركز أساسا لدى الإخوان المسلمين والسلفيين، وقوى ليبرالية ترى أن المجلس يريد الاستمرار في الحكم وعدم تسليمه للمدنيين، وبينما آخرون يرون أن ما حدث مؤامرة تشارك فيها أطراف دولية وعربية وداخلية لإحداث وقعة بين الجيش والشعب وإحباط الثورة، كما بدأت قوى سياسية وأعضاء مجلس شعب نجحوا في المرحلة الأولى من الانتخابات في القيام بدور في تهدئة الأوضاع، واستقال حوالي ثلث أعضاء المجلس الاستشاري. هل عقلت الأمة العربية على أن تلد رجال صدق، وتركت حراك الأمور بيد أشباه الرجال، أين يا أمة العرب رجالك الذين يعدل الواحد منهم ألف رجل؟ أين أوفياءك وعلمائك وصناعك وتجارك .. الأفذاذ؟ أين محبي البناء لا عشاق الكلام؟

بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص -رضي الله عنهم جميعا- لفتح مصر، ومعه أربعة آلاف جندي فقط، ثم طلب منه مددا، فأمدّه بأربعة آلاف، ومعهم أربعة، قال عنهم عمر: كل واحد منهم بألف. واعتبر المجموع اثني عشر ألفا. ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة.

لقد كان عمر -رضي الله عنه- مؤمنا بأن العبرة بمعدن الرجال وهممهم لا بأعدادهم وأجسامهم.. فلقد روي عنه أنه كان جالسا يوما مع أصحابه في دار رحبة، فقال لهم: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون لي ملء هذه الدار دراهم من فضة أنفقها في سبيل الله، وتمنى آخر أن يكونا مأوها ذهباً ينفقه في سبيل الله، أما عمر -رضي الله عنه- فقال: لكني أتمنى ملء هذه الدار رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة، فأستعملهم في سبيل الله.

وقد مدح أحد الشعراء الخليفة عبد الملك بن مروان بقوله:

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
فلام الشاعر، لأنه مدحه بما يشبه مدح الغيد الحسان. وقال له: هلا قلت في ما
قاله الشاعر في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت بنوره الظلماء
حكمه حكم قوة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
أين رجال كيف لا الكم، رجال العمل والأمل، رجال العزم والهمم، أما بقي فينا
غير حطام الكلام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ومن يجيدون التحرك على
كراسيهم فقط، والذين لا يحركون نملة، ولا يبنون لبنة.
قال تعالى: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ١٠٠]

بسم الله الرحمن الرحيم
لعنة كرسي الحكم العربي

يا إلهي .. ما هذا الذي يحدث .. رغم كل هذه الثورات والدماء التي أريقت والأوصال التي تقطعت .. ما زال حكامنا قبل أو بعد ربيع الثورات العربية على حالهم .. بعض الوجوه تغيرت لكن السياسة العقيمة كما هي .. إنهم مازالوا يعاملوننا كقطيع من الغنم .. قطع لا يرعاه راعي حنون .. بل يرعاه ذئب جائر .. وكأنها لعنة كامنة في كراسي الحكم العربي تصيب من يجلس عليها بلوثة معاداة الشعوب.

لعنة تصيب الرؤساء بنوع من الغباء السياسي يحول بينهم وبين متطلبات الشعوب البسيطة في العيش الكريم والحرية الوافرة .. لعنة تجعلهم يدمنون ممارسة لعبة المؤامرات والدسائس لمصائر هذه الشعوب .. لعنة تدمن التحالف مع الأمريكان والصهاينة ومن يحذوا حذوهم لكي يتحكموا في مقدراتنا .. لعنة الخوف من: الإسلاميين والجادين والشرفاء على سائر طبقاتهم .. لعنة تتيح لأذئاب وفكر النظام السابق أن يستمر في تغوله داخل المجتمعات .. لعنة تصيهم بالصمم والغباء فلا يسمعون ولا يفهمون أنين المعذبين وصيحات الثائرين .. لعنة لا تسمن ولا تغني من جوع أمام هذه الجموع الثائرة الواعية.

فأمير الكويت لم يتعظ من أقرانه الذين خلعوا من كراسيهم بصورة مزرية، وها هو يستنكر ثورة شعبه داخل مجلس الأمة الكويتي، ويصر في تعنت غريب على عدم إقالة قريبه رئيس الوزراء الذي أركمت رائحة فساد به كل الأنوف، ويلوح بالعصا الأمنية في قمع المتظاهرين .. نفس السيناريو الذي بدأت به كل الثورات العربية المشتعلة في المنطقة، ونفس التعنت الذي ينتاب هؤلاء الحكام في أوج سلطتهم وعنادهم .. ثم تندرج الأحداث صوب الجماهير الثائرة لتبدأ معها نبرة السلطة تخفت شيئاً فشيئاً حتى تنتهي بالمهانة.

فها هو الرئيس اليمني الذي كان يقول للشوار في بداية انتفاضة الشعب بأنه قد فاتكم القطار .. ها هو الآن يرضخ للأحداث -بعدما أعيته المراوغات- ويوقع

المبادرة الخليجية ويسلم السلطة إلى نائبه ويفر إلى حليفته أمريكا .. ولكن يوقع المبادرة بعد ماذا .. بعدما فات القطار، وسقط الآلاف، وانهار اقتصاد اليمن، والساذج يظن أن جرة قلم بالموافقة سوف تمحي كل هذه المآسي، وسوف تجعل جموع الثائرين تغض الطرف عن سيطرة أبنائه وعشيرته على كل أجزاء اليمن .. لكن شعب اليمن العظيم رفض هذه المسرحية العبيثة الماكرة التي أشرف عليها وأخرجها المجتمع الدولي بقيادة ملك السعودية ومبعوث الأمم المتحدة .. فلقد فات القطار، وصرنا في محطة دموية تتوجب محاكمة صالح ومعاونيه على جرائمهم البشعة في حق شعبهم.

أما مصر فهي الجريح الأكبر، وصاحبة المصاب الأعظم، حيث تتسارع الأحداث ويمر الشهر تلو الشهر منذ ثورة يناير العظيمة .. تمر تسعة أشهر ويكتشف الشعب بالأحداث والوقائع أن الحكومة الجديدة تكيد للشعب كيذا أشد خبثا من كيد المخلوع السابق، فلا شيء إيجابيا تحقق على الأرض، وإنما عملية قيادة مشبوهة هدفها دغدغة المشاعر وتبريد الثورة، فمازال المخلوع وأذناب نظامه يديرون بأموالهم الثورة المضادة من داخل معتقلاتهم، أما المسرحية الهذلية المعنية بمحاكماتهم فقد تنسأها الشعب ونفض يده منها لسخافتها، ومازالت البورصة تتوالى خسائرها، والاستثمارات تهرب، وأباطرة الاحتكارات على حالهم، والخدمات العامة في تدهور، أما الأمن فصار سرايا، وكأن رجال الداخلية يعاقبون الشعب على ثورته، ناهيك عن دسائس يحيي الجمل ووثيقة السلمى الأخيرة التي فجرت الأوضاع وأعادت الأمور إلى المربع الأول.

رضي الشعب مؤقتا بحكم العسكر، فوجد العسكر لا يرغبون في تسليم السلطة، وأصابتهم لعنة كرسي الحكم العربي، والكوارث تتوالى ولا تتوانى، ولا ترفع كارثة ولا يصحح مسار ألا بثورة ومليونية ومزيد من القتل والجرحى.

وقبل الانتخابات البرلمانية اشتد لهيب المؤامرات وحمى وطيس المكائد، ويخرج علينا نائب رئيس الوزراء (السلمى) في الحكومة الانتقالية الهزيلة بالوثيقة الحاكمة للدستور .. يعطي فيها حصانة مطلقة للجيش وميزانيته، ويعبث بمكونات لجنة صياغة

الدستور .. والعديد من المكائد التي يعرفها الجميع .. فاحتاج الأمر إلى هبة شعبية جديدة، بعد طول انتظار وغياب المليونيات عن ساحة ميدان التحرير .. كانت جمعة ومليونية المطلب الواحد (٢٠١١/١١/١٨) .. هتف الجميع بالعسكر كي يحددوا موعدا لتسليم السلطة، والكف عن العبث بمقدرات الأمة وفرض الوصاية على الشعب.

بعد هذه المليونية الناجحة قامت الدنيا وقعدت .. أسقط في أيدي صناع القرار الذين أصيبوا بلعنة كرسي الحكم العربي، لقد ظنوا أن الشعب فترت همته وخارت عزيمته ولكن هيهات، فقرروا أن يجربوا معه سياسة العصا الغليظة، وفي يوم السبت توجهت كتائب الأمن لمركزي بقيادة لواء شرطة لتزيح بالقوة أربعين معتصما من وسط ميدان التحرير، فهبت الجماهير قافلة إلى الميدان، بعدما تأكد لديهم أن الثورة تحتاج فعلا لثورة إنقاذ ولتقديم مزيدا من الشهداء والمصابين .. تفاقمت الأمور، وسقط الشهيد تلو الشهيد، وتحركت المياه الراكدة.

خرج المشير يخطب في جموع المتظاهرين .. بيان هزيل كاليانات التي كان يلقيها المخلوع إبان الثورة .. بيان تجاوز فيه دماء الشهداء وجروح المصابين، وخرج علينا بتطبيق قانون العزل السياسي الذي بحث أصواتنا من أجل تفعيله، إلا أن القانون صيغ بدهاء وأفرغ من محتواه الأصلي .. ثم حدد المشير في نهاية بيانه موعد تسليم السلطة .. ولكن بعد ماذا .. بعدما فات القطار .. بعدما سقط أكثر من أربعين شهيدا وآلاف الجرحى .. بعدما وصلنا لمحطة وجوب عزل المشير وتكوين حكومة إنقاذ وطني عوضا عن الحكومة الشلاء التي أشرف عليها العسكر.

ماذا يحدث بالضبط، هل عقلت الأمة أن يوجد بها شرفاء يقودون السفينة لبر الأمان، هل كرسي الحكم العربي لا بد أن يكون كرسي الدسائس والنوايا الخبيثة والمؤامرات ونفض اليد من رغبات الشعوب وطموحاتها.

لماذا يتنكر صناع القرار لعروبتنا وهويتنا الإسلامية؟ لماذا يكيلون الاتهامات لكل من لا يسير في ركبهم ويلهج بذكرهم؟ لماذا يستأثرون بالقرار وكأن الفهم والدراية

بالمصلحة حكرا عليهم وحدهم؟ لماذا يكون هذا الكرسي هدف الوصوليين والمنتفعين والموالين لأعداء شعوبهم، ويزهد فيه الشرفاء الحقيقيين.

لماذا تتغير المواقف وتتبدل الأحوال فور الاستحواذ على هذا الكرسي العجيب.
أهي لعنة في هذا الكرسي شبيهة بلعنة الفراعنة التي حدثونا عنها في الأساطير.
أم هي مسألة نفوس آثرت بهاء السلطة وتناست مسئوليتها أمام الله تعالى وأمام شعوبها

اللهم إنا نشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة.

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة عربية من خشب

لكم أنا في أشد الحيرة والعجب من أمر جامعتنا العربية العصماء ومبادرتها حيال الانتفاضة السورية، بل وسائر القضايا العربية المصيرية .. ومنشأ العجب هو الاستيقاظ المفاجئ -دون سابق إنذار- لقادة الجامعة من سبات طويل وعميق، ومحاولة هوجاء لارتقاء صهوة الجواد العربي الأصيل، والركض به من أجل تحرير القضايا المتأزمة التي تنتاب عالمنا العربي بين الفينة والفينة، هكذا وبدون سياسات ولا تحضيرات ولا اتفاقيات دفاعية ولا اقتصادية ولا اجتماعية مسبقة.

ومع غياب الثقل العربي والدور الفاعل للجامعة العربية في كافة الأصعدة، كان من المنطقي أن يسقط الفارس الغير مدرب من على فرس التحرير في أول ركضة، ولا نرى له مشاهد تذكر سوى مشاهد السقوط، ولا نسمع له دويًا سوى دوي الاستنكارات والتنديدات.

لكن أعجب العجب أن الفارس العربي لا يتعلم الدرس أبداً، وفي كل أزمة يتناسى ضياع هيئته وغياب ثقله السياسي والقيادي، ويعاود امتطاء جواد التحرير مرة أخرى ليخوض به معارك هي أكبر بكثير من حجمه وقدراته، متغافلاً عن اللحظات أو الثواني القادمة التي سوف تكشف للجميع خيبته وعواره.

فبعد ثمانية أشهر من انتفاضة السوريين سقط خلالها أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة شهيد من بينهم ١٨٧ طفلاً، أفاقت الجامعة العربية من غفوتها المزمنة، واجتمع مجلسها الموقر ليقدم مبادرة لحل الأزمة السورية دون أي أوراق ضغط يملكها، أو آليات عملية يتبناها في حالة تنصل القادة السوريين من هذه المبادرة، والمضحك في الأمر تصريح السيد أحمد بن حلي، نائب الأمين العام للجامعة العربية، بأن السلطات السورية أمامها ١٥ يوماً لتنفيذ بنود الخطة التي اقترحتها الجامعة لحل الأزمة السورية قبل بدء الحوار بين النظام والمعارضة الذي سترعاه الجامعة في أروقتها.

خمسة عشر يوما -يا سادة- ونزيف الدم الهادر مستمر، وعشرات القتلى والجرحى يوميا يسقطون على أيدي عساكر النظام والشيعة، لكن الجامعة لا تلتفت إلى مثل هذه الأمور البسيطة بنظرها، وترى أن الموقف من التعقيد والصعوبة الذي يحتاج من النظام السوري لأسبوعين كي يرد فقط على المبادرة العربية.

وكما هو متوقع، فقد تلاعب النظام السوري بالجامعة، ورد بالموافقة الغير مشروطة!! وفي اليوم التالي سقط عشرين شهيدا بحسب ما أوردته وكالات الأنباء، في مسرحية تافهة من المسرحيات المبتذلة التي عودناها النظام العربي البائد.

ويكاد يجمع المراقبون أن الجامعة العربية لا تملك شيئا يذكر من خيارات الضغط أو العقوبات ضد النظام السوري، اللهم إلا الاعتراف بالمجلس الانتقالي، وبعض العقوبات الاقتصادية، وحتى تلك الخيارات لن تتفق كل الدول العربية على تنفيذها، فالقادة العرب عودونا دوما أنهم اتفقوا فقط على أنهم لا يتفقوا.

إن الجامعة العربية ولدت من رحم أنظمة عربية فاشلة، فمن الطبيعي أن تأتي ككيان مسخ مشوه لا حيلة له، بل من الطبيعي أن تتوالى إخفاقاتها الواحدة تلو الأخرى، أمام أمة عربية مثقلة بالهموم والقضايا الكارثية المزمنة، والتي تحتاج لجهود جبارة ومخلصة فوق مستوى ألف جامعة من أمثال الجامعة العربية، الأمر الذي جعل المواطن العربي ينفذ يده من تلك الجامعة الشلاء، ولا يعول عليها كثيرا في شؤونه.

وليس بخاف على أحد أن الأنظمة العربية الدكتاتورية المنتظرة في قائمة ربيع الثورات العربية تبحث عن حل جذري وفعال حيال لو تفجرت الثورة الشعبية في بلدها، وتحاول دراسة التجربة التونسية والمصرية والليبية واليمنية والسورية، في محاولة لإيجاد الورقة الرابعة في هذه التجارب، غير متغافلة عن إمكانية الاقتباس من كل تجربة على حده.

ففرار بن علي في تونس ربما يكون الحل الأخير والبعيد جدا لهذه الأنظمة، لكنه عموما شيء وارد وممكن حدوثه رغم استبعاده، لذلك بدأت تلك الأنظمة في تبني بعض آلياته، وهو ما كشفت عنه صحيفة «ميليت» التركية عن أن دولارات العرب والأجانب بدأت تتدفق وتصب في البنوك التركية في أعقاب التوتر والاشتباكات

والاضطرابات التي عاشتها العديد من الدول العربية بعد موجة ثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، وعدد آخر من الدول الخليجية.

وأما التجربة المصرية بالتنحي لابد أن يتزامن معها الضمانات الموثقة والمغلظة بعدم المتابعة القضائية حال التخلي عن الكرسي، وهذا ما أكدته التصرف المراوغ لرئيس اليمن في محاولة للحصول على هذا الضمان الجوهري.

وأما التجربة السورية القائمة على العنف والحلول الأمنية فما زالت -حتى اللحظة- هي الورقة الرابعة التي تثبت أركان النظام الذي لا يرى إلا وجوده فقط حتى لو أباد كل السوريين عن بكرة أبيهم.

فهل يُعقل بأنظمة تبحث عن مخرج لنفسها أن تتبنى في جامعتها العربية العصماء حلا لدكتاتورية النظام السوري، فمجمال القول أن فاقد الشيء لا يعطيه، ولسان حال هذه الأنظمة يتمنى أن ينجح أحدها في إيجاد وسيلة فعالة لإطفاء شرارة الثورة كي تحذو حذوه وتقتفي أثره.

بسم الله الرحمن الرحيم

قمة عربية لقادة من صفح

بعيدا عن الضجيج الإعلامي والتغطيات الماراثونية للقنوات الإخبارية، والتحليلات الحوارية، وانطلاقا من رحم الطبقة الشعبية البسيطة المطحونة -وما أوسعها وأكبرها في عالمنا العربي المنكوب- طرحت الجماهير الشعبية الخفية الكثير من التساؤلات حول القمة العربية الأخيرة المنعقدة في بغداد عاصمة الرشيد:

ما الجدوى من هذه القمة -بل وغيرها من القمم السابقة- وقد رأينا قادة لا يتمخض لقائهم عن واقع إيجابي ملموس يخرج الأمة من نفقها الأزلي المظلم، بل هي مؤتمرات للخطب الإنشائية والتلاسنات الكلامية؟.

وهل اجتماع هؤلاء الزعماء قاطبة يمكن أن يعطي أي نوع من الثقل لحل أي من القضايا العربية المعضلة، ولو حتى قضايا العراق نفسه -بلد الاستضافة- والذي لا يخلو صباحه أو مساءه اليومي من تفجيرات ودماء وأشلاء .. العراق الذي يعيش منذ تسع سنوات كارثة لا يماثلها في ظلمها ووحشيتها ورسوخها في ذاكرتنا الجماعية غير الاحتلال الصهيوني لفلسطين. ولا يماثله في عدد شهدائه غير الجزائر البطلة في حربها ضد الاستعمار الفرنسي .. العراق صاحب الأرقام الفلكية في عدد الأرامل، وصاحب أكثر من مليون وثلاثمائة ألف عراقي لا يزالون مهجرين من أماكنهم الأصلية داخل العراق، وواحدا من أكثر خمس دول فسادا في العالم بأسره .. خاصة وأن القمة اختارت لها شعار «التضامن مع العراق الشقيق». هذا فضلا عن المجازر السورية ومحنة اليمن والقضية الفلسطينية العvisية على الحل.

وهل تتوازي مصاريف التكلفة الأمنية العالية للقمة مع الشعارات الجوفاء التي يتبناها صناع القرار العراقي من اعتبار عقد القمة بالعراق نوعا من التحدي لإثبات وجود العراق بعد خروج المحتل الأمريكي، رغم أن الحقائق على الأرض العراقية تبرهن على ضياع العراق على كافة الأصعدة الأمنية والاقتصادية والاجتماعية.

مائة ألف عسكري في تدابير أمنية غير مسبقة حولت بغداد لشكنة عسكرية، ومائة مليار دينار عراقي رصدت من خزانة الدولة العراقية المنكوبة لتغطية نفقات قمة العرب في ٢٠١٢م، ويذكر أن ٤٥٠ مليون دولار خصصت من موازنة عام ٢٠١١م كمخصصات لتحضيرات القمة العربية، وكان النائب حسين الأسدي قد أكد في حديث لوكالات الأنباء: إن مشتريات اللجنة التي تحضر للقمة العربية برئاسة وزير الخارجية "هوشيار زيباري" فيها فساد مالي .. مبينا أن اللجنة اشترت ٦٠ سيارة مصفحة بموديلات مختلفة منها يعود لعام ٢٠١١م و ٢٠١٠م مبلغ كل واحدة منها ٢٥٩ ألف دولار، الأمر الذي مثل فسادا واضحا بحد قوله. كما أعلنت قيادة عمليات بغداد عن تخصيص أكثر من ١٠٠ طائرة لتأمين الغطاء الجوي خلال أيام انعقاد القمة العربية في العاصمة العراقية بغداد.

أما "المالكي" فقد بدأ في تقديم عروض سخية للدول العربية التي أرادت أن تتصل من حضور القمة، فوقع مع مصر اتفاق لإعادة الأموال المدين بها العراق للعمال المصريين الذين عملوا فيه في الثمانينات ولم يتلقوا حتى الآن مستحقاتهم، ووافق على أن يمنح إذن إقلاع وهبوط للخطوط الجوية الكويتية، ودفع ٣٠٠ مليون دولار على أضرار الاحتلال العراقي للكويت في ١٩٩٠م (مقابل تخلي الكويت عن دين بمليار ومائتي مليون دولار). وللسعودية وعد بأن يحاول استبدال عقوبة الإعدام التي فرضت على مواطنين سعوديين في العراق.

ورغم تأكيدات الدكتور "قيس العزاوي" مندوب العراق الدائم لدى الجامعة العربية في مؤتمر صحفي مشترك مع السفير "أحمد بن حلي" نائب الأمين العام للجامعة، في ختام الاجتماع التحضيري المشترك للمندوبين الدائمين لدى الجامعة العربية، وكبار المسؤولين: أن المنطقة التي ستحتضن القمة مؤمنة كليا، وأن المنطقة الخضراء والطريق الممتد من مطار بغداد مؤمنان بنسبة ١٠٠%، وحتى المناطق المحاذية لمكان عقد القمة.. رغم كل هذا تعرض مطار بغداد الدولي الذي تتمركز فيه قوات الاحتلال الأمريكية وقوات أمنية خاصة تابعة للمالكي وقوات من الشركات الأمنية الخاصة الداعمة لقوات الاحتلال الأمريكية إلى قصف بعدد من قذائف الهاون

من دون معرفة حجم الخسائر المادية والبشرية التي خلفها ذلك القصف الذي يسبق
بيوم واحد على انعقاد "القمة العربية".

ماذا قدمت القمم العربية منذ انطلاقها في أول مؤتمر قمة عربية في مدينة
أنشاص في مصر عام ١٩٤٦ وحتى اليوم، وأين ذهبت هبات القادة الأشاوس كالتي
حدثت في "قمة الخرطوم" التي عقدت بعد نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ وخرجت
بلاءاتها الثلاثة الشهيرة: «لا هدنة، لا مفاوضات، لا اعتراف بالكيان الصهيوني».

لكن رغم كل هذا الخضم من الفشل يحتار الفكر عن سر إصرار القادة المغاوير
على عقد هذه القمم العثية، وما أروع ما كتب الأستاذ "عوني القلمجي" مجيباً عن
هذا اللغز، حيث يقول: «إن الإصرار على عقد القمة في بغداد رغم اعتراض دول
عربية عديدة لغايات في نفوسهم، لا علاقة له بدور العراق وحقه في عقد القمة،
فالعديد من القمم تغير مكان انعقادها، لهذا السبب أو ذاك، وإنما له علاقة مباشرة
بمأزق أمريكا الجديد التي نتج عن قرار رئيسها "باراك أوباما" بسحب معظم قواتها
المحتلة من العراق تجنباً لمزيد من الخسائر البشرية والمادية جراء ضربات المقاومة
العراقية الباسلة، الأمر الذي فرض على أمريكا تقوية الحكومة وقواتها المكونة من
المليشيات المسلحة، والتي لا تمتلك القدرة على مواجهة المقاومة لوحدها، من خلال
تقديم كل الوسائل الكفيلة لتحقيق ذلك، ومن بينها كسب تأييد الحكومات العربية
بكل ما لديها من إمكانيات. ولقد أكدت لنا الوقائع والأحداث بأن أمريكا المحتلة
كلما دخلت في مأزق تصاعد دور الحكام العرب في دعم المحتل وحكومته العتيدة».

إن الزعماء العرب ما زال يخيم عليهم الفكر السلطوي والنهج العميل، ونسيان
حقوق شعوبهم، والتسكّر للواقع الذي يتغير من حولهم، حرصاً منهم على كراسيهم التي
يعلم الجميع أنهم وصلوا إليها بالوراثة الأبديّة، أو بانتخابات ٩٩.٩٪ المزورة أو
الزعماء الملتصقين بكراسي الحزب الواحد بالغراء، ولن يقدموا شيئاً ملموساً لمجتمعين
أو فرادى، وهذا ما جعل السوريون يردون على قمة بغداد المنعقدة خميس
٢٠١٢/٣/٢٩ بجمعة «خذلنا العرب» وإلى الله تعالى المشتكى.

بسم الله الرحمن الرحيم

نشرات الأخبار العربية

ارتبط وجداني منذ الصغر بتتبع نشرات الأخبار المحلية التي كانت الرافد الوحيد لنا كي نتفهم بعض ما يجري حولنا من أحداث قطرية وعالمية في ظل شح المصادر الإعلامية الأخرى.

ومنذ إعلان (أحمد سعيد) مذيع إذاعة «صوت العرب» الشهير عن الانتصار الساحق للقوات المصرية في هزيمة ١٩٦٧ بدأت ثقة الجمهور بالإعلام الرسمي تهتز، فكنا إذا جد الجد نتلمس الخبر من إذاعة لندن أو مونت كارلو، وكنا ندير الراديو يمنة ويسرة أو نخرج به إلى الهواء الطلق لكي نلتقط إشارة هذه الإذاعات بوضوح، ثم أتذكر أنني كغيري اقتصرت على سماع إذاعة لندن وتركت غيرها من كافة روافد الإعلام الرسمي أو العربي.

كانت النشرات العربية الرسمية أشبه بشورية الخضار التي يصفها لك الطبيب في فترة نقاهتك من المرض .. لا لون ولا طعم ولا رائحة، تتجرعها على مضض ولا تجد سلوى في استساغتها سوى نصيحة الطبيب بأنها غنية بالفيتامينات.

ومع إذاعة لندن اكتشفت بواكير المهنية الإعلامية من مذيع محترف متوقد الذهن، بارع في الأداء والمحاورة، لا كالمذيع العربي المعين بالوساطة والمحسوبة، والذي تعاطي كميات مخيفة من الأسمنت جعلت أدائه أشبه بقلب حجري لا روح فيه ولا نبض.

أتذكر: سلوى الجراح وعلي أسعد .. والمقولة الشهيرة: «هنا لندن» التي كانت تعني لنا المصداقية والمهنية.

أتذكر الحرية في الطرح، والكلام في المسكوت عنه في بلادنا عما يخص السياسات العربية المتهترئة، وتجلت لي في خضم المقارنة براعة معد النشرة العربي في الدبلجة والفبركة وتصدر أخبار السيد الرئيس الزعيم الركن الملهم، وعبارات مستهلكة من أمثال: التضامن العربي، وجبهة الصمود والتصدي والممانعة، ورفض التنازلات

والتدخلات والإملاءات، وشجب الانتهاكات والممارسات، وتأييد المبادرات والمخللات والمعجنات والسلطات.

ثم ظهرت قناة الجزيرة «درة الإعلام العربي» فحركت المياه الراكدة، وتطرق ل قضايا شائكة، وداعبت هموم المواطن العربي وتطلعاته، وسكتت عن حكام الخليج كي لا تكثر أعدائها، والعامل لا يشغب على نفسه.

إعلام الجزيرة مهني بكل ما تعنيه الكلمة، بداية من مذيع مثقف متمرس تم انتقاءه بعناية فائقة، ومرورا ببرامج إعلامية أيقظت الوعي السياسي العربي، وفتحت آفاق أرحب لفهم مجريات الأمور، مع فتح ملفات التاريخ المعاصر المحرم الاقتراب منها.

يمكن القول أن العرب في التاريخ الحديث لم يقدموا شيئا يذكر للحضارة المعاصرة سوى إعلام قناة الجزيرة، وكفى المتهم لنا بالتحيز أن يطالع عدد المشاهدين للجزيرة والمتابعين لموقعها على الإنترنت بما لم تحققه قناة عربية غيرها.

ثم بدأت عملية حصار قطر الأخيرة من دول عربية أزعجها منذ زمن إعلام ينمي الوعي العربي الشعبي، وكانت ثورات الربيع العربي بمثابة الشوكة لدول الحصار التي أضجت مضاجعها وأنفذت صبرها على الجزيرة ومنسوبيها، وبدأت في المجاهرة بالعداوة بعدما كان العتاب في الغرف المغلقة.

خرجت قطر من الحصار منتصرة، وأعطيت الإشارة الخضراء للجزيرة بتناول القضايا الخليجية، وفي تقديري أن أكبر خسارة للأنظمة العربية المحاصرة لقطر هي «معاداة قناة الجزيرة»، فمن بيته بالزجاج لا يقذف الناس بالحجارة.

وتألفت الجزيرة كعادتها، ونشرت فضائح أشفت غليل المواطن العربي المقهور، بمهنية وتأصيل وتدليل، من قناة بارعة تنشر الخبر وتردفه بالمقولة الشهيرة: «معنا مراسلنا من موقع الحدث».

في حين أن الإعلام المضاد لا يملك سوى الشتم والتجريح والطم والعويل والفبركة وتضخيم الأخطاء وتقزيم الإنجازات، بأسلوب عتيق ينفع لحقبة ستينات القرن الماضي، وليس لعصر طوفان القنوات الإعلامية بشكل مخيف.

«نجن الجزيرة»: قولا وعملا ومهنية وشعبية كاسحة .. فمن أنتم؟!
كم من الأفلام الوثائقية والبرامج الحوارية تجاوز كل الخطوط الحمراء، حتى
أدمى الأنظمة العربية إدماء لم تنفع معها ضمادات قناة العربية الفاشلة والتي أنفقت
عليها مليارات السعودية والإمارات.
مشكلة الجزيرة أنها غردت خارج نهيق قطيع الإعلام العربي، وبات المطلب
الوحيد للتصالح «إغلاق قناة الجزيرة» لكن نسي المخاصمون أنه ليس لديهم شيء
سوى الإفلاس على كل الأصعدة، فلما تتصالح معهم قطر؟!..

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس كل الفشل عربيا

ذكرت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية، إنه من الممكن أن تتخلى دولة بنجلاديش عن الإسلام بوصفه الدين الرسمي للبلاد، في ظل ضغوط لممثلي المعتقدات الأخرى في البلاد لتنفيذ هذا الإجراء.

وقد بدأت بالفعل المحكمة العليا، في الدولة الواقعة في جنوب آسيا، سماع النقاشات التي تتحدى وضع الإسلام بصفته الدين الرسمي.

وقالت الصحيفة: إن تلك الخطوة تأتي بعد موجة من "الهجمات ضد أصحاب المعتقدات الأخرى، مثل الهندوسية والمسيحية والأقليات الشيعية"، بحسب وصفها.

وأوضحت «ديلي ميل» أنه عندما أنشئت بنجلاديش عام ١٩٧١ بعد انفصالها عن باكستان أعلنت دولة علمانية، لكن في عام ١٩٨٨ تم تعديل الدستور، وأصبح الإسلام هو دين الدولة الرسمي.

يُشار إلى أن المسلمين في بنجلاديش يشكلون نحو ٩٠% من مجموع السكان، بينما يشكل الهندوس ٨%، والعقائد الأخرى بما في ذلك البوذية والمسيحية تشكل البقية.

إنها انتكاسة غريبة وعجيبة تضاف إلى جملة انتكاسات الأمة الإسلامية، حيث يلاحظ المراقب للشأن في بنجلادش تدهور الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي بأياد وبرامج خفية تعبث بمقدرات هذا الشعب المسلم المسكين.

فلم نسمع أبدا عن طمس هوية أمة ذات أغلبية سكانية تحت ضغط الأقليات، وهل قرار تخلي بنجلادش عن الإسلام دستوريا -أي نظريا- سيوقف الهجمات ضد الأقليات؟! هذا إن هناك هجمات أصلا.

وقبل هذا الإجراء نجد قيام الحزب الحاكم العلماني «رابطة الشعب» أو «رابطة عوامي» عام ٢٠١٠ بإنشاء «محكمة الجرائم الدولية الخاصة»، لمحاكمة خصومهم

ومنافسيهم الإسلاميين، وهي محكمة لا ترقى إجراءاتها القضائية للمعايير الشرعية ولا الدولية، بحسب ما أكدته المنظمات الدولية المختصة.

والتهم التي يدعيها الحزب الحاكم لنحو تسعة من قادة الجماعة الإسلامية التي أسسها أبو الأعلى المودودي أنهم عارضوا الاستقلال عام ١٩٧١ وتعاونوا مع القوات الباكستانية لإبقاء الوحدة ضمن باكستان الإسلامية، في مواجهة الهند الهندوسية، وهي تهم غير مسلم بها، ومواقف من أربعين عاما لا يستطيع أن يقيم عليها دليلا يوجب القتل، وتم تسييسها لأغراض حزبية، بشهادة خبراء مستقلون في القانون.

ونشأ عن هذه المحكمة عدة أحكام بالإعدام، نفذت الحكومة أولها في (عبد القادر ملا) نائب الأمين العام للجماعة الإسلامية في بنجلاديش، ولم يشفع له أنه شيخ كبير أو أنه مقعد كسير، أو يتحلى الحزب الحاكم بأخلاقيات الخلاف نحوه، رحمن الله وإياه.

كما أعدمته سلطات بنجلاديش الشيخ (علي إحسان محمد مجاهد) [٦٧] عاما] والشيخ (صلاح الدين قادر تشودري) [٦٦ عاما] العضو السابق في البرلمان عن حزب بنجلاديش القومي الذي ترعته رئيسة الوزراء السابقة خالدة ضياء. وذلك على خلفية إدانتهم في ما وصف بجرائم حرب، وقتل لكبار المثقفين في البلاد .. يعد مجاهد ثاني أرفع عضو في حزب الجماعة الإسلامية، أكبر الأحزاب الإسلامية في بنجلاديش.

وقد قامت الحكومة البنجلاديشية -علمانية التوجه- بقتل مئات من المحتجين والمعتصمين في الميدان الرئيسي بالعاصمة «دكا» وسجن قرابة الخمسين ألفا، وذلك عقب تظاهرة مليونية نظمها، مطالبين فيها بإسقاط الحكومة وبقانون جديد ضد التهجم على الإسلام، كما تأتي أيضا بسبب انتهاك الحكومة للحريات وتضييقها على المعارضين، وحكمها على الكثير منهم بالسجن والإعدام؛ علاوة على سماحها للعلمانيين بسبب الإسلام ومقدساته.

ومما يؤسف له أيضا أن حكومة بنجلاديش أصدرت قراراً بأنها ستحيل للمحكمة الخاصة كل من يؤيد المتهمين من قادة الجماعة الإسلامية، ويطالب بإطلاق سراحهم، أو عدم محاكمتهم، أو حتى مجرد الدعاء الصريح في المساجد بتفريج الله عنهم. يذكر أن عددا كبيرا من الشيوعيين في وزراء حكومة بنجلاديش - وهم لا يقلون عن نصف عدد الوزراء - يضغطون على الحكومة للقضاء على الجماعة الإسلامية، وتضييق الخناق على قادتها، علما بأن حكومة بنجلاديش الحالية قامت بحذف البند الأساسي من دستور البلاد، وهو الإيمان بالله وتكوين العلاقة مع الدول المسلمة. وقد كشفت أوجه هذه المؤامرة عبر ما يسمى بفضيحة سكيبي (Skype) وذلك بما حصلت عليه جريدة إكونوميست اللندنية من تسجيلات صوتية لرئيس محكمة الجرائم الدولية النجلاديشية مع أحد المحامين الموالين للحكومة عبر سكيبي (Skype).

ولقد كان أول أمير للجماعة الإسلامية في بنجلاديش بعد الاستقلال هو الشيخ (غلام أعظم) الذي وقف حياته في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ولإعلاء كلمته، وعاني من السجن عدة مرات، وأكره على الإقامة بخارج البلاد حوالي ثمان سنوات، وسلبت جنسيته.

وتعاقبه الشيخ (مطيع الرحمن نظامي)، وكان وزيرا للزراعة ثم الصناعة سابقا، حيث أجرى إصلاحات كبيرة في هذين المجالين. كما دَوّن نظامي قرابة ٥٠ كتاباً ومقالة، بصفته كاتباً ومفكراً وعالماً، وقد أعدم أيضا مؤخراً.

وقد دعا كثير من النشطاء «منظمة المؤتمر الإسلامي» إلى: إصدار بيان علني يدين النشاط غير القانوني لحكومة بنجلاديش. استضافة اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. انتقاد ما يسمى المحكمة الجنائية ببنجلاديش بأنها عمليا غير متناسقة مع المعايير الدولية .. لكن لا حياة لمن تنادي. بل جاءت ردود أفعال البلدان المسلمة محدودة على تنفيذ أحكام الإعدام.

ولم نجد موقفا مشرفا سوى الموقف التركي، حيث نددت الخارجية التركية بشدة -في بيان لها- بتنفيذ السلطات البنغالية حكم الإعدام الأخير بحق نظامي، وأمر الرئيس أردوغان بسحب السفير التركي.

وقال أردوغان معقباً على إعدام الشيخ مطيع، في كلمة ألقاها أمام حشد من المواطنين خلال مراسم افتتاح عدد من المشاريع الخدمية، في ولاية «قوجة إيلي» شمال غربي البلاد إن "هذا الحادث لو وقع في الدول الغربية لأقاموا الدنيا، لكن لأن المعدم هنا زعيم مسلم لم ينبسوا ببنت شفة".

وأضاف: "الذين ينتقدون تركيا يومياً بسبب صدور أحكام قضاء، رغم عدم وجود عقوبة للإعدام بها، ولما تقوم به من عمليات أمنية ضد الإرهاب، يغضون الطرف ويصمون السمع عن تنفيذ حكم الإعدام الأخير في بنجلاديش"، واصفاً ذلك بـ "غياب الضمير، وعدم الإنصاف، والرياء".

كما وجهت منظمة «هيومان رايتس ووتش» انتقادات للمحكمة التي أصدرت الحكم، معتبرة أنها منحازة تجاه الادعاء العام، حيث منع الدفاع من استدعاء شهود مهمين للإدلاء بشهاداتهم من بينهم شهود في قضية "تشودري" كانوا سيثبتون براءة الشيخ.

وتقرير حقوق الإنسان ٢٠٠٩ الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية - من بين مصادر أخرى- يوضح أن النظام في بنجلاديش أوجد حكما يقوم على الرعب في جميع أنحاء البلاد، حيث الثأر السياسي، وإنشاء زنانات التعذيب في المؤسسات التعليمية وغيرها، وازدياد حالات الاغتصاب للمسلمات، وتصاعد أعمال العنف والقتل للمعارضة.

تعد بنجلاديش ثالث أكبر بلد مسلم في العالم بعد إندونيسيا وباكستان (أكثر من ١٤٥ مليون نسمة)، ومع ذلك يتحول دينهم الإسلام إلى دين أقلية يوما بعد يوم، حتى يحرموا الحرية الدينية، ولكي تصبح بنجلاديش مجتمعا علمانيا تنتشر فيه حرية التدين، ومن ثم التحول إلى غير الإسلام، حيث تمر بنجلاديش بمرحلة انتقال كبيرة من مجتمع مسلم ليبرالي إلى مجتمع علماني متطرف.

جدير بالذكر أنّ بنغلاديش نالت استقلالها عن باكستان عام ١٩٧١ نتيجة حرب داخلية بين شرق وغرب باكستان الذي نالت استقلالها عن الهند في عام ١٩٤٧. وعقب مطالبة جزء من قاطني شرق باكستان بالاستقلال عن الدولة، قامت الحكومة في إسلام آباد بإرسال قوات إلى تلك المناطق، الأمر الذي أدّى إلى نشوب حرب داخلية، وأسفر عن نزوح قرابة ١٠ ملايين باكستاني باتجاه الهند. ودفعت هذه العملية الحكومة الهندية في ديسمبر عام ١٩٧١، إلى احتلال شرق باكستان المعروف حالياً ببنجلاديش، وإعلان دولة بنجلاديش فيه، بعد صراع دام لمدة تسعة أشهر راح ضحيته أكثر من ثلاث ملايين مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملوك من زمن عربي فات

«الربيع العربي قادم لا محالة» .. تلك قناعة عارمة تخيم على المجتمع الخليجي قاطبة، حكاما قبل المحكومين، الأمر الذي دفع بالكثير من قيادات الدول الخليجية إلى المسارعة في السماح بهامش من الحرية الوهمية والدور الرقابي الصوري للكيان الشعبي، في محاولة للالتفاف على رغبات هذه الشعوب، وترسيخ الحصانة التي تتمتع بها دوائر الحكم الملكية، والحياة الخاصة للأمرء وأفراد العائلات المالكة، فضلا على التغاضي عن مناقشة سياسة إنفاق ثروات الأمة النفطية ... حيث تظل هذه القضايا خطأ أحمرًا من يتجاوزه فهو يغامر برقبته.

بدأت إرهابات التغيير بموجة عارمة من المنح المالية السخية بقرارات ملكية وأميرية شملت تحسين الأجور وإعانات بطالة وزيادة دعم السلع، حتى أن في الكويت صرفوا الحصة التموينية سنة كاملة مجاناً، وبدأ الحكام وكأنهم يشترون العروش من الشعوب، لكن يبدو أن صناع القرار رأوا أن هذا وحده لا يكفي لإقناع عقلاء شعوبهم، وأن الحرية هي مطلب جماهيري ملح لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال.

وكانت السعودية رائدة هذه العملية التخديرية باقتدار، حيث أعلن العاهل السعودي عبد الله بن عبد العزيز أنه سيتاح للمرأة السعودية الحصول على عضوية مجلس الشورى اعتباراً من دورته القادمة، والمشاركة بالترشح والترشيح في الانتخابات البلدية القادمة.

وقال ملك السعودية في خطاب متلفز بمناسبة بدء أعمال الدورة الجديدة لمجلس الشورى: «لأننا نرفض تهميش المرأة في المجتمع ونريد مشاركتها في كل دور يتفق مع الشريعة، قررنا بعد التباحث مع علمائنا وغيرهم، قررنا مشاركة المرأة في مجلس الشورى عضواً اعتباراً من الدورة القادمة ووفق الضوابط الشرعية».

وأضاف: «يحق للمرأة أن ترشح نفسها لعضوية المجالس البلدية من الدورة القادمة، ولها الحق في المشاركة في ترشيح المرشحين وفق ضوابط الشرع» في إشارة

إلى حق الاقتراع. وأكد أنه اتخذ قراره هذا «لأننا نرفض تهميش دور المرأة في المجتمع السعودي في ظل مجال عملها وفق الضوابط الشرعية، وبعد التشاور مع كثير من علمائنا في هيئة كبار العلماء ومن خارجها والذين استحسنوا هذا التوجه وأيدوه».

وهكذا بدا الملك وكأنه أنصف الحرية الجماهيرية كاملة بإعطاء المرأة حق الترشيح والترشح، في محاولة للالتفاف على الحرية الحقيقية التي يريدها الشعب والتي تمكنه من مشاركة حكامه في كافة القرارات المصيرية المتعلقة بشروات الأمة وسبل توظيفها، فضلاً عن قضية الأمراء الذين تضخمت سلطاتهم وثرواتهم إلى حد الورم السرطاني، ووضع منطقة الخليج على المستوى التقني والعلمي والعسكري المتدهور حتى باتت أكثر مناطق العالم استهلاكاً واعتماداً على منتجات الآخرين، وكأن النفط لن ينضب والثروة المالية الضخمة لن تتآكل .. وغيرها الكثير من الملفات الشائكة التي تحتاج إلى المصارحة والشفافية في التعامل معها.

يذكر أن مجلس الشورى الذي لا يكف حكام السعودية بالحديث عنه عند تناول قضية الحريات أنه مجلس ليس لأعضائه أي حقوق تشريعية، أو رقابية على أداء السلطة التنفيذية، ومناقشاته غالباً ما تتناول قضايا ثانوية، وتتمخض فقط عن توصيات غير ملزمة للحكومة التي تحتكر إصدار كل القرارات.

أما في الإمارات فكانت الجهود الحكومية ساذجة لأبعد غاية، حيث تمت انتخابات «المجلس الاستشاري» بإقبال ضعيف من ربع الناخبين فقط، مما يؤكد على أن الناخب الإماراتي لا يقتنع بهذا المجلس أساساً في العملية السياسية، وهو محق في قناعته تلك لأن هذا المجلس في واقع الأمر له سلطة استشارية فقط، كما أن هذا المجلس يتم الانتخاب فيه على نصف عدد المقاعد الأربعين فقط، والنصف الآخر (٢٠ مقعد) بالتعيين المباشر من قبل الحكومة. أي أنه مجلس شكلي ذو سلطات شكلية أكثر منها فعلية.

وفي عمان والبحرين لا تختلف الصورة البرلمانية عنها في سائر دول المنطقة، لكن يحق القول بأن البرلمان الكويتي ظل الأشهر والأحسن والأكثر حرية وانفتاحاً في ممارسة دوره في استجواب الوزراء والتصدي لقضايا الفساد، لكن يبدو من النهج

الحكومي أنه نادم على هذه المساحة من الحرية، حيث سبب هذا البرلمان صداع مزمن في رأس قادة الحكومة الكويتية الأمر الذي تطلب حل البرلمان أكثر من مرة والدعوة إلى انتخابات مبكرة، وما ببعيد عنا في تلك الأيام قضية الرشاوى الحكومية الفلكية التي وضعت في الحسابات البنكية لبعض النواب في محاولة لتكليم الأفواه وتهميش دور البرلمان واقتصاره على التصفيق لخطابات الحكام العصماء وإدمان التصويت بـ «موافقون» كحال سائر المجالس النيابية في منطقتنا العربية، أي إنها عملية تدجين أنفقت عليها القيادات الغالي والرخيص في محاولة لإتمامها.

هكذا بدت ظاهرة «الاستئثار بالسلطة» مهيمنة على فكر وسلوك قادة الخليج، وتلاشت معها كل المبررات في إقناع المواطن بها كخصوصية منطقة الخليج أو أن الإصلاحات لا بد أن تتم بصورة تدريجية ولو بطيئة، والتغني بمنظومة الحفاظ على الاستقرار والأمن وتجنيب البلاد ويلات التشرذم .. كلها محاولات لا تنطلي إلا على السدج، ولا ترضي إلا عقلية الحكام أنفسهم والتي تحتاج لأن تعي جيدا بأن الزمن تغير والأوضاع تبدلت والشعوب صارت أكثر انفتاحا ووعيا وأن فكرهم إن ظل على هذا الانغلاق فسوف يفوتهم القطار وبواجهون نفس مصير أسلافهم في دول الربيع العربي، فهل يتفهم قادة الخليج هذه القضية أم أنهم ملوك من زمن فات؟!.

بسم الله الرحمن الرحيم

الزعماء الآلهة

قال مصدر بالشرطة الفرنسية إن أميرة سعودية تقدمت بشكوى في باريس، الجمعة ٥ أغسطس/آب ٢٠١٦، لسرقة ساعة يد قالت إن قيمتها مليون يورو (١.١١ مليون دولار).

وأوضح المصدر أن الأميرة أشارت إلى أنها تعرضت لهجوم من رجلين انتزعا ساعتها قبل أن يلوذا بالفرار.

هذا الخبر كان متزامنا مع خبر آخر يقول:

ساشا أوباما، بنت الرئيس الأميركي باراك أوباما، تركت رفاهية البيت الأبيض لتجرب عناء الحياة اليومية الذي يتعرض له المواطنون العاديون في الولايات المتحدة. وبحسب BBC، فإن الفتاة ذات الـ ١٥ عاماً، بدأت العمل في مطعم لتقديم المأكولات البحرية في مطعم بمدينة "مارثا فينيارد" بولاية ماساتشوست الأميركية، كوظيفة صيفية.

ساشا التي استخدمت اسمها الحقيقي في المطعم "ناتاشا"، صاحبها ٦ عناصر من المخابرات السرية، بحسب ما نقل موقع "بوستون هيرالد".

وتظهر الصور بنت الرئيس الأميركي الصغرى وهي ترتدي زيّ المطعم الموحد، المكون من قميص وقبعة زرق، وتعمل عند درج النقود.

أحد العاملين قال لموقع "بوستون هيرالد"، إن بنت أوباما كانت تعمل بقسم الطلبات الخارجية.

بجانب عملها في خدمة الطلبات الخارجية، فإن ساشا تعمل أيضاً في تحضير المطعم قبل فتحه، وخدمة الزبائن.

وكما يقولون: «بضدها تتميز الأشياء» فالخبران يشكلان تصور سياسي واقعي عن زعمائنا الآلهة في وطننا العربي البائس.

زعماء لا يسألون عما يفعلون وهم يسألون .. زعماء هم كل شيء في الدولة: الدستور والقانون، والمزاج والميول، والشخصية والنفسية. والمحزن في الأمر، أن كل هذه المميزات والمكتسبات على غير موهبة فذة ولا مكانة علمية ولا حتى ملكات شخصية.

فإذا تتبعنا المسيرة الملكية التعليمية والشخصية تجد العجب العجيب. فأحدهم تقول عنه سيرته الذاتية: (نشأ في كنف والدته) وكأن الوالد أحد أساطين العلم، أو جامعة هارفارد الشهيرة (والتحق في طفولته بمدرسة الأمراء) أي المرحلة الابتدائية (ودرس فترة من الزمن في معهد العاصمة النموذجي) أي أنه فشل في إتمام المعهد (وشرع في أواسط العقد الرابع من عمره في تلقي دروس خاصة باللغة الإنجليزية) الله الله على الرسوخ العلمي والفكري (كما تلقى دروساً مكثفة في مواضيع متنوعة من السياسة إلى الأدب) .. فهل هذه مؤهلات رجل يقود بلاد ذات ثقل ديني وسياسي.

لكن المفدى كانت همته في كونه زائراً متريداً لمدينة ماريبا الإسبانية منذ سبعينات القرن الماضي، ويملك قصره الخاص حيث كانت ولا تزال هذه المدينة قبلة الكثير من الملوك والأثرياء والمشاهير.

أما قبلة همته الأخرى فكانت في الزواج حيث تزوج ١٤ زوجة، منها فلسطينية مسيحية وحاصلة على الجنسية البريطانية.

ومنهم من تقول سيرته العلمية: نشأ في كنف والده!!، واستفاد من مدرسته وتجاربه في مجالات الحكم والسياسة والإدارة والقيادة. تلقى تعليمه على يد عدد من المعلمين والعلماء، وكان تعليمه على طريقة الكتاب ودروس العلماء وحلقات المساجد وغيرها. وله مطالعات واسعة في مجالات متعددة من المعرفة والثقافة وعلوم الحضارة!!

ومن بعده جاء الذي تلقى تعليمه المبكر في مدرسة الأمراء بالرياض التي كان يديرها الشيخ عبد الله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام. ختم القرآن كاملاً وهو في سن العاشرة. وتزوج حياته العائلية بالزواج خمس مرات.

ومن الغريب أن هؤلاء قبل تولي الملك كانوا وزراء!! سواء للدفاع أو الداخلية أو التربية والتعليم أو غيرها من المناصب الحساسة في الدولة، ولم يحصل واحد منهم على درجة علمية مرموقة، أو رتبة متخصصة في مجاله القيادي أو السياسي أو العسكري أو الأمني أو التربوي.

هذا في الوقت الذي تجد فيه صلاحياتهم صلاحيات مطلقة بصورة لم يحصل عليها رئيس الولايات المتحدة أو فرنسا أو بريطانيا أو ألمانيا أو غيرها من الدول ذات الرسوخ الديمقراطي العريق.

أما عن حياة البذخ والترف فإنما تدل على انعدام الرقابة الشعبية، والتلاعب بمصير الدولة الآن والمستقبلي، فضلا عن تبديد ثرواتها الغير متجددة .. وهي حياة كما تتسم بالمبالغة تتسم أحيانا كثيرة بالمجون والاستهتار ممن يفترض فيهم أنهم قادة وقدوة يتحملون عبء القيادة ويصطلون بعنائها قبل أن يتعموا بخيرها وامتيازاتها.

ومواقع النت طافحة بسرديات هذه الحياة وأحداثها ومجونها، وكأنها أساطير من القرون الوسطى، لكن الأسئلة تتزاحم حول هذه القضية الشائكة: كيف تدار هذه الدول بعقلية القرون البائدة أو القبائل الغابرة، في الوقت الذي يحكم العالم المتحضر دول مؤسسات؟

وما علاقة الملوك والأمراء بالمغرب وسر تملك قصور بها؟ وما هو سر النجاح في تدجين الشعوب بهذه الطريقة اللافتة؟ وهل سيستمر هذا التدجين في ظل التطورات الإقليمية خاصة الحروب الطاحنة وتدني سعر النفط؟

ومتى ستدرك هذه النخب أننا صرنا في عالم مفتوح، على الأقل إعلاميا وسياسيا، والكل يتحدث وينتقد ويمتعض، ويطرح رؤياه ويث شكواه على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من مكونات العالم الرقمي.

وأخيرا متى تطرح هذه القيادة الأسلوب العتيق في إدارة شئون البلاد، القائم على تجاهل الشعوب، ويغيروا نمط حياتهم السياسية بالتلاحم مع إرادة شعوبهم وأمانيه، بدلا من ولاءات للغرب أو للشرق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملك يشتري العرش من الشعب!!

أطل علينا ملك الإنسانية!! «عبد الله بن عبد العزيز» اليوم الجمعة ٢٣/١١/٢٠١١ بخطاب تاريخي كان من المتوقع -برأي المراقبين- أن يحدث فيه جلالته تعديل وزاري، لكننا فوجئنا -وفوجئ العالم أجمع- بسيل من الهبات الملكية والمنح السخية بصورة جنونية لم تعرفها المملكة من قبل!!، والتي طالما كان يحدثنا إعلامها الرسمي عن برامج التنمية الجبارة حتى يخيل للمشاهد أن سلطة المملكة قد استوفت كل البرامج التنموية عن بكرة أبيها.

عموما أنا لن أكرر كلامي الذي ذكرته في مقالي السابق «حتى الملك لم يفهم الدرس!!» إبان المنحة السابقة لجلالته فور عودته من رحلته العلاجية.

لكن إشكالية القضية العامة للإصلاح السياسي في العالم العربي ما زالت مطروحة بشكل كبير، والخطر فيها أن أنظمة الحكم الثرية كالكويت والسعودية وسائر الدول النفطية تحاول أن تلتف على هذه القضية بطريقة السخاء المنقطع النظير، وكأنهم يشترون العروش من شعوبهم، وهذا من منطلق «أطعم الفم تستحي العين» كما يقولون بالمصري، خاصة وأن فائضات النفط مكدسة في خزائن تلك الدول مما يسهل من مهمتها في الالتفاف على الثورات.

وأتساءل وأظل أتساءل: هل القضية في ملء البطون أم في تردي أوضاعنا السياسية، وتراكمات الكبت، والفساد، والاستبداد، وغياب الشفافية والعدالة الاجتماعية والرقابة الحقيقة على ثروات الأمة.

- هل من المعقول أن أسرة واحدة بها آلاف الأمراء والأميرات يجثمون على صدور شعب كبير مثل السعودية أو الإمارات ... ويتلاعبون بمقدراته وثرواته دون حسيب ولا رقيب.

- وهل من المعقول أن تنظم دولة صغير مثل الإمارات وقطر مسابقات دولية في الفروسية والجولف والتنس .. وكل من يحصد جوائزها كافة «أجانب»، كل هذا من أجل الظهور بمظهر متأنق وحضاري أمام المجتمع الدولي.

- وهل من المعقول أن تصرف آلاف المليارات لتنظيم دورة كأس العالم في كرة القدم في قطر بملاعب مكيفة وترف منقطع النظير في نفس الوقت الذي تبيت آلاف الأسر في غزة بالعراء وتسيل فيه دماء الأبرياء في القدس وأفغانستان وباكستان وغيرها من المناطق الساخنة في العالم والتي جلها وللأسف إسلامية.

- وهل يعقل أن تظل منطقة الشرق الإسلامي أكبر منطقة مستوردة للسلاح ويا ليتة لتحرير الأقصى وفك حصار الجوعى في غزة ولكنه لتشغيل مصانع السلاح الغربية وتدعيم الملف الأمني لقهر الشعوب الطواقة لعبق الحرية.

- هل من المعقول يا «أبا متعب» أن تشتري المملكة بـ ٤٨ مليار دولار طائرات حربية في الفترة الأخيرة، وعندما أرادت الأمة العربية كافة تنفيذ حظر جوي على الطاغية القذافي الذي يذبح شعبه، كان هذا العمل من نصيب مجلس الأمن والدول الغربية في غياب الجيوش العربية المغورة والتي اكتفى الزعماء العرب الأشاوس في هذا الأمر بإحالة القضية لمجلس الأمن.

- هل من المعقول يا أبا متعب أن تجند قلادة الملك عبد العزيز الذهبية لتكريم القادة الغربيين الذين امتصوا أموالنا ودمائنا على أعين العالم أجمع.

- هل من المعقول أن تفشل كل السياسات العربية طيلة عقود وعقود في اجتثاث الورم الإسرائيلي السرطاني من جسد الأمة.

.. هل من المعقول والمعقول والمعقول حتى صار لا معقول في كل تصرفاتكم!!

يا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ... شعوبكم تتساءل:

- لماذا لا نكون دولة مثل اليابان أو ألمانيا أو حتى ماليزيا رغم توفر الثروات البشرية والموارد المالية والجامعات المتراكمة في أنحاء دولكم وممالككم؟

- ما هو سر الفجوة التكنولوجية الجبارة بيننا وبين الغرب والتي تتسع كل يوم من أيام حكمكم لنا، رغم الخطط التنموية والسياسات الرشيدة التي تشدقون بها؟
- لماذا يحركننا الغرب ويستعمروا اقتصاديا وعلميا وسياسيا؟
دعوني أكون صريحا معكم، في أنها إجابة واحدة بالإجماع الحقيقي لكل عقلاء الأمة، لا إجماع وهمي كما في انتخاباتكم المزورة ... العقبة الوحيدة هي «أنتم»!!
نعم أنتم!!

أنتم تتعاملون معنا وكأننا أصحاب بطون لا أصحاب عقول وحقوق.
أنتم تتعاملون معنا وكأننا جمادات ملك لكم لا شعوب لها مصير وضمير.

عموما هذه المنح السخية من الملك المفدى كانت في غير موضعها، ولن ترضي شرفاء الأمة والطامحين لحريتها واستقلاليتها وشفافيتها.
الطامحين للتغيير الشامل لا الجزئي، والعميق لا السطحي، والجذري لا الفوقي، والمستقر لا الوقتي، والمنضبط لا الفوضوي، والمتدرج قطريا إلى العالمية.

فتاوى هيئة كبار العلماء لن تنفعكم يا أصحاب العروش والكروش
ولا أموالكم ستنجح في شراء الذمم الأبية
لا حل إلا أن تقفوا على الداء الحقيقي وتتخذوا له دواء، ولا دواء أنجع وأسرع
من رحيلكم من فوق صدورنا
وإن فرج الله تعالى قريب

بسم الله الرحمن الرحيم

المليك وهواية جمع الأوباش!!

أن ترى محترف جمع طوابع فهذا شيء عادي، بل هواية راقية وعريقة .. وأن ترى من هو مغرم بالعملات التذكارية والتحف الفنية فهذا ينم عن ذوق رفيع .. لكن أن ترى من لا هم له ولا همة عنده إلا في إيواء الأوباش الذين لفظتهم شعوبهم ولعنهم قلوبهم فهذا مما لا أجد مبررا له من ذوق أو حس أو مبدأ أو أي قيمة تذكر .. وأعجب من هذا أن يخرج صاحب هذه الهواية العفنة بتبرير هذا السلوك الشائن بمبررات هي أشد وقاحة من سلوكياته النكراء، حيث قال من يمثله: «إن الأخلاق العربية دأبت على أن المستجير يجار» .. هكذا وبكل بساطة؟! ودون أدنى اعتبار للدماء التي أريقته! ولا للأمم التي انهارت من طول سنوات الاستبداد والقهر والفساد!.

إن حال «ملك السعودية» في هذه الأيام حال عجب، حيث احتضنت الطغمة الحاكمة من أبناء سعود الرئيس اليمني «علي عبد الله صالح» والذي أصيب في حادث مجهول داخل قصره الذي تحصن به من شعبه الأعزل المسكين. وهذا ثاني رئيس تؤويه الأسرة الحاكمة في بلاد الحرمين بعد الرئيس التونسي «بن علي» ولو شئت لسميت الثالث، الذي حالت الأقدار دون انضمامه لشلة الفساد والإفساد، ألا وهو «حسني مبارك» عليهم جميعا من الله ما يستحقون.

وإيواء رئيس اليمن حدث في مشهد شديد التعقيد وعصي على الفهم، بل إن حالة الرئيس اليمني علي عبد الله صالح الصحية يكتنفها الغموض بسبب التعتيم الإعلامي المفروض من قبل السلطات السعودية حيث كان يرقد الرئيس اليمني في أحد مستشفيات الرياض.

أما التسريبات الإعلامية فليس لديها سوى النذر اليسير من الأخبار عن إصابة الرئيس اليمني بجروح خطيرة، وتعرض أكثر من نصف جسده للحرق، وتوقف إحدى

رئتيه عن العمل، كما إن إحدى الشظايا تسببت في جرح عمقه سبعة سنتيمترات، وأن فترة علاجه ستطول.

ولعل ما هو أغرب من كل ذلك، هو غياب شبه كامل للمعلومات حول حقيقة ما حدث في المسجد الرئاسي يوم الجمعة الماضي (٢٠١١/٦/٣)، فلا أحد يستطيع أن يقدم صورة عما حدث في اللحظات الحرجة، فهل إصابات الرئيس اليمني ومساعديه مثل رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب نتجت عن صاروخ جرى إطلاقه من الخارج، أم هي محاولة اغتيال داخلية، أقدم عليها أحد حراس القصر من الموالين للشوار أو قبيلة حاشد التي يتزعمها الشيخ «صادق الأحمر» الخصم الرئيسي للرئيس؟ وتفيد الأخبار الشحيحة الواردة من وكالات الأنباء أن الرئيس اليمني الذي كان يتواجد في الرياض طريقا على سرير المرض، يتعرض لضغوط كبيرة من قبل مضيفته لتغيير موقفه، والقبول بالمبادرة الخليجية مع تقديم ضمانات سخية جرى عرضها عليه، بما في ذلك الحصول على مبالغ كبيرة من الأموال، ومنحه حصانة من أي ملاحقات قانونية من قبل خصومه .. وطبعا كلمة «خصومه» كلمة تنطوي على كثير من الخبث والدهاء، لتصوير الموضوع بأنه تصفية حسابات شخصية، والأمر في واقعه وحقيقته مغاير تماما، فليس للرئيس اليمني خصوم سوى أبناء شعبه المساكين الذين أذلهم وأفقرهم.

وهكذا دأب «المليك» كما يطيب له أن يسميه المداهنون من أبناء شعبه .. دأب على تحدي مشاعر الأمم المنكوبة التي ذاقت الويل والهوان من حكام استنزفوها لعقود وعقود، وفتح أحضان دولته لكل غاصب عرييد، مما لا أجد له مبررا ولا حتى في أعراف الشهامة والمروءة.

وبدلا من أن ينصف هذه الجموع المهضومة المتشاركة معه في الدم والعرق واللغة والدين، ولا يفتح ذراعية -على الأقل- لهؤلاء الخونة، لا أقول يبادر لتسليمهم لشعوبهم كي تحاكمهم وتسترد أموالهم التي نهبها منهم .. بدل كل هذا، آواهم وأنهم من الملاحقات القضائية وضمن لهم أموالهم المنهوبة، مما لا أجد له تفسيرا إلا قول العرب قديما: «الطيور على أشكالها تقع».

لقد أبانت مثل هذه التصرفات عن المعدن الحقيقي لحكامنا الذين دأبوا على خداعنا بمعسول القول، والحديث عن الإنجازات الوهمية والإحصاءات الرقمية المفبركة، التي لم يلمسها رجل الشارع في يوم من الأيام، ومازالت القاطرة العربية بعد عقود وعقود من حكمهم وخطبهم الحماسية الرنانة في ذيل القائمة العالمية على الصعيد التكنولوجي والاقتصادي والسياسي...

ملك المملكة السعودية وأمرائها أنفقوا ثروات الدولة النفطية في تكميم الأفواه الناقدة وشراء الذمم الخربة وتدعيم الأنظمة الدكتاتورية بالمنح السخية التي تستر عيوبهم وتفضح عوارهم.

وليس بعيد ذلك الموقف الشائن الذي أبان عنه «المليك» عندما امتعض أشد الامتعاض مما يلقاه حسني مبارك على يد شعبه، وأرسل رسالة ساخنة للأمريكان ينتقد مشاركتهم في إذلال صديقه الحميم مبارك، عندما تخلوا عنه أمام الموجة الشعبية العارمة التي أقالته، وكأن المليك يحترق كمدا وغيظا لأنه لم يستطع أن يضمه إلى شلة الفساد في بلاده، وهو من هو، الذي عاث في ديار مصر فسادا وتخربا وموالاة سافرة لأعداء شعبه من صهيونيين وأمريكيين، ما هو جلي للعين ولا ينكره إلا كل جاحد معلوم النفاق.

كما لا أنسى منذ أشهر قليلة ماضية، وقبل ربيع الثورات العربية، كيف استأسدت الطغمة الحاكمة في المملكة على النخبة الدينية فيها، وحظرت الفتوى إلا على هيئة كبار العلماء ثم وعدت بمشروع يقن عملية الفتوى ولم يخرج علينا المشروع، وأغلقت العديد من مواقع الإنترنت الراقية التي كانت تنفع ملايين المسلمين (موقع الإسلام سؤال وجواب نموذجا)، ثم موجة الفتن العارمة التي تحدث مشاعر علماء المملكة، والتي أوعزت السلطات الحاكمة فيها للمشايخ الموالين لها بإثارتها، وما قصة رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي المنكر بمنطقة مكة بعبدة.

ومع ربيع الثورات العربية، سرعان ما غير حكام المملكة جلدتهم، وعادوا والنفوا حول علماء المملكة وهيئة كبار العلماء فيها، بل وظفروا منهم بفتوى تحرم الخروج على الحاكم، رغم مخالفة هذه الفتوى لروح الشريعة الإسلامية، وأن الثورات العربية

في حقيقتها امتعاض سلمي من سنوات القهر والجوع والظلم، وليس فيها الخروج بالمعنى الشرعي المقصود، والذي يقوم على حمل السلاح وإثارة فتن ومقتلة عظيمة.. فالله أعلم بحقيقة هذه الفتوى، التي نعتقد أنها استخرجت تحت أسنة الرماح وعصا العقوبة الغليظة .. هذا غيض من فيض حول مثالب حكام المملكة على الصعيد الداخلي.

أما على الصعيد الخارجي فلا يفوتني التذكير بالتبعية المشينة للإدارة الأمريكية، وغض الطرف عن القضية الفلسطينية، وصفقات السلاح المبالغ فيها والتي ليس لها دافع سوى استمرار دوران عجلة المصانع الغربية وتدعيم اقتصادياتهم المتعثرة، ولا أنسى طبعا قلادة الملك عبد العزيز الذهبية التي أهديت بحفاوة لرموز جبايرة النظام العالمي من أمثال بوش وأوباما وغيرهم.

ملفات وذكريات وأحداث يندى لها الجبين، وتصرفات لا أجد لها تفسيراً غير العمالة والخيانة حتى ولو تسربل حكام المملكة ظاهرياً بسربال الدين، الذي يأبى قطعاً مثل هذه التصرفات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المليك والخطوات الغير محسوبة

الجميع في أشد الدهشة من تصرفات أبناء سعود في المنطقة العربية خلال هذه الأيام بقيادة هذا المليك الذي يلقي بكل ثقله في أحضان الأمريكان غير مقدرا للعواقب ولا حاسبا لحساب الربح والخسارة الذي يسير به كل العقلاء، فضلا عن الرؤساء الأوفياء لبلائهم وشعوبهم.

منطقة الخليج العربي على شفا حرب طاحنة بين إيران من جهة والغرب من جهة أخرى، في معركة لن يسبق لها مثل في منطقة العرب، بل لم تكرر منذ الحرب العالمية الأخيرة، لأنها وبساطة ليست معركة تقليدية بين عربي هزيل وغربي قوي كما شاهدناها في حرب الكويت أو غزة .. إنها حرب بين قوتين لا يستهان بهما، فيإيران ليست كالعرب الضعفاء الذين بلغوا من الضعف درجة أنهم لا يقفون في المواقف العالمية وحدهم، بل لابد من تحالف روسي أو أمريكي، أما إيران فهي قوية بترسانة سلاحها الفتية التي صنعتها سواعد أبنائها الأبطال، وبالمناسبة فأنا لست شيعيا، ولا مروجاً للمذهب الشيعي، وأنا منهم في هذه القضية العقائدية براء.. لكننا نتكلم عن قدرات دولة ليست سهلة في حجمها، والغرب يعرف هذا تماما، وإلا لما أحجم حتى اليوم عن ضرب الترسانة النووية الإيرانية، خاصة وأنه يعلم جيدا أن الذراع الإيرانية طويلة جدا، وستطال صواريخها العمق الاستراتيجي لكل أعداء إيران، أو على الأقل لكل مصالح هؤلاء الأعداء في المنطقة.

ورغم هذا فنذر الحرب قائمة في ظل السعي الحثيث للدول الغربية على تحجيم النشاط الإيراني عبر منظومة من العقوبات السياسية والاقتصادية، وآخرها فرض الحذر على النفط الإيراني، ومع التداعيات الرهيبة لهذا القرار يتعاضم شبح الحرب.

فأخطر هذه التداعيات هو ارتفاع سعر النفط العالمي نتيجة غياب الحصة الإيرانية (٢ مليون برميل يوميا) مما يفاقم الأزمة الاقتصادية العالمية المتفاقمة بالأساس، لكن خرج علينا هذا المليك المندفع، وبإيعاز بل وبأوامر من أمريكا،

بالتعهد بتعويض النقص في الإنتاج من آبار النفط السعودي، غير متفطن هذا الساذج أنه بهذا التصرف وضع نفسه في مواجهة مع إيران، وأشعل نار حرب لن تنفعه فيها الولايات المتحدة نفسها، خاصة وأن السعوديين لا يقارنون بالقوة الإيرانية على الإطلاق، حيث أنهم لم يتجاوزوا حتى الآن إتقان طبخ الكبسة وعمل السنبوسة، فما بالنا بحرب ضروس تدور أحداثها بالوكالة عن الغرب الذي لا يريد أن تقوم لنا قائمة أبدا، وقديما قالوا: «قطع الأرزاق من قطع الأعناق».

هذه الشهامة العربية الجوفاء رأيناها أيضا في حرب الكويت وليبيا، وكأن هذا المليك يتلاعب بشرة شعبه الموشكة أصلا على النفاد، والأبحاث الغربية نفسها على قدم وساق للحصول على مصادر طاقة بديلة، والقادة العرب لا يملكون في المدلهومات إلا البذل وبسخاء من ثروات بلادهم.

ورغم التجربة الأمريكية القاسية في العراق وأفغانستان، فإن اتجاه الولايات المتحدة قد ترسخ في الآونة الأخيرة على عدم الزج بأبنائها في أي حروب قادمة، وتبني سياسات «الحرب بالوكالة»، كما جري في اليمن وباكستان ضد تنظيم القاعدة، لكن مع تفاقم الأزمة الاقتصادية صار من الصعب أيضا سياسة الحرب بالوكالة، حيث عجزت اقتصاديات الدول الغربية في ظل الأزمة الرأسمالية الحالية على التوفية بمتطلبات هذا النوع من الحروب الذي يحتاج دعما ماديا سخيا للطرف المحارب ومده بالسلاح والمعلومات، وهذا من شأنه أن يرهق الميزانية الغربية المرهقة أصلا.

وهذه أيضا صعوبة تضاف لصالح الإيرانيين في أزمتهم مع الغرب، فضلا عن قدراتهم التسليحية الجيدة .. كل هذا تطلب من الغرب البحث عن متهور يقود الحرب بالوكالة وينفق عليها في ذات الوقت!!، ولا أفضل طبعاً من شيوخ الخليج الموالون للغرب والاقتصاديات الخليجية التي تتمتع بفوائض الميزانيات، خاصة وأن إشعال مثل هذه الحرب ينطوي على ربح دائم للغرب، أما الخسارة فتحملها المنطقة العربية التي تعودت على الخسائر دوماً، قادة وشعوبا، فإن من شأن هذه الحرب لو نجحت أن تكسر شوكة الإيرانيين وتستنزف ثروات الخليج، وفي الوقت ذاته تجنب

الغرب الخسائر البشرية في صفوف جيوشه فضلا عن تشغيل آلاف المصانع التي تعمل في السلاح ومتعلقاته والتي تدر أرباح فلكية للاقتصاديات الغربية المتعثرة. إن إيران وإن كانت لها أطماع في المنطقة إلا أنها ليست ببشاعة الأطماع الغربية عند المقارنة بينهما، والضير الأكبر لامتلاك إيران سلاحا نوويا يقع على الغرب بالدرجة الأولى، ونحن كعرب لن يصيبنا منه إلا غباره، فلا داعي لإشعال عداوة لا ناقة لنا فيها ولا جمل، أما قيادة حرب لا تعيننا وتستنزفنا من الألف إلى الياء فتلك حماقة لا نجدها في ماض ولا مستقبل لأي شعب أو قائد، فهل ينحاز شيوخ الخليج لشعوبهم ويجنبوها بحق الأمانة التي أوكلها الله لهم ويلات وويلات؟ أم أن موالاة الغرب لديهم صارت إدمانا لا فكاك لهم منه، وصارت الجفوة بينهم وبين شعوبهم عميقة لا يقربها شيء، وصدق -صلى الله عليه وسلم-: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم و يحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم».

بسم الله الرحمن الرحيم

حتى الملك فهم الدرس خطأ!!

طالعنا وكالات الأنباء بخبر عن عودة «ملك الإنسانية»!! إلى بلاده بعد رحلة علاجية، وكان مجمل الخبر كما يلي:

عاد العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى بلاده بعد ظهر الأربعاء بعد غياب دام نحو ثلاثة أشهر أجرى خلالها عمليتين جراحيتين في الظهر بنيويورك أمضى بعدها فترة نقاهة واستكمال للعلاج الطبيعي في قصره بالمغرب، وذلك في ظل تغيرات سياسية وحركات احتجاجية واسعة في المنطقة.

وبينما كانت الطائرة الملكية تحط على أرض مطار الملك خالد في الرياض، كان رجال يرقصون رقصة العرضة التقليدية فيما اصطف الأمراء والوزراء وأعيان المملكة لاستقبال الملك.

ووقفت نساء بالعباءات السود والنقاب في مكان منفصل وحملن الأعلام السعودية وصور العاهل السعودي احتفاءً بعودته.

وفي موازاة هذه الأجواء الإقليمية، أمر العاهل السعودي بمناسبة عودته إلى المملكة بسلسلة تقديرات اجتماعية بينها زيادة للأجور في القطاع العام، ومن أبرز هذه التقديرات تثبيت علاوة غلاء معيشة بنسبة ١٥% ودعم رأس مال صندوق التنمية العقارية وميزانية الهيئة العامة للإسكان.

وأمر الملك أيضا برفع رأس مال البنك السعودي للتسليف والادخار، ورفع الحد الأعلى لعدد الأفراد في الأسرة التي يشملها الضمان الاجتماعي من ثمانية أفراد إلى ١٥ وتقديم دعم مالي للأندية الأدبية والرياضية. كما أمر بالإفراج المشروط عن سجناء الديون.

وأعلن ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز يوم السبت يوم أجازة في السعودية للاحتفال بعودة الملك تضاف إلى إجازة نهاية الأسبوع الخميس والجمعة.

ومن المنتظر أن يعلن الملك السعودي عن تشكيل حكومي جديد لانتهاء مدة الحكومة الحالية منذ أكثر من أسبوعين واتخاذ عدد من القرارات الإصلاحية إضافة إلى قرارات تتعلق بمشاريع تنمية جديدة وتقليص حجم البطالة في المملكة المنتج الأول للنفط في العالم .. انتهى الخبر

وقفات ووقفات -مع هذا الخبر الميمون!!- تتوارد على الفكر، وتشفي بالحزن على بقايا أصحاب السمو والفخامة الذين ترجموا الأحداث الأخيرة في مصر وتونس وليبيا واليمن ترجمة مبتذلة لا تليق بشعوب اختارت الكرامة والحرية ولم ترض بغيرها بديلا.

أصحاب السمو لم يعوا الدرس جيدا، ورأوا أنها ثورات بطون خاوية تخمد لها لقمة عيش وحفنه دراهم، وغضوا الطرف عن القهر والكبت والتوزيع غير العادل للثروات والدول البوليسية وكثرة الخطوط الحمراء في بلادهم والتي تطال الملك نفسه والأمراء والحاشية وحاشية الحاشية والقائمة تطول وتطول

- أول وقفة شدت انتباهي هي: أين كان الملك؟ .. كان الملك -يا سادة- في رحلة علاجية في أمريكا!! رغم أن قياداتنا عودونا أنهم عندما يفتتحون كافة مستشفيات البلاد لا يفوت مدير المستشفى أن يشيد بالإنجازات الملكية أو الرئاسية فيها حتى باتت تضارع وتواكب التقدم الطبي والعلمي في أرقى الدول الأوروبية، ورغم هذا فصحة الملك تبرهن على كذب كل هذه الدعاوى، فما إن يصاب كبارؤنا بنزلات البرد وما فوقها إلا ويهرعون إلى الخارج، فالمغامرة والمقامرة لأبناء الشعوب المضللين المخدوعين، أما الذات الملكية فهي ذات مقدسة لا تحتل المجازفة.

- الوقفة الثانية عن فترة النقاهة التي قضاها «ملك الإنسانية» في قصره بالمغرب، وأتساءل، لماذا المغرب بالذات؟! وهل القصر الملكي هذا هو غير القصر الذي قضى فيه ولي العهد فترة نقاهته بعد علاجه من السرطان بأمريكا، أم أن الملوك الفضلاء اقتصدوا في معيشتهم واشتروا قصرا واحدا فقط بالمغرب لنقايتهم؟!، ولماذا لا يبلغ التقدير أشده وتقضون نقاهتكم بقصر الملك الراحل «فهد» بأسبانيا

المجاورة؟! ولا داعي لشراء قصر إضافي بالمغرب. ثم من أين لكم كل هذه القصور، وهل دخل الملك يكفي لشراء قصور خارج بلاده فضلا عن القصور داخلها.

متى نعرف أن الرؤساء والملوك هم مجرد موظفون لخدمة شعوبهم لا لامتطاء أكتافهم وبعثة ثرواتهم .. متى يحاسب أصحاب الفخامة سواسية كما يحاسب سائر الناس، وكما يرتضيه شرعنا وديننا وقيمنا الأصيلة، وكما يحدث في كافة المجتمعات المتقدمة، بل إن محاسبتهم حق أكد وفرض واجب لخطورة منصبهم، وحساسية قراراتهم، ورحم الله عمر بن الخطاب حيث روى البخاري في تاريخه الكبير وغيره "أن عمر بن الخطاب قال في مجلس، وحوله المهاجرون والأنصار: رأيتم لو ترخست في بعض الأمور ما كنتم فاعلين؟ فقال ذلك مرتين، أو ثلاثا: رأيتم لو ترخست في بعض الأمور ما كنتم فاعلين؟ فقال بشير بن سعد: لو فعلت ذلك قومناك تقويم القُدَح . أي عود السهم . فقال عمر: أنتم إذا أنتم ."

هذا هو عمر رضي الله عنه الكبير، صاحب التاريخ العريق والسيرة العادلة، فما بالنا فيمن هم دونه في القدر بمراحل ومراحل.

إن ما قدمه آل سعود للملكة لا يتركز إلا في توحيد الأب الأكبر الملك عبد العزيز لأطراف الجزيرة العربية، وقد نال شرف قيادة تلك الدولة الكبيرة تقديرا له على ذلك، بل وسماها على اسم عائلته، وبذلك وفي أهل الجزيرة له الجميل، لكن ليس معنى هذا أن يعتلي رقابهم أبناؤه وأحفاده طيلة العمر، في نظام عقيم لا يقوم على اختيار الأكفاء بل كبراء السن من أبناء العائلة المالكة، وكما لا أكون جائرا فليقدم لنا السادة الملوك شهاداتهم وخبراتهم ويستعرضوا قدراتهم كي تقتنع بهم شعوبهم التي ما اختارتهم يوما من الأيام في استفتاء شعبي حر ونزيه.

– الوقفة الثالثة: هل هذا السخاء الملكي هو المطلوب من الملك تجاه شعبه؟ أم أنه التفاف لتثبيت حكمه؟ وهل العروش المجاورة التي انهدمت على رؤوس ملوكها هي بسبب المجاعات فقط، أم أن للأمر خلفيات أعمق وأكبر وإن ظهرت لبادي الرأي أنها ثورات حركتها البطون الجائعة والجيوب الخاوية لا أكثر ولا أقل.

نعم لا ننكر أن شظف العيش كان المحرك الأول الذي أوقد شرارة الثورات، لكن لا يغيب عن الفاحص أيضا أن ثمة عوامل متشابكة دفعت بلهيب الثورة في كافة الأرجاء من كبت للحريات، وتقديس للقيادات، وحالة الانسداد السياسي، وغياب الشفافية، والفساد المالي الإداري، والتخلف التصنيعي والإنتاجي عموما .. والكثير من الملفات الشائكة التي يعتبر فتحها ضربا من الجنون والمغامرة.

فهل يستطيع الملك مثلا أن يجيب عن تساؤلات حول أعداد الأسرة الملكية من الأمراء والأميرات الذين ملئوا الآفاق، بل ويخبرنا عن أنشطتهم وممتلكاتهم داخل وخارج المملكة.

وهل يستطيع الملك أن يخبرنا عن كيفية توزيع ثروة البلاد، وخطط ملوك آل سعود المستقبلية لمرحلة ما بعد النفط.

وهل تستطيع القيادة السعودية تفسير تراجع مستوى المملكة المهني والإنتاجي -غير النفطي- وغياب الأيدي العاملة السعودية المدربة، حتى صرنا في بلد أقل ما فيه أنك تدخل أي من أسواقها وكأنك في «دكا» لا في السعودية.

كنت أتمنى من الملك المزيد من الحريات والمزيد من المصانع والمزيد من دعم البحث العلمي الحقيقي والمزيد من تدعيم لشعار «صنع بالسعودية».

كنت أتمنى أن تدعم السواعد المنتجة لا أن ترسخ ثقافة الاستهلاك والاسترخاء. كنت أتمنى القضاء على موجات التغريب التي ستغرق المملكة بمن فيها. كنت أتمنى عودة الملك لرحاب علماء الدين الذين هم من خير العلماء على وجه الأرض، وهم كنز المملكة الحقيقي وليس النفط الزائل.

كنت أتمنى عودة أساطين الفتوى لفتاويهم التي هي نبراس الأمة، وعودة موقع «الإسلام سؤال وجواب» للعمل كما كان، وعودة نصف مليون فتوى لموقع «الإسلام اليوم».

كنت أتمنى مفاهيم جديدة وأفكار رشيدة وليس مزيدا من تدعيم السبات والترف الهش الذي تعاني منه المملكة.

كنت أتمنى إنسان جديد وروح جديدة تعي الدرس جيدا

لكن خابت الآمال
فمتى الرحيل أيها الملك؟

بسم الله الرحمن الرحيم

عشقي أجهض أحلام ابن سلمان

لا يخفى على المراقب لبيت الإمارة السعودي ذاك الحراك الخفي الغامض حول الملك القادم الذي سيقود دفة البلاد، ومنشأ الغموض من الصعود الإداري والإعلامي لولي ولي العهد محمد بن سلمان، خلافاً للمتعارف عليه من إبراز ولي العهد باعتباره الخليفة الأظهر احتمالاً.

تهميش محمد بن نايف - ٦٥ عام - صار باد للعيان، خاصة بعد الإشاعة الكاذبة حول مرضه، رغم مكانته التي لا يستهان بها، فهو المعروف بقائد مكافحة الإرهاب، والمطيع العنيد، وهو كذلك ركن من أركان الدولة العميقة.

أما محمد بن سلمان فجاءت زيارته المكوكية إلى أمريكا وأوروبا كنوعاً من الحصول على الدعم الخارجي بالتزامن مع برنامج دعمه الداخلي، حيث قدم الأمير الشاب عروضاً مغرية للغرب تتمحور حول «علمنة المملكة» وتحجيم التيار الديني المتعاضم بها، هذا فضلاً عن تطبيع إسرائيلي «علني» وغير مسبوق في تاريخ الدولة السعودية.

وبالفعل فقد بدأ الأمير ابن سلمان في تقليل دور الشرطة الدينية "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" في شوارع السعودية، كما بدأ في اعتقال بعض من المفكرين الإسلاميين المؤثرين، بالإضافة إلى ما تردد عن عزمه على إلغاء هيئة كبار العلماء، وتعيين وزير للترفيه، والسماح بتواجد السينما، ومؤخراً سافرت أكثر من ٢٠٠ سيدة سعودية خارج البلاد بدون محرم في أول سابقة تشهدها المملكة منذ تأسيسها. أما التطبيع مع الصهاينة فقد أوكلت أولى خطواته بزيارات الإسرائيليين عبر مهندس التطبيع اللواء أنور عشقي - ٧٢ عاماً - ضابط المخابرات السابق، و«رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الإستراتيجية».. ألقاب فخمة، وهالة ضخمة، وقادة بعيدون كل البعد عن هموم ورغبات وطموحات الشعوب.

وكتب عشقي بلغة مأكرة على صحفته في «تويتر» رداً على منتقديه: "زرت فلسطين بدعوة كريمة من السلطة، فوجدتها محاصرة من الأعداء الذين ضيقوا على أهلها، والأصدقاء الذين امتنعوا عن زيارتهم".

رغم أن لقاءاته بالصهاينة كانت حافلة باجتماعات مع المسؤولين الإسرائيليين، حيث التقى عشقي -وللمرة السادسة- بالمدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية والمستشار الأبرز لنتياهو (دوري غولد)، واجتمع مع منسق عمليات الحكومة في الأراضي المحتلة اللواء يوآف مردخاي. كما التقى الوفد السعودي المرافق له مع مجموعة من أعضاء الكنيست. وامتدح عشقي الجزار بنيامين نتياهو المسئول الأول عن عدوان غزة بـ «الرجل القوي والواقعي» وكشف موقع «واللا» نقلاً عن اثنين من كبار المسؤولين في تل أبيب، أن نتياهو يرى في عشقي أنه قناة مهمة للاتصال مع السعوديين، من أجل تبادل الرسائل معهم.

وأشارت صحيفة «هآرتس» إلى أن الزيارة ليست رسمية، وأن اللقاءات مع المسؤولين الإسرائيليين لم تكن في مكتب حكومي، بل في فندق «الملك داود» في القدس المحتلة.

ويعتبر أنور عشقي -المستشار السابق لبندر بن سلطان- سمسار العلاقة بين إسرائيل والسعودية، ودعا مراراً إلى تطبيع العلاقات مع إسرائيل، لكنه أشار في مقابلة مع قناة «الجزيرة» القطرية إلى أن تطبيع العلاقة متوقف على موافقة الحكومة الإسرائيلية على مبادرة السلام العربية، مؤكداً أن بلاده سوف تبدأ على الفور في إنشاء سفارة لها في تل أبيب في حال وافقت إسرائيل.

ومن أكثر تصريحاته جرأة: ضرورة تعميق العلاقات مع تل أبيب، معتبراً أن مقاومة الكيان الإسرائيلي معناها "أننا ندمر أنفسنا" .. وأن "المقاومة ما قتلت ذبابة، هؤلاء يتاجرون بالدماء الفلسطينية، كفى دماء فلسطينية".

ثم تكتمل الأضحوة ببيان وزارة الخارجية السعودية المتضمن أن أشخاصاً -من بينهم أنور عشقي- لا يمثلونها، ولا علاقة لهم بأية جهة حكومية، ولا يعكسون نظر حكومة السعودية، وأن آرائهم تعبر عن وجهات نظرهم الشخصية .. رغم أن الكل يعلم

أن في الخليج كل القضايا مطروحة إلا السياسة وانتقاد الأسرة الحاكمة، وأنه لا تطرف عين أي مواطن تجاه أي شأن سياسي إلا بعد أن يأخذ الضوء الأخضر من زمرة الأمراء.

هذا التطبيع أثار حفيظة الشارع السعودي، وظهرت الهشتاجات المنددة «#سعوديون_ضد_التطبيع» والتي تصدرت تويتر، وشارك فيها جم غفير من النخبة السعودية، مما يمكن أن يقال عنه أنه إجهاض شعبي كبير لمشروع ابن سلمان التغريبي في مسيرته للظفر بالعرش الملكي.

كما أن كتلة ولي العهد محمد بن نايف سارعت إلى استغلال الموقف وأصدرت وزارة الداخلية بيانا أشارت فيه إلى أن تنظيمات وثائق سفر السعوديين المعلنة تحظر السفر إلى أربعة دول هي إسرائيل وتايلاند والعراق وإيران - انضمت أخيراً للقائمة - ويُعاقب المخالفين لتعليمات زيارة الدول المحظورة بالمنع من السفر خارج المملكة مدة تصل إلى ثلاثة أعوام، أو غرامة مالية لا تتجاوز ٥ آلاف ريال، أو بكليهما.

والسؤال الذي يكشف حجم هذه التصريحات الهزلية: هل طبقت العقوبة الآنفة على أنور عشقي؟! أم أن الإذن الملكي السلطاني له بالتطبيع كان حائلاً دون ذلك.

وتكتمل فصول المشهد إذا علمنا أنه قبل بضعة أشهر خرج المدعي العام السعودي بطلب تنفيذ حكم إعدام بحق أكثر من ٣٠ سعودياً ضمن ما يُعرف بـ «خلية الكفاءات»، كانت تهمة أحدهم اللقاء بقائد الجمهورية الإسلامية .. هذه التهمة كانت كفيلة باستحقاق الإعدام، لأن إيران الإسلامية تصنف وفقاً لأمراء المملكة كدولة عدوة. فماذا عن كيان الاحتلال الصهيوني الذي تجمع كل أطراف الشارع الإسلامي على تصنيفه عدواً.

كما أنه بحسب «نظام مقاطعة إسرائيل» الصادر في عهد الملك الراحل (سعود بن عبد العزيز)، تحظر المملكة زيارة كيان الاحتلال، وتجرم التواصل مع الصهاينة. وبموجب المادة الأولى من هذا النظام فإن المملكة السعودية تحظر "على كل شخص طبيعي أو اعتباري أن يعقد بالذات أو بالوساطة اتفاقاً مع هيئات أو أشخاص مقيمين في إسرائيل أو منتمين إليها بجنسياتهم أو يعملون لحسابها أو لمصلحتها، أينما قاموا

وذلك متى ما كان محل الاتفاق صفقات تجارية أو عمليات مالية أو أي تعامل آخر أياً كانت طبيعته".

وتحدد المادة السابعة عقوبة من يخالف نظام المقاطعة "بالسجن مدة أدناها ثلاثة أشهر وأقصاها ثلاث سنوات وبغرامة أقلها خمسمائة ريال عربي سعودي، وأكثرها خمسة آلاف ريال عربي سعودي أو بإحدى هاتين العقوبتين".

كما أن وزير الخارجية السعودي، عادل الجبير، قال: إن مبادرة السلام العربية (مبادرة الملك الراحل عبد الله) ما زالت أفضل عرض لتسوية القضية الفلسطينية، مؤكداً أنها غير قابلة للتعديل أو التخفيف. وتدعو المبادرة إلى حل الدولتين على أساس انسحاب إسرائيل إلى خطوط الهدنة قبل عام ١٩٦٧، وجعل القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية، في مقابل إقامة علاقات طبيعية في إطار سلام شامل مع إسرائيل.

لقد كان فيلم التطبيع الأخير حجر عثرة جديد أضيف إلى مسيرة الملك سلمان الشاب مع عدة أحجار سابقة كقراره المتسرع في حرب اليمن والذي أنزف الاقتصاد السعودي بدرجة قاسية، فضلاً عن رؤيته الاقتصادية الإصلاحية التي يشوبها كثير من السلبيات التي سيدفع ثمنها المواطن السعودي، مما ينذر بخلخلة شعبيته من قبل علماء الدين خاصة والقطاع العريض من الشعب عامة.

لكننا لا نتوقع على المدى القريب أن يراجع ابن سلمان سياساته، لأن القيادة العربية دوماً تقدم ولاء الغرب وخاصة السيد الأمريكي على ولاء الشعوب، والحرص على تبني الأجندة الغربية في المنطقة حتى وإن جافت بين القيادة وشعبها، وتلك معضلة تاريخية وعصرية كانت سبباً في أزمات المنطقة المستعصية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا لو رحل الملك سلمان فجأة

بيت الإمارة السعودي لا شك أن الصراعات الداخلية تكتنفه حول تداول السلطة، وقد برزت نتفا منها إعلاميا في عهد الملك الراحل عبد الله بن عبد العزيز مما جعله ينشئ هيئة البيعة لتتولى تعيين الملك وولاية عهده، ورغم أن هذه الصراعات محتدمة إلا أنها تتفق دوما على تكريس السلطة في أحد أبناء آل سعود، واقتسام كعكة الملك بين أفرادها.

رحل الملك عبد الله بعدما استحدث منصب ولي ولي العهد، وجعله من نصيب الأمير مقرن، ثم تولى -وفق «هيئة البيعة» التي أنشأها الملك عبد الله- ولي العهد سلمان، أما الأمير مقرن فاستبدله سلمان بمحمد بن نايف وجعل ولاية ولي العهد لابنه محمد بن سلمان، وهكذا ذهب موضوع هيئة البيعة أدراج الرياح.

لكن الغريب أيضا أن الملك سلمان حرص على تلميع ابنه وإبراز دوره بشكل لافت في الساحة السياسية السعودية، بالتزامن مع تهميش متعمد لدور محمد بن سلمان بشكل لافت حتى إنك لا تسمع له ركزا.

ويكفي للتدليل على هذا الوضع المقلوب ما نشرته وكالات الأنباء مؤخرا حول استقبال الرئيس الأميركي باراك أوباما، الجمعة ١٧ يونيو/حزيران ٢٠١٦، في البيت الأبيض ولي ولي العهد ووزير الدفاع السعودي محمد بن سلمان، النجل النافذ للملك سلمان، في مؤشر على صعود نجمه السريع وتضاعف أهمية دوره في العلاقات الثنائية المتوترة.

المتحدث باسم البيت الأبيض إريك شولتز، أكد أن أوباما سيلتقي الجمعة الأمير البالغ ٣٠ عاماً والذي أصبح القوة المحركة للإصلاح الاقتصادي، وللسياسة الخارجية السعودية التي باتت أكثر ديناميكية.

في الزيارة لأمريكا التي تستغرق أسبوعاً التقى الأمير الذي يتولى كذلك حقيبة الدفاع، أهم اللاعبين الكبار في واشنطن. فقد عقد لقاءً مع مدير وكالة الاستخبارات

المركزية الأميركية (سي آي إيه) ووزراء الخارجية والدفاع والخزانة وكبار قياديي الكونجرس.

وأشار البيت الأبيض إلى أن اللقاء بين أوباما والأمير محمد سيعقد في المكتب البيضاوي، الأمر الذي يعتبر نادراً لغير رؤساء الدول وامتيازاً لم يمنح للدلاي لاما الزعيم الروحي لبوذي التبت في وقت سابق هذا الأسبوع.

سايمون هندرسون من معهد واشنطن الفكري، الذي يركز على الشرق الأوسط، أوضح "أنه الثالث على مستوى التراتبية في البلد، لكنه في الواقع الأول". وأضاف أن "الملك يفضل ويريد أن يكون ابنه ملكاً".

فيما يشكل محمد بن سلمان شخصية غير معروفة نسبياً، بالنسبة إلى البيت الأبيض، كان محمد بن نايف بصفته وزيراً للداخلية جهة الاتصال الرئيسية في العائلة المالكة بشأن مكافحة الإرهاب طوال سنوات.

رئيس قسم العلاقات الدولية في كلية الحكم والخدمة العامة في جامعة تكساس "إيه آند إم غريغوري غوز"، أفاد أن الأمير محمد يريد "أن يكون معروفاً لدى الجهة الأميركية" موضحاً أن الزيارة "تندرج في إطار جهوده للحصول على الاعتراف".

طبعاً هذه الأحداث تمر على مرأى ومسمع من ولي العهد محمد بن نايف الرجل القوي في البيت الأميري السعودي، لكنه لا يستطيع أن يحرك ساكناً في الوقت الراهن لأن هذا يصطدم مع رغبات الملك، ويمكن أن يتطور الأمر ليصل للإطاحة به كما أطيح بعمه مقرن، في بلد لا يحكمها دستور بل يتم تداول السلطة فعلياً وفق نظام قبلي عتيق وأهواء شخصية تذكرنا بصراع خلفاء بني أمية وبني العباس على السلطة، الأمر الذي ربما يكون مقبولا وقتها لكنه الآن مستهجن في عالم تضبط شئون دوله دساتير ومعايير قانونية.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه.

ماذا لو رحل الملك سلمان فجأة؟!

ماذا لو رحل سلمان قبل أن يمهد لابنه الولايه ويضعه في سدة الحكم؟، عكس ما حدث مع الملك حسين ملك الأردن الذي لما أيقن بانقضاء أجله إثر أصابته

بالسرطان وفشل الأطباء في عمليات زرع نخاع عظم له، بادر قافلا إلى الأردن في التمثيلية الشهيرة حيث هبط بالطائرة التي يقودها بنفسه، ونظمت له احتفالات شعبية بسلامة شفائه وعودته، لكنها ساعات قضاها الملك في بلاده وعزل أخوه وولي ابنه ولاية العهد، ثم تدهورت صحته وفارق الحياة.

ويبدو أن نفوذ محمد بن نايف وتكتل الأمراء الموالين له يحول بين عزله وتولية محمد بن سلمان ولاية العهد، الأمر الذي جعل الملك سلمان يترث في خطوة قد تكون مغامرة غير مأمونة العواقب، ويفضل استخدام قوة السلطة الناعمة والتدرج في تحقيق ما تصبو إليه نفسه.

لكن لو رحل الملك سلمان فجأة وتولى محمد بن نايف فبالطبع لن ينسى مواقف سلمان، وسيختفي نجم محمد بن سلمان المتألق حاليا، كما أفل نجم جمال مبارك وسيف الإسلام القذافي مع الفارق أن هذا كان بفعل الثورات الشعبية، وذلك بدافع التشفي والانتقام.

سيختفي محمد بن سلمان الذي يطبل له الإعلام السعودي الرسمي اليوم ويصفه باللقاب هي أكبر منه بكثير، ويكفي البروباجاندا الإعلامية التي صاحبت خطة الإصلاح الاقتصادي التي يزعمون أنها من بنات أفكار محمد بن سلمان ويصفونه بالاقتصادي المحنك!

سيختفي محمد بن سلمان ولن ينفعه رضا أمريكا أو المكتب البيضاوي الذي جلس عليه، لأن محمد بن نايف له رصيد جيد أيضا عند الأمريكان الذين يلعبون وفقا لمصالحهم حتى ولو كان اللعب مع الشيطان نفسه.

وليس بخاف على أحد دور الأمريكان في تنصيب الحكام العرب، وأن كرسي الولاية لا يجلس عليه أحد قبل الحج إلى البيت الأبيض.

لذلك ليس عسيرا على ولي العهد محمد بن نايف أن يطيح بمحمد بن سلمان فور جلوسه على عرش الملك، خاصة وأن الزعماء العرب تعودوا على الرعب من الشخصيات المتألفة والنافذة، فما بالكم بشخصية كانت تستمد تألقها ونفوذها من سلطة أبيها وليس لملكات خاصة بها أو لثقل شعبي يدعمها، بل كانت هاجسا وكابوسا

يُورق الملك الجديد إبان ولاية عهده، ويطرد النوم من عينيه حين تصوره أنه سيخطف
منه كرسي الملك يوما من الأيام.
وفي النهاية يبقى المواطن هو الضحية لصراعات الكراسي التي تحكمها
المحسوبيات لا الكفاءات.

بسم الله الرحمن الرحيم

«مضاي» السورية .. دم مضى وعار بقى

عندما نشاهد العرض العسكري للجيش المعاصرة نبهر بما وصل إليه العالم من عتاد وسلاح .. وعندما نطالع التقنيات التسليحية الحديثة نتعجب من القدرات الفتاكة للأسلحة المتقدمة .. وعندما نتابع معارض السلاح العالمية تشدنا المهارات والإنجازات للمبتكرات الأسرع والأفتك .. وعندما تستعرض الطائرات الحربية أكروباتها الجوية نذهل من هذا التنوع ودقة الإصابة والاختراق، ما بين أف - ١٦ أمريكية وميراج ورافال فرنسية وسوخوي روسية .. ناهيك عن طائرات بدون طيار، ومدمرات، وقاذفات، ورادارات، وبارجات وغواصات وحاملات طائرات.

إنها «قصة تدميرية» مهولة!! .. تُسرب إلى قناعاتنا فرعا ورعبا ورهبة، وترسخ في أفهامنا أن البقاء صار للأقوى، وأن سباق التسلح هو الشغل الشاغل للأمم، وأن الحسم العسكري هو الحل الأوحده لإخضاع الخصم وكسر ظهره ولي عنقه، وأن الحق والعدل ونصرة المظلوم مبادئ عفى عليها الزمن، وعبارات لا يلوكرها إلا الضعفاء!.

لكن بقراءة متأنية لمآلات المعارك الحديثة على أرض الواقع، نخلص إلى «وهم قضية التسلح» -على أهميتها لحماية الدول- فالأمن العالمى لم يتحقق، والخصم لم ينكسر، وتكلفة العدل أقل بكثير جدا من تكلفة الظلم.

إن محصلة هذه الآلة العسكرية الحديثة الفتاكة مزيدا من الأشلاء والدماء لا أكثر ولا أقل .. مزيدا من الخراب والتدمير وضياع تراث الأمم وحضارات الشعوب .. مزيدا من التهجير واللاجئين والمشردين .. وكأن هذه الأسلحة الجبارة ما صُنعت إلا لإذلال الضعفاء وتشريد الأبرياء وتكثير سواد المعذبيين.

ففى الآونة الأخيرة انسحبت القوات البريطانية المتبقية من (كامب باستيون) بولاية هلمند الأفغانية، مما يشير إلى نهاية ١٤ عاماً من مشاركة بريطانيا فى الحرب فى أفغانستان. وفى حين أن الوفيات البالغ عددهم ٤٥٣ فى صفوف الجنود البريطانيين موثقة جيداً، إلا أن خلال السنوات الأولى من الحرب، والتي بدأت فى

أكتوبر ٢٠٠١م، جاء تقرير صحيفة (الجارديان) البريطانية أن ما يصل إلى ٢٠ ألف شخص أفغاني لقوا حتفهم كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة للغزو في السنة الأولى من الصراع وحده.

وتقول أرقام بعثة الأمم المتحدة، والتي تحصى عدد الضحايا المدنيين الذين سقطوا في الفترة ما بين عام ٢٠٠٧م ونهاية يونيو ٢٠١٤م: إن ما يقدر بـ ١١٦١٤ مدنياً أفغانياً قتلوا نتيجة النزاع في أفغانستان خلال هذه المدة الزمنية.

ويقدر (معهد واتسون) في جامعة (براون) في الولايات المتحدة، أن واحداً وعشرين ألف مدني أفغاني لقوا حتفهم حتى شهر فبراير من عام ٢٠١٥م كجزء من تكاليف الحرب!

وعندما يتم إضافة عدد القتلى المدنيين إلى عدد القتلى في صفوف القوات الدولية والجيش الوطني الأفغاني، فإنه يصبح من الواضح أن العملية العسكرية طويلة الأمد في أفغانستان قد أدت إلى تكلفة إنسانية باهظة الثمن.

ثم الآن تحدثنا الصحف عن تحركات الساسة الغربيين للتوصل إلى اتفاق مع حركة طالبان الأفغانية، وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن كل هذه الدماء والأشلاء لا قيمة لها .. حيث كشفت صحيفة (الإنديبندنت) البريطانية عن رغبة موسكو للعمل والتعاون مع مسلحي حركة طالبان، وهم المجاهدين الذين خاضت روسيا ضدهم حرباً دموية طويلة عقد مضى، والسبب هو أن الحركة مشتبكة في صراع مرير مع تنظيم الدولة الإسلامية حول التفوق الجهادي في أفغانستان. وأن حركتي طالبان باكستان وأفغانستان لا تعترفان بتنظيم الدولة ولا بزعيمه (أبو بكر البغدادي) وهذا هو المهم لدى موسكو.

ومن المقرر أن تبدأ حكومة أفغانستان وباكستان والصين والولايات المتحدة محادثات تهدف إلى استئناف عملية السلام في أفغانستان وانتهاء قتال مستمر منذ ١٤ عاماً مع مقاتلي طالبان. وقالت مصادر من وزارة الخارجية الباكستانية إن مسؤولين من الدول الأربع سيجتمعون في العاصمة الباكستانية (إسلام أباد) فيما يأملون أن

تكون الخطوة الأولى على طريق استئناف المحادثات المتوقفة. وليس من المتوقع أن يحضر ممثلون عن طالبان المحادثات.

أما (مضايا) السورية فتصرخ في وجه العالم: «لماذا كل الدماء المراقبة إسلامية؟!».»

ففي يوليو ٢٠١٥م دخلت (مضايا) في أسوأ حصار لها من قبل نظام بشار الأسد ومليشيات حزب الله اللبناني، وقد منع هذا الحصار -منذ أكثر من ٢٠٠ يوم- وصول الطعام والدواء إلى أهالي البلدة، مما جعل الوضع الإنساني كارثي، وأدى إلى وفاة العشرات من السكان بسبب نقص الغذاء، ومعظم المتوفين من المسنين والأطفال الرضع بسبب نقص الحليب.

وتعد بلدتا (مضايا والزبداني) من أوائل المناطق التي انتفضت لإسقاط نظام بشار مع بداية الثورة في سوريا ٢٠١١م، وتعاني مضايا من زيادة في الكثافة السكانية، حيث وصل عدد المدنيين فيها إلى ٤٠ ألفاً نتيجة لرحيل ٢٠ ألف شخص إليها من مدينة الزبداني، بسبب تهجيرهم من قبل نظام بشار ومليشيات حزب الله اللبناني، وتعاني مدينتا الزبداني وبقين من نفس الحصار الذي تعاني منه بلدة مضايا.

ونتيجة للحصار الشديد الذي تعاني منه مضايا، نشبت مجاعة مفرغة، اضطر أهالي البلدة إلى أكل القطط والطعام من القمامة، حسب كلام القيادي في حركة أحرار الشام (أسامة أبو زيد)، ومنهم من يتناول الماء بالملح وأكل أوراق شجر الزيتون، والتي أدت إلى تسمم ٣٠ حالة حسب طبيب داخل المستشفى الميداني في مضايا، بالإضافة إلى حالات الإغماء المستمرة نتيجة سوء التغذية، وقد ارتفعت حالات الوفاة إلى ٣٠٠ شخص.

أما الطعام في البلدة فأسعاره فلكية، حيث وصل ثمن كيلو السكر إلى ٢٦٠٠٠ ليرة سورية (٦٧ دولاراً)، ونتيجة لذلك أصبحت العائلات الموجودة في مضايا تتناول وجبة كل يوم أو يومين، حسب تصريح (محمد الدبس) مسؤول الإغاثة في مجلس مضايا.

وصرح مدير المستشفى الميداني في الزبداني وعضو الهيئة الموحدة للزبداني ومضايا (عامر برهان)، بأن المجلس المحلي لبلدة مضايا أرسل رسالة مكررة إلى (جيفري فليتمان)، مسؤول ملف الزبداني في الأمم المتحدة، يطلب فيها: إدخال المساعدات الغذائية إلى الأهالي المحاصرين في مضايا، منذ قرابة الأشهر الستة. لكن كان رد فعل مكتب مسؤول الأمم المتحدة: أن كادر المكتب في إجازة من يوم ٢٤ ديسمبر ٢٠١٥م إلى ٥ يناير ٢٠١٦م!!.

ونشرت صحيفة (الإنديبندنت) البريطانية تقريراً حول حملة يشنها أنصار النظام السوري على مواقع التواصل الاجتماعي، للسخرة من معاناة أهالي مضايا الذين يواجهون الموت جوعاً بسبب الحصار، وصفت فيه هذا الموقف غير الإنساني بأنه «مقرف».

وقالت الصحيفة: إن أنصار النظام السوري ينشرون صوراً استفزازية للوجبات التي يقومون بتحضيرها، من أجل التشفي في أهالي مضايا الذين يعانون من الجوع.. وقد أظهرت هذه الصور أطباقاً من الأطعمة الشهية، مثل: الكباب والسّمك المشوي والقريدس، وسلطة الغلال والخبز.

فيما شن بقية رواد (فيسبوك) حملة من التبليغات ضد هذه الممارسات، مما دفع بإدارة الموقع لإزالة بعض هذه الصور.

يقول الأستاذ ياسر الزعاترة: "هنا في (مضايا) سقط القتلة مجلّلين بالعار، ومن ورائهم وليهم الفقيه، ومعهم بوتين، لكن قتلة آخرين في واشنطن وعواصم كثيرة لم يكونوا بمنأى عن ذلك، ومن ورائهم ننتباهو الذي قرر فصول الصراع في سوريا عبر الضغط لمنع السلاح النوعي عن الثوار كي تتواصل المأساة. أما حين قررت واشنطن التعاطف مع أهل مضايا، فلم تزد على أن ناشدت المجرم أن يفك الحصار من حولها، ويسمح بدخول المساعدات، لكنها جيّشت الجيوش من أجل انتزاع الكيماوي لحساب الكيان الصهيوني".

إن العالم الحر يلطّخه العار من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه.. هذا العالم الذي لا يحرك جيوشه الجرارة إلا لحماية الرجل الغربي الأبيض، ومناصرة الأقليات والطوائف

التي تخدم مصالحه، أما الأبرياء ودمائهم فلا أكثر من الشجب والاستنكار ودعوات
ضبط النفس.. سقطت في مضايا وغيرها شعارات حقوق الإنسان، وسقطت منظمات
وهيئات لا تحركها إلا أيادي خفية تحت مسميات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ..
فإلى الله المشتكى.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الرئيس بشار الأسد

في نشوة الحياة وبسطة السلطة والنفوذ قد تختلط الأوراق على النفس البشرية الضعيفة، وتختلط أيضا معها الحقائق بل المسلمات والبدييات، حتى تصاب بنوع من عمى البصيرة، أو نوع من الرؤية بالمقلوب لترى المواقف على غير ما عليها بالحقيقة، وهنا تتوجب النصيحة من كل المحيطين، لعل النفس تفيق من سكرتها، وترتد إليها بصيرتها، فتدرك الواقع، وتحسن التصرف قبل فوات الأوان.

وهذه الحالة الاضطرابية تنطبق بحذافيرها على الرئيس السوري بشار الأسد، الأمر الذي قرر معه فتح نيران المدفعية الثقيلة على أبناء شعبه، فأردى منهم حتى الآن أكثر من خمسة آلاف قتيلًا، فضلا عن الجرحى والمصابين.

من هنا وجبت المكاشفة، وإرسال النصيحة تلو النصيحة، والرسالة عقب الرسالة، وإن كان في طياتها بعض القسوة والفظاظة فهذا ما يقتضيه واقع الحال، كأشبه ما يكون بالصاعق الكهربائي الذي يضعه الطبيب على صدر المحتضر لعله يستفيق وتعود إليه ضربات قلبه ونسمات روحه من جديد.

الرئيس بشار ..

ولدت وفي فمك معلقة من ذهب كما يقولون، فلقد ولدت ليس في قصر الرئاسة ولكن في قصر الملك، لأب ملك وإن سمي نفسه رئيسا للجمهورية العربية السورية .. ملك من نوع سلطوي، تملك بمنصبه سوريا كلها بشعبها وثرواتها ومقدراتها، وصار هو كل سوريا، فترعرعت في ظل الدكتاتورية التي لم تعرف غيرها، فوجدت في صباك ضابطا رفيعا بالجيش العربي السوري يفتح لك باب السيارة، وخادمة حسناء تكون بجوارك لا تنام عينها وأنت تغط في نومك، وأمانيك تتحقق قبل أن تكتمل معالمها في مخيلتك، وللدنيا عندك وجه واحد لا وجه سواه، هو وجه الخضرة والنعيم والمتعة والرفاهية.

كان أخوك الأكبر هو محط أنظار الجميع، فهو ولي العهد، والمشمول برعاية كل أساطين السياسة في القصر الجمهوري بدأ من الوالد المخضرم إلى أصغر فرد في الطغمة السورية الحاكمة، لكي يقود إرث سوريا بعد الوالد الفرعون الكبير، ولكن كان للأقدار حكماً آخر، فلقد مات الدكتاتور الصغير في حادث سيارة مروع، واضطربت الترتيبات، فاستدعاك الوالد من بريطانيا وأنت طبيب العيون الماهر المسالم، ولا عهد لك بسياسة ولا قيادة، وأوكل لك ما كان مدبراً لأخيك، ثم كان للأقدار حكماً آخر، حيث مات الوالد على عجل، وسنك لا يناسب رئاسة الملك حسب دستور البلاد، فما كان من الطغمة الحاكمة إلا أن غيرت الدستور ليناسبك أنت وحدك في أقل من نصف ساعة.

أي دنيا هذه التي لانت لك لينا، وخضعت لك خضوعاً، لم يناله نبي مرسل ولا ولي مصطفى .. وأي أيام تلك التي تضحك لك سنوات وسنوات مديدة ولا تريك أحزانها ولا أتراحها، برغم أن كل البشر عهدوا دنيا دينئة، لا تستقيم على حال، وبقدر ما تضحك مرة تبكيك مرات، وإذا أسعدتك نوبة تشقيك نوبات.

لقد غدرت بك الأيام على غرة، وتنكرت لك الأحداث على غفلة، فالشعب الذي لم تشعر به يوماً قد انتفض، وعلا صوته، وأنت الذي لم تسمع له صوتاً أبداً، وهذا يراجعك في أوامرك وذاك يحذرك وآخر يتبرأ منك، وأنت الذي كانت أعين الجميع معقودة على بنانك الصغير تنتظر أي إشارة منه لتبلي رغبته في سرعة البرق، وأنت الذي لم تسمع آذانك غير التصفيق الحار على كل جملة تخرج من ثغرك البسام، وأنت الذي لم تعرف الحواجز يوماً ولا العقبات ولا المعارضات ولا المناكفات ولا المنغصات.

لكن من الحكمة اليوم أن تكون ابن المرحلة، ورجل الواقع، وتسأل نفسك بجرأة: لماذا تغير الحال؟ وتبدلت الأيام؟ وانتفضت الجماهير؟

والجواب لا يحتاج إلى قريحة فذة ولا عقلية جبارة، إنما يحتاج نبرة صدق ورؤية حق.. إنه «الظلم» يا سيادة الرئيس، الظلم الضارب في أعماق القطر السوري من أيام الوالد (حافظ الأسد) صاحب مذبحة حماة التي سميتها أنت «إنجازات»!!، وهددت

الشعب السوري إبان انتفاضته أن تعيد أمجاد والدك في حماة، الظلم الذي دفعك لأن تضرب الأبرياء ذوي الصدور العارية بالمدفعية الثقيلة، وتهدم المآذن بطلقات مدافعك، وتجعل المعذبين يقولون: «لا إله إلا بشار»، ويسجدون لصورتك .. صدقني إن أنا ملي ترتجف وأنا أكتب هذه الفظائع، لكن المشكلة أنك تجاوزت بأزمتك حدود دماء شعبك، ووضعت نفسك في أزمة مع الله عز وجل بجبروتك، وصدق فيك قول الله تعالى: {وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} [الشعراء: ١٣٠]

هل الله عز وجل يحارب؟ وهل من حارب الله ينتصر؟ .. حاشا لله .. كلا وألف كلا.

قال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: ١٢] ولذلك إننا على يقين لا يعتريه أدنى شك أن الله سيرينا فيك آية من آياته، وقدرة من قدراته، وعجبية من عجائبه، وما حتف القذا في منك ببعيد، {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]

لقد وضعت نفسك في فخ لا فكاك منه، ومصيدة أشبه بمصيدة العنكبوت كلما تحركت فيها أدنى حركة -ولو قيد أنملة- إلا والتفت عليك أكثر وتعقدت أكبر، فاستطابتك دماء الأبرياء جرم فاحش، فما بالك بالتطاول على الله، ونقد العهد الذي أولاك إياه من رعاية هذا الشعب.

لقد توعدت خصومك بأنك ستحرق المنطقة بأكملها، وكأنك تسير في طريق حتفك سيرا لا رجعة منه، ورغم كل العروض المغرية لك بترك السلطة والعيش آمنا في أحد الدول في بحبوحة من العيش، إلا أنك ركنت إلى قوتك، وهان عليك كل شيء في سبيل كرسي حتما أنت مفارقه، وأخذتك العزة بالأثم، فلا تفرعك صرخات المجروحين ولا دعوات المظلومين ولا آهات المكالمين، وركنت إلى آراء المضللين من حولك بأن الجيش ما زال متماسكا ومواليا، لكن متى توهب الجيوش الأمن الدائم للظالمين، وتعصم الطغاة من أخذات رب العالمين، وما مصارع الجبارين بخافية عليك.

سيادة الرئيس بشار..

لقد سبق السيف العزل، فلقد تعجلت نهايتك المأساوية، وحكمت على نفسك
بلعنات التاريخ الأبدية، والأيام القليلة القادمة حبلى بشر مصير لك، فارتقب إنا
مرتقبون، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم: ٤٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

بشار الأسد .. ما أتعس حالك

هل للملك عذوبة تطفئ على عبء المسؤولية، وعظم المسألة أمام الله تعالى يوم الجزاء، ناهيك عن دعوات المظلومين وأنات المتعبين، ودماء الأبرياء، وجثث الضحايا، وأشلاء الطفولة البريئة، وتدمير دولة عن بكرة أبيها، وتشريد شعبها من أجل كرسي الحكم!!؟

هل كل هذه التضحيات الفادحة تتصاغر أمام لذة السلطة، ونشوة الإمارة، وبهاء القصور وعبق السيادة!!؟.

ولنقتضض أن كل هذا كائن، وأن الأثمان المبذولة شعبيا تتضاءل أمام سؤدد السلطان، فهل يحكم بشار الآن ويستمتع بزهوة الملك بعد كل هذا الدمار والخراب؟.

إن الواقع ليؤكد أن هذا مستحيل، وأن لذة سلطة بشار ذهبت أدراج الرياح، وذهب عنه المغنم وبقي له المغرم.

بشار اليوم محاط بطغمة من قادة جيشه الموتورين الذين دفعهم التهور للسير في هذا الطريق الدموي غير متوقعين ولا مكثرئين بهذه العواقب الكارثية، فوصلوا جميعا لنقطة اللاعودة، وفاتهم قطار الندم، وأي واحد منهم يعلم يقينا أنه يراهن اليوم على رقبته وليس منصبه، والكل يده على زناد مسدسه وسيطلق رصاصه بلا أدنى تردد ولا رحمة لمن تسول له نفسه من سائر الطغمة بالتفكير بالتراجع حتى ولو عبر كلمات أو مجرد البوح بأنها أمنية لا أكثر ولا أقل.

بل الكل من حول بشار خائف ويعمل في الخفاء، أما أتعسهم فهو بشار نفسه الذي ما زال هو الرئيس إعلاميا وشكليا لا فعليا، وهو الذي ينتصب أمام الكاميرات، وباسمه توقع القرارات، وهو الذي يوصف بالسفاح والديكتاتور وغيرها من أبشع الألقاب التي وصمت سمعته بالعار، ونقشت اسمه بأقذر مداد على صفحات التاريخ المعاصر.

الواقع يؤكد أن بشار لا يستمتع بنشوة السلطة التي دفع ثمنها ضحايا أبرياء، وهو الرئيس الذي لا يعلم من ببابه، حين زاره وزير الدفاع الروسي فجأة وعقد معه اجتماع وسط دهشته واستغرابه من هذه الزيارة التي باعته في قصر ملكه.

بشار لا يعلم عن حال دولته شيئاً كما بثت الكاميرات قادة الروس في قاعدة حميميم الجوية قرب اللاذقية وهم يتفقدون طائراتهم وقواتهم وليس بينهم رتبة عسكرية سورية واحدة من جيش الممانعة والصمود السوري.

بشار الذي لما عرض عليه الرئيس الروسي التحي رفض وهدد بأن رحيله سيلغي نفوذ الروس في بلاده ومنطقة الشرق الأوسط والبحر المتوسط، وكأنه يعلنها صراحة أنه خادم الروس المطاع، خادم بما تعنيه الكلمة وليس رئيساً قائداً حاكماً سيداً مطاعاً. ولا ننسى أن بشار هو الذي رفض بشكل قاطع التدخل الأمريكي في العراق الذي وصل حد الاحتلال بزعمه، وطالب بدعم المقاومة العراقية وتوفير كل مستلزماتها، وتعرض لضغوط عديدة بسبب هذا الاتجاه، ثم أثبتت الوقائع بأنه كان عميلاً روسياً بامتياز، وها هو يسلم دولته وليس العراق للروس بما يفوق حد الاحتلال إلى تحكمهم في مقدرات البلاد.

ومن سوء طالع بشار أنه كان طبيباً للعيون ولا شأن له بالسياسة، لكن موت أخيه باسل الأسد جعله في صدارة المشهد السياسي باعتباره الخليفة لكرس الحكم الأسدي، فتطوع بشار الأسد في الكلية الحربية بسلاح المدرعات، ورفي إلى رتبة نقيب في الجيش عام ١٩٩٤، وفي العام ١٩٩٩ تم ترقيته إلى رتبة عقيد في الجيش، وفي العام ٢٠٠٠ تولى منصب رئاسة الجمهورية العربية السورية بعد استفتاء شعبي، ورفي إلى رتبة الفريق ليصبح القائد العام للجيش والقوات المسلحة .. فليته كان طبيباً يداوى بصائر الناس بدلاً من لعنة الحكم التي جعلته يدمر مصائر الناس.

هل بقي لشار في الحكم لذة؟ وهل تركت له السلطة أي نشوة؟ وهل يجلب له مخبأ الآمن طمأنينة؟ ثم إلى أين تقوده سدة الحكم؟ إلى السلامة أم إلى الندامة؟ رغم أن الكل يعرف -وهو أولهم- أنه لو نجا من أسر السلطة فلن ينجو من أسر الدماء .. وتلك هي طامته الكبرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

هل نجح صالح في إنقاذ باقي الزعماء العرب؟!

في تصريح له قال مدير «معهد دراسات الشرق الأوسط» في جامعة جورج واشنطن (مارك لينش): إنَّ رياح الربيع العربي في طريقها إلى الخليج، مشيرًا إلى أنَّ الشباب في الخليج مثل كل الشباب العربي يشعرون بالإحباط، ويريدون دورًا أكبر في الحياة السياسية وتحسين الحياة الاقتصادية.

تلك التصريحات لم تكن غائبة يوما عن قادة الدول العربية التي لم يصلها طوفان الثورات الشعبية، بل إن الجميع من قادة وصناع قرار في تلك الدول يراقبون عن كثب أحداث الثورات العربية في المنطقة، ويحاولون أن يستخلصوا من تجارب التعامل معها، أفضل السبل الناجعة لمواجهة هذا الطوفان الشعبي حين وصوله إلى بلادهم. وتنبثق القناعة بحتمية وصول طوفان الثورة من تماثل أنظمة الحكم العربية الدكتاتورية، وهي إن اختلفت في المظهر إلا أنها تتفق في الجوهر، حيث تدور الأمور كلها حول محور واحد متمثل في شخص رئيس الدولة سواء كان ملكا أو أميرا أو حتى رئيسا للجمهورية.

هذا «الرجل الأوحده» هو الذي ينفرد بكل شيء من إصدار القرارات وتحديد السياسات وترتيب الأولويات .. وهو الذي يحب هذا ويكره تلك، وهو الذي يصادق هذا ويعادي ذاك، وهو الذي يعطي ويمنع، ويصرف ويجمع. وكأن شعبه قطيع من الغنم ورثه كابرا عن كابر.

فلا عطاء إلا بمكرمة ملكية، ولا بناء إلا بوسم اسمه الشريف .. فهذا باب الملك فهد، وتلك توسعه خادم الحرمين، ووقف الملك عبد العزيز، وبرج خليفة، ومدينة زايد .. حتى الأعمال الخيرية تنسب لهم وحدهم، فمنذ وفاة ولي العهد السعودي الأمير سلطان والصحافة والإعلام السعودي لا يكف عن الحديث عن (سلطان الخير)!! وكأن كل الأعمال الخيرية التي قام بها من نفقة جيبه الخاص، رغم أنها أموال الشعب ومن خيرات أرضه النفطية.

حتى تعيين الوزراء وولاية العهد ترجع إلى الرجل الأوحد، فهو الوحيد البصير الذي يرى وغيره عميان، بل إن اختياره مكرمة غالية لا تدانيها مكارم .. ففي تصريح لولي العهد السعودي الأمير نايف، نشرته مجلة الحج والعمرة بعدد محرم ١٤٣٣ هـ قال نايف: أكيد أنني مع إحساسي وشعوري بالثقة التي منحني إياها سيدي خادم الحرمين الشريفين!! بولاية العهد، إضافة على لمقامه الكريم على اختياري وعلى ثقته، إلا أنني اعتبرتها تكليفا وتشريفا، واعتبرتها وساما على صدري.

ثم يتابع فيقول: في هذه اللحظات لا أنسى ولا يمكن أن أنسى سلطان بن عبد العزيز، هذا الرجل الفذ الذي قدم لوطنه الكثير والكثير جدا منذ شبابه، منذ بدأ أميراً للرياض حتى انتهى وليا للعهد، ولو الأعمار تعطى لأعطيناه أعمارنا!!!!

لكن في ظل هذا الخضم يبقى الأسلوب الأمثل للتعامل مع الطوفان الشعبي إبان حدوثه غير واضح حتى الآن، فتجربة تونس لا يمكن تطبيقها بأي حال من الأحوال، لأن الفرار من كرسي الحكم ذي الجاذبية العالية لا يقدر عليه إلا أولو العزم من الحكام!!، أما التجربة المصرية بالنسبة فقد أثبتت الأيام فشلها، وها هو مبارك في قفص المجرمين يحاكمه شعبه العظيم. وكادت التجربة الليبية بسحق المتظاهرين أن تنجح لولا تدخل حلف النيتو.

ولذلك تبقى «العصا الأمنية الغليظة» التي تبنها صالح في اليمن هي -حتى الآن- الحل الأكثر قبولا رغم دمويته، وهذا ما اقتنع به بشار سورية، ولا زال على كرسيه حتى هذه اللحظة برغم بحور الدماء التي أراقها، وفي البحرين نجحت العصا الغليظة -إلى حد ما- في إخماد الثورة، وكان لقوات درع الجزيرة أثرا واضحا في تثبيت ملك البحرين على كرسي الحكم، وهذا ما دفع بملك السعودية لرمي متظاهري القطيف بالرصاص الحي وأسقط منهم أربعة قتلى فضلا عن الجرحى.

لقد أجاد صالح باليمن استخدام سياسة العصا الغليظة، وأنهك الثورة اليمنية طيلة عام تقريبا، سقط خلاله آلاف الشهداء والمصابين، الأمر الذي وصفه أحد المحللين اليمنيين بقوله: أعتقد أن علي صالح ينتهج حاليًا مقولة: (إذا أردت السلام فاستعد للحرب)، فهو يدرك تمامًا بأن السلطة لن تكون له بعد ١١ فبراير تاريخ انطلاق

الثورة، وإنما يسعى حاليًا وبمظلة المبادرة الخليجية إلى الحفاظ على ماء الوجه والخروج المشرف من السلطة، إضافة إلى حصانة تجنبه هو وأعوانه المحاكمات وغيرها من تدويل الملفات اليمنية.

لقد نجح صالح وزعماء المبادرة الخليجية تساندتهم قوى غربية في الالتفاف على الثورة، حيث تنص المبادرة الخليجية على تنحي الرئيس علي عبد الله صالح خلال تسعين يوما من توقيع الاتفاق بعد التنازل عن صلاحياته لنائبه هادي منصور!! الذي سيشرف على عمل حكومة الوفاق الوطني التي ستعد لانتخابات رئاسية في فبراير/شباط المقبل .. هكذا وبكل بساطة، فصالح يرى أن تركه كرسي الحكم تضحية كبيرة كبيرة جدا تصغر أمامها كل الأرواح التي أزهقت، والأجساد التي تقطعت، والاقتصاد الذي انهيار (يقدر خبراء التكلفة اللازمة لتجاوز آثار الأزمة بنحو ستة مليارات دولار).

وهذا نفس السيناريو الذي كان يريده مبارك، حيث عين عمر سليمان رئيس المخابرات نائب له، وأقال الوزارة وكلف اللواء أحمد شفيق وزير الطيران المدني بتكوين وزارة جديدة، أي عملية تغيير للوجوه لا أكثر ولا أقل كما يتم الآن باليمن.

لكن رجال ثورة مصر رفضوا أن يتلعبوا الطعم، واستمروا في نضالهم الثوري حتى أزيحت النخبة الفاسدة بكل تفاصيلها وحذافيرها، وباعتقادي أن ثوار اليمن لو قبلوا هذا السيناريو الهزلي الحالي فمعنى هذا أنهم أجهضوا ثورتهم وأضاعوا أشهر الكفاح السابقة المبررة، وباعوا دماء شهدائهم وحقوق مصابيهم بثمان بخس.

إن مجرد القبول بأنصاف الحلول معناه أن صالح قد نجح في خداع الثوار، وقدم نموذجا ناجحا لكافة الزعماء العرب يتعاملون به مع ما هو آت .. فنائب الرئيس لا يفترق كثيرا عن الرئيس، وأبناء صالح وأقاربه مازالوا مسيطرين على المؤسسة العسكرية وغيرها من الأماكن الحساسة بالدولة، ولم يتغير شيء في هذه المسرحية الساذجة.

إن المتفائلين بحكومة باسندوة يرون سرابا لا ماء فيه، فالثورة لا تؤتي أكلها إلا بإزاحة وتطهير كل فلول ورموز النظام السابق .. إنها تغيير جذري من الألف إلى الياء، تغيير يضمن عودة الحقوق لأصحابها، وأولهم الثوار أنفسهم الذين قدموا أرواحهم

وأجسامهم من أجل الحرية، وبداية استرداد الحقوق لابد أن تبدأ من محاكمة صالح وأعوانه لا إعطائهم الحصانة.

ولو كان صالح يتفاوض من منطق قوة لأن المؤسسة العسكرية تحت إمرته، وحكام الخليج والمجتمع الدولي ورائه، فعلى الثوار أن يعلوا صوته فوق أي صوت يبرر هذا التواطؤ الغريب مع صالح ونظامه في اتفاق سخيف مثل هذا، والصبر ساعة وإن طالت، وطعمه مر علقم لكن ثمرته أحلى من العسل.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُتِلَ القذافي

(الزمان): عصر (الخميس ٢٠/١٠/٢٠١١م) .. (المكان): شاشة قناة الجزيرة الفضائية .. (خبر عاجل): «القذافي قتل»!! .. مزيج من مشاعر الدهشة تنتاب الجميع .. معقولة القذافي قُتِلَ!، معقولة رحل القذافي هو وأبناءؤه وبهذه الطريقة المأساوية!، معقولة رحل القذافي وهو مدرج في دماءه، وبين يديه سلاحه الذهبي. نعم هذه هي الحقيقة وإن لم تستوعبها العقول من أول وهله، فلقد رحل الطاغية كما رحل الطغاة قبله، رحل بعدما يئست القلوب من رحيله، وهو الزعيم الذي لم تعرف الجموع الغفيرة في ليبيا المعاصرة زعيما غيره، أكثر من أربعين سنة وهو ملء الأسماع والأبصار.. ولكنه قتل.

قُتِلَ القذافي الذي تفرد في طغيان ربما لم تعرف البشرية مثله طيلة عهدها السحيق.

قُتِلَ القذافي الذي كان لا ينظر إلى الأرض أبدا من فرط كبرياؤه وجبروته.
قُتِلَ القذافي الذي لقب نفسه بملك ملوك إفريقيا، وبإمام المسلمين، وعميد الحكّام، ورئيس الاتحاد الإفريقي.

قُتِلَ القذافي الذي عارض بكتابه الأخضر ومفاهيمه الشوهاء كتاب الله تعالى.
قُتِلَ القذافي الذي اعتبر الدين عدوًا للحرية والعلم.
قُتِلَ القذافي الذي أنكر حادثة المعراج.
قُتِلَ القذافي الذي استهزأ بمقدّسات المسلمين، فوصف الحج بأنّه عبادة ساذجة، والحجاب بأنّه من عمل الشيطان.

قُتِلَ القذافي الذي ادّعى أنّ الدولة الفاطميّة، أنها أوّل دولة قامت في الإسلام.
قُتِلَ القذافي الذي زعم أنّ أبا بكر ليس بخليفة رسول الله، ووصف عمر بأنّه ديكتاتور، ونفى عن عثمان صلاحيّته للحكم، كما نفى أنّ يكون هناك عشرة مبشرون بالجنة.

قُتِلَ القذافي الذي وصّف الخلافة بعد النبي بأنها بدعة وضلالة، منذ أن قامت بعد وفاة الرسول، وقال ما نصه: إنّ الرسول بريء من الخلفاء الذين أتوا بعده.

قُتِلَ القذافي الذي بل بلغ من جرّأته وعدم احترامه لمشاعر المسلمين أن اقترح أن تحذف كلمة (قل) من المصحف؛ زاعماً أنها أمرٌ موجّه للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقد مات النبي.

قُتِلَ القذافي الذي أنكر العمل بالسنة والاحتجاج بها؛ بحجّة الضعيف والموضوع فيها، بل اعتبر العمل بالسنة من الشرك بالله.

قُتِلَ القذافي الذي كانت تحرسه النساء.

قُتِلَ القذافي الذي أضحك العالم كله من مواقفه المجنونة.

قُتِلَ القذافي الذي دعا لقيام دولة إسرائيلية فلسطينية في كيان واحد اسمه «إسرائيل».

قُتِلَ القذافي الذي كان ضحية فهمه الخاطئ للسلطة، تلك السلطة التي سكر من حلوها فتناسى مرها.

قُتِلَ القذافي الذي احتكر ثروات ليبيا النفطية لنفسه، وأذاق شعبه الفقر والحرمان والجهل قبل أن يذيقهم القهر والذل والهوان.

قُتِلَ القذافي في أبشع صور سوء الخاتمة المعاصرة، تلاحقه لعنات شعبه.

ذكرياتي مع القذافي لا تتجاوز ذكريات المواطن العادي الذي كان يجد صعوبة في كتابة الديباجة الليبية المعهودة على أي مظلوف يرسل للجماهيرية عبر البريد: «الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى» هكذا وبنفس السرد والترتيب، وإلا لن تصل الرسالة وفق قرارات الزعيم الملهم.

وحدثني دكتور صديقي كان يعمل بجامعة سبها في كلية الآداب أن دكتورة ألفت كتاب عن الزعيم الأوحى بعنوان «رسول الصحراء» فاستدعاها القذافي لمقابلته وأعطاهم مكافأة عبارة عن جوال ملئ عن آخره بالنقد!! مما فتح شهية صديقي الدكتور فعزم على تأليف كتاب عن المناهج التربوية في فكر القذافي ليفوز بهذه الصفقة الثمينة التي ممكن أن تغير حياته رأساً على عقب.

ولا أنسى أبد القصة التي رواها لي أحد العمال المصريين الذين كانوا يعملون بليبيا، حيث أصيب بنزلة معوية حادة، عجز الأطباء في المستشفى الليبي عن علاجها، فأخذ أحد الأطباء ابنه المرافق له، وقال له: ارجع بأبيك إلى مصر فالطب هنا ضعيف للغاية، نحن لو أردنا إجراء أبسط العمليات ولو حتى استئصال اللوزتين لطفل صغير نذهب به لمصر، وفعلا فعل الولد ونجا الوالد بأعجوبة، وهكذا ترك القذافي ليبيا خراب من كل شيء.

أما طريف مآسي القذافي فهي أكثر من أن تحصى أو تعد، ولعل أشهرها أن القذافي كان إذا لم تعجبه فقرة إعلامية على القنوات الرسمية يغضب، فتبرز على الشاشة صورة كاريكاتورية رسمها الفنان محمد الزواوي، وهي عبارة عن «حذاء» أعزكم الله .. ويبقى الحذاء سيد الشاشة لساعات، ويعود البث إلى طبيعته حين يهدأ القذافي ويقرر العودة للبث بنفسه، لأن العقيد الليبي كان يتحكم بهذا الأمر من مقره في باب العزيزية، وأثناء احتلال الحذاء للشاشة، يستمر الموظفون في القنوات الرسمية بعملهم الاعتيادي، ويتواصل بث البرامج وتقديم نشرات الأخبار خشية أن يعود البث في أية لحظة من دون سابق إنذار.

لا أريد أن أتجاوز مرارة الماضي بكل بساطة، ولا أمر على دماء الشهداء وجروح الأبرياء مرور الكرام، لكن لا بد أن لا ننسى أن النصر الفعلي لم يتحقق كاملا، وأن المرحلة القادمة لا تقل خطورة عن المرحلة السابقة، وإن كانت بدون دماء، إلا أن نار الخلاف يمكن أن تحرق الكل، قال تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْخُونَ} [المؤمنون: ٥٣] فضلا عن سرقة الثورة من قبل الوصولين والانتهازيين، ولا يفوتنا أن سرقة الثورات صناعة عربية باقتدار، وكفي أن ندلل من التاريخ على العديد من الثورات العربية التي سرقت من قبل زعماء مغاوير ألقنوا فن الشعارات وخذروا شعوبهم لعقود، وما القذافي منا ببعيد.

المهم في المرحلة القادمة الاستفادة جديا من سلبات المرحلة السابقة، وأن يعي الشعب الليبي العظيم طبيعة الظروف المستقبلية، خاصة وأن الخطر ليس داخليا فقط، بل دول قوات حلف الناتو تريد تسديد فاتورتها أضعاف مضاعفة في صورة استثمارات

باهظة التكاليف، إضافة إلى أن هناك من له مصلحة في تولي السلطة بليبيا لحكومة موالية تخدم مصالحه.

عموما الفرقة تظل الخطر الأكبر الذي حذرنا الله تعالى منه، حيث يقول جل شأنه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

ملك الأردن

الأخ الفاضل: رئيس شبكة المنهاج الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

طالعت على عجل مقال فضيلتكم على الموقع بعنوان «التعديلات الدستورية في ميزان الشرع»

والحقيقة أنا في أشد الدهشة من طريقة صياغتهم للموضوع وتصديره بصورة لملك الأردن وهو في حالة خشوع ودعاء!!!

أخي الفاضل

من الصعب الزج بأمور الشرع للتدليل على مثالب طغائنا ممن لا ينكر أحدهم فجرهم وبطرتهم ومخاصمتهم لشعوبهم.

ولي الأمر هذا الذي تتحدث عنه، مآسيه ومآسي والده لا تُنكر ولا تُجحد إلا من معاند.

فالملك حسين الوالد ظل طيلة عمره الحليف الأقوى للعدو الصهيوني، وزياراته المتكررة بطائرتة الخاصة لرموز الحكم الصهيوني لا يغالط فيها أحد، كان في كل زيارته ناصحا ومشيرا، بل وجاسوسا على أبناء جلدته حيناً آخر.

أما الملك المفدى الابن!! فإنجازاته هو وزوجته تاريخية في الولاء المطلق للصهاينة والأمريكان ويكفي أن أذكر لك أن عملية إيلات النوعية الأخيرة سبقها بساعات تحذيرات من الملك لقادة العدو، وكأن مخابراته رصدت شيئا ما، مما جعله يسرع في تنبيه العدو، لكن الله سلم ونجحت العملية رغم كيده.

من المعلوم شرعا قاعدة «اثبت العرش وانقش» فابتداء الكلام يكون حول صلاحية هذه الطغمة الحاكمة في أن تكون ولاية أمورنا.

أي ولي أمر هذا الذي تتحدث عنه، وتسوق من الأدلة الشرعية لتدعيم قراراته، وتصدير مقالك بصورة خادعة لا توافق حال الرجل، تلك الصورة التي ذكرني بصور

الرئيس المؤمن!! أنور السادات كما كان يحلو له أن يسميه أتباعه، وهو الذي ألقى بنفسه في أحضان اليهود وحالفهم وعادى العرب قاطبة فأذله الله تعالى بشر موته ووسط جيشه.

أخي الفاضل.. هؤلاء الطغاة سارقي العروش لا يستحقون منا تأصيلات شرعية تأييدية، فهذه حفنة من الحكام ندر وجودها في تاريخنا، حفنة لا ترى فيها إلا العمالة والخيانة والعداوة لشعوبها.. وإلا فأخبرني عن إنجازات المملكة الأردنية طيلة عقود الملك وأبيه وأجداده.. للأسف لا شيء سوى اتفاقيات مشبوهة مع الصهاينة (وادي عربة نموذجاً)، حتى صارت الأردن كغيرها لا في العير ولا في النفير
فلا صناعة وجدنا ولا حضارة أنشأنا ولا رقي شاهدنا، وما زالت إسرائيل تنتفخ وتصول وتجول والملك المفدى لا يثبت بنت شفة، ولا تسمع له صوتاً.
إن هؤلاء عار وشنار على أمتنا، تلاحقهم دعوات الشكالي في غزة وفي الأردن وفي غيرها من الشعوب المقهورة

ولاية أمر سكنوا القصور الفارحة على غير كفاءة منهم، واستحوذوا على مقدرات الشعوب، فانهار في عهدهم التعليم والصحة والتصنيع.. بل انهيار على كافة الأوجه
لم نذكر لهم يوماً موقفاً بطولياً ولا قرار صائباً ولا إنجازاً يذكر حتى فاتنا القطار
أخي الفاضل

هؤلاء الذين تزعم أنهم ولاية أمر لو عرضوا أنفسهم على استفتاء شعبي حر ونزيه لعلموا أن كل الشعوب تكرههم بعدما رأوا على أيديهم العمالة في أفج صورها والمجاعات في أبشع حالاتها

أنا لا أرى في هذا المقال إلا محاولة هزيلة لدفاع عن لص سارق عرش، ولن ينطلي كلامك على أي شريف عاقل

أولى بكتابنا أن يحسبوا حساب لما يكتبوا ولا يتسرعوا في الدفاع عن بديهييات كي لا يتهمهم أحد بالنفاق والعمالة والتزلف لولاية الأمر

ليتك تراجع نفسك وتدع عنك هذه الشنينة من التأصيلات الشرعية فهي لن تروق لأحد

فصاحبك غارق في وحل لا تجد له مثيلا في تاريخ الأمة
والشرع برئ منه ومن كافة الطغاة العرب
يا رجل أولى بك أن تحذف هذه الصورة وتنصح مليكك المفدى أن يحجب
زوجته أولا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقاومة غزة .. وضوح الرؤية والهدف

«الاحتلال لن يعوض إخفاقه في الحرب على طاولة المفاوضات» .. بهذه العبارة الناصعة التي أطلقها (إسماعيل هنية) بدأت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية في أول مرة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني على أرضية المقاومة الصلبة التي لم تعهدها إسرائيل من قبل .. بدأت المقاومة نضالها السياسي مرفوعة الرأس واضحة الرؤية والهدف .. بدأت واضحة وفي النور لا كما تعودنا سلفا على المباحثات العربية الإسرائيلية طيلة عهودها السابقة، حيث البنود السرية واستمرار التفوق الصهيوني بشروطه التعجيزية، والدعم الأمريكي السافر والخضوع العربي المخزي.

والمفاوضات مع الصهاينة ليست بالأمر الهين، فمع التفوق العسكري لدولة الاحتلال تمتلك أيضا براعة سياسية مكنتها من عزل مصر عن محيطها العربي والإقليمي وإخراجها من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي من خلال اتفاقية (كامب ديفيد)، والشيء نفسه يقال عن (اتفاقية أسلوا) للحكم الذاتي المحدود التي عقدتها مع منظمة التحرير الفلسطينية ثم تملصت إسرائيل من هذه الاتفاقية ولم تنفذ استحقاقاتها التي تقود لإقامة دوله فلسطينيه مستقلة بحدود الرابع من حزيران ٦٧ كاتفاق إطار لمدة خمس سنوات انتهت بنهاية ١٩٩٩، ولا يفوتنا (اتفاقية وادي عربه) بين الأردن وإسرائيل حيث الاعتراف المتبادل، هذا فضلا عن تمكن حكومات الكيان الإسرائيلي من إقامة العديد من العلاقات غير مباشره مع العديد من الدول العربي، ونسج خيوط لعلاقات اقتصاديه واستثماريه في العديد من الدول العربية بحيث تمكنت بهذه الاتفاقات من اختراق قرار الجامعة العربية بمقاطعة إسرائيل اقتصاديا.

اليوم الأمر يختلف، فالمفاوضات تلت عملية حربية إسرائيلية تدميرية لكل شيء في غزة، استخدمت خلالها خمسة آلاف طن متفجرات (ما يعادل ١٢ قنبلة ذرية)، ولكنها لم تؤت أكلها، وخرجت منها إسرائيل ولم تنتصر وغزة لم تنهزم.

هذا فضلا عن أن الجيش الصهيوني قد تآكلت لديه قوة الردع منذ عام ٢٠٠٥ وما تلاه من نصر (حزب الله) بלבnan ٢٠٠٦ ، فأخذ العبارة من مغامرة (الجرف الصامد) بسرعة بعد أن لم يحترم قدرات الخصم بشكل كاف، وتراجع بقواته البرية إلى الوراء وأكمل عدوانه بسلاحه الجوي فقط بعد أن خسر برياً ما خسر، وأسر من جنوده من أسر.

كما بدأت المفاوضات بتوحد كامل لكل الفصائل الفلسطينية المقاومة .. توحد في الرؤية والقرار، وتبصر تام لمناورات العدو الذي يحاول المماطلة لكسب مزيد من الوقت الذي يمكن أن يفجر الأوضاع الشعبية في غزة إثر الوضع الكارثي هناك، ورغم استبعاد هذا الأمر مع اصطفا الشعب الفلسطيني خلف المقاومة إلا أن المقاومة أعلنت مؤخرًا أن الهدنة الثانية لن يعقبها أي هدنة أخرى، وتعول المقاومة على حرب استنزاف طويلة الأمد لا تجعل الصهاينة ينعمون بالراحة في ظل منظومة صواريخ يغطي مداها كافة الأجواء الإسرائيلية، فضلا عن تعطل المطارات والموانئ وإرهاق الاقتصاد الإسرائيلي وتأجيج الحرب النفسية على المواطن الإسرائيلي. علاوة على أن الوضع الدولي لن يسمح بمجازر إسرائيلية طويلة الأمد.

ويشار إلى أن حرب الاستنزاف ستربك سير التعليم في السنة الدراسية الوحيدة، وستؤدي لتراجع عدد السياح، وتكلف إسرائيل دفع تعويضات هائلة للمتضررين منها. ووفق وزارة المالية الإسرائيلية، فقد بلغت تكلفة الحرب على غزة حتى الآن أكثر من ثلاثة مليارات دولار، وتؤكد وزارة السياحة أن أعمال المرافق السياحية تراجعت بنسبة ٩٠٪ منذ بدء العدوان.

إن الشروط التي تضعها المقاومة بفتح المعابر وإنشاء ميناء بحري ومطار لا يمكن لإسرائيل الموافقة عليها لأن هذا من شأنه أن يعزز من قدرات حماس الحربية، وكل ما تستطيع أن تقدمه دولة الصهاينة هو دعم مادي سخي، وموافقة على إعادة إعمار غزة، وتحسين المرافق والإمدادات الحياتية اليومية بها، وتوسيع رقعة الصيد في المياه الفلسطينية .. كل هذا كنوع من شراء البطون واللعب على وتر المعاناة.

لكن المأزق الإسرائيلي يكمن في أن أوراق الضغط التي تملكها المقاومة اليوم تختلف خاصة مع توحيد القوى السياسية المفاوضة وتماسك نسيجها رغم أن أطرافاً حاولت تشتيتها ومنعت مشعل وهنية من قيادتها على مائدة التفاوض، على أمل شراء ولاء بعضهم لكن الأمر كان صادماً والمؤامرة كانت مكشوفة والفشل كان حليفها.

كانت رؤية المقاومة واضحة في عدم الموافقة الإسرائيلية على نزع سلاحها الذي حمى الهوية الوطنية الفلسطينية، وشكّل صمام أمان لحقوق الشعب الفلسطيني، ورسم حدوداً وخطوطاً وقواعد للموقف السياسي الواعي والمستثمر لحصاد المقاومة على الأرض، والمتناغم معها في خدمة المشروع الوطني في التحرر والاستقلال.

كانت رؤية المقاومة واضحة عندما قررت أن «المكتسبات لا بد أن تكون على قدر التضحيات»، وأنها تدرك جيداً -ويدرك العدو معها- أن من يريد الشهادة صعب المغامرة معه، وأن التفوق الحقيقي للمقاومة في روحها المعنوية العالية التي لا يتمتع بها الجندي الصهيوني، خاصة وقد تسربت أنباء عن تهرب البعض من الخدمة العسكرية وإطلاق آخرين الرصاص على أصابع أقدامهم للتوصل من دخول الحرب، وغيرها من المواقف التي تصب في غير صالح حرب إسرائيلية طويلة الأمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

حماس ..

الرقم الصعب في المعادلة الإسرائيلية

لو سادت الأمم بالكلام دون الفعل لصارت أمتنا سيدة الأمم، فالأمة العربية تمتلك ثروة جبارة ممن يسمون أنفسهم بـ «النخب» التي اكتسبت جماهيريتها خلف الكاميرات، وقبعت في الاستوديوهات الإعلامية المكيفة: تحلل وتنظر وتقرأ المشاهد وتستنبط الرؤى وتقترح الحلول، في برج عاجي لا يمت بواقع المواطن العربي بأي صله، وفي توليفة نادرة جمعت المحلل والاستراتيجي والخبير والمتخصص في الشأن العربي نشأت نظريات وتولدت أفكار واقترحت مشاريع وصممت برامج .. للنهوض تارة ولتحسين المستوى الحياتي تارة أخرى ولمواكبة النهضة الحضارية الغربية، ولتكوين منطقة خالية من الأسلحة النووية والملوثات العضوية والنفايات البيئية .. وغيرها من العناوين الجبارة والشعارات الحماسية الفضفاضة، دون حراك يذكر على أرض الواقع سوى رصد الميزانيات الفلكية وعقد المؤتمرات الدورية ثم تخفت الأخبار تدريجيا وبعدها يدخل المشروع دائرة النسيان.

المحزن أن أعداؤنا تجمعهم أحقادهم تجاهنا على بذل المزيد من الجهود للسيطرة والاستحواذ، وغالبا ما ينجحون .. أعداؤنا يعرفون طريقهم جيدا في الوقت الذي نتلمس في طريقنا ونتحسس فيه سبيلنا للخروج من بوتقة الظلام والفشل العربي دون جدوى.

في وسط هذا المستنقع العربي الآسن كانت «حماس» .. وما أدراك ما حماس. هذه المنظومة الأبية من الرجال في زمن الانبطاح العربي التي أزعجت عدوها الصهيوني على الرغم من آلة حرب الجبارة، وأثلجت صدور قوم مؤمنين بربهم وقضيتهم.

حماس التي قالوا عن صواريخها أنها عبثية وأنها لا تثقب جدارا، فما فت في عضدها تخذيل المخذلين، ولا يأس المنهزمين، ولا اقتراحات المطبوعين .. بدأت رحلة

المقاومة، ولأول مرة يخرج من العرب من يتجاوز حدود التصريحات والتحديات والاستنكارات، ويعلنها صراحة أن ما أخذ بالسيف لا يرد إلا بالسيف، فكفرت بطاويات المفاوضات، وناورت سياسيا لكن أصبعا على زناد البندقية، وقدمت شهداء ودماء وأشلاء في مسيرة التضحية الحقيقية الصادقة.

وها هي اليوم رغم الشهداء والخراب تبهر العدو قبل الصديق، وتطلق صواريخها النوعية إلى قلب إسرائيل، أقولها بكل فخر «صواريخها» .. ليست صواريخ أمريكية ولا روسية كما هو الحال في كافة الجيوش العربية بلا استثناء.

وأحيلكم إلى هذه الأخبار الغربية على أسماعنا كعرب بعدما صدت آذاننا من نغمات التفاوض وضبط النفس وشعارات السلم الدولي والتعايش السلمي .. على مدار عقود لم يتحرر خلالها من القدس شبرا واحدا:

أقر محللون عسكريون إسرائيليون بأن كتائب القسام، الجناح المسلح لحركة حماس، "وعدت فأوفت في مشهد غير مسبوق" بتاريخ الكيان الصهيوني . وكانت كتائب القسام قد هددت "الإسرائيليين" بقصف تل أبيب وضواحيها بعد الساعة التاسعة مساء السبت ١٢/٧/٢٠١٤، ونفذت وعدا في مشهد أصاب الكيان الصهيوني كله بالصدمة والذهول؛ حيث انتظر أكثر من ٣ ملايين إسرائيلي يقطنون تجمع غوش دان والذي يضم تل أبيب عملية كتائب القسام الصاروخية التي أعلن عنها سلفا في مشهد تحدّ لم يعتده "الإسرائيليون" في تاريخهم.

ويرى مراقبون أن رسالة تلك الصواريخ أضرت بالأمن الإسرائيلي أكثر من أي معركة أخرى، فقد ضربت كرامتهم العسكرية عندما وقفوا عاجزين يجوبون القطاع من شرقه لغربه بحثاً عن منصة الصواريخ التي ستطلق منها المفاجئة.

الإعلام الإسرائيلي: صاروخ فلسطيني يصيب قاعدة "كناف ٢" الجوية قرب مدينة القدس المحتلة بشكل مباشر.

وجهت كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، صفة قوية لمنظومة القبة الحديدية "الإسرائيلية" عبر تزويد صواريخها بتقنية تمنع اكتشافها من قبل تلك المنظومة المضادة للصواريخ .. وقالت الكتائب في بيان لها حول

تفاصيل عملية قصف منطقة "بيت يام" و"تل أبيب" مساء السبت إن صاروخين من نوع "J80" والذين أطلقا ضمن رشقة صواريخ على منطقة "غوش دان" وسط فلسطين المحتلة مزودين بتقنية تمنع اكتشافهما من قبل القبة الحديدية الإسرائيلية.

د. محمود الزهار يتقدم صفوف المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني.

قادة إسرائيل من العسكريين والسياسيين محبطون وبتلاومون بينما المقاومة تمطر وتذك تل أبيب والقدس ومدن إسرائيل من حيفا وحتى الجنوب بالصواريخ.

تبحث الولايات المتحدة خادمة إسرائيل بالبحث عن وسطاء تقبلهم حماس من أجل وقف إطلاق النار لحماية إسرائيل من صواريخ المقاومة.

ميركل وأولاند وأوباما يطلبون وساطة أردوغان، والصهاينة العرب يناشدون حماس أن تتوقف والمقاومة تصر على أن تفرض شروطها وأن تمرغ أنف إسرائيل في التراب.

كشف صحيفة "معاريف" الإسرائيلية، أن حكومة الاحتلال الصهيوني، أصدرت قرار الشروع في عملية برية بقطاع غزة مرتين، قبل إلغائه في اللحظات الأخيرة.

إننا إذ ننعي شهدائنا بغزة، ننعاهم اليوم نعيًا خاصًا مشوبًا بالغزة، وبمشاعر يمتزج فيها الحزن بالإياء والشموخ، وحسبنا أن نقول اليوم بملء الفم: «قتلنا في الجنة، وقتلكم في النار»، وأننا نموت اليوم بشرف لا أن نساق للموت كما تساق النعاج.

اللهم انصر حماس .. اللهم انصر حماس .. اللهم انصر حماس

بسم الله الرحمن الرحيم

حرب غزة .. قراءة في مشهدين

في خضم الأحداث الدموية التي تمر بها غزة هذه الأيام، تتباين المواقف من داخل غزة نفسها ومن خارجها في آن واحد، فبينما بدت الفصائل الفلسطينية المجاهدة واضحة الرؤية في مواقفها البطولي، نجد على الجانب الآخر رؤية صادمة للموقف الرسمي المصري وآلة إعلامه الجبارة، وبالرغم من مشاركة آخرين لهذه الرؤية المصرية المشينة إلا أننا رأينا أن نركز على الموقف الفلسطيني الأبى من قلب غزة والموقف المصري المغاير باعتباره محوري في القضية الفلسطينية بحكم ثقل مصر التاريخي والعربي وتماسها الحدودي مع قطاع غزة.

تمر الأحداث سراعاً، وتسطر المقاومة الفلسطينية ملحمة بطولية وتكنولوجية في سابقة فريدة لم يعرفها النضال العربي الرسمي طيلة قيادته لملف القضية الفلسطينية، ولأول مرة تحلق طائرات حمساوية بدون طيار فوق مبنى وزارة الدفاع الصهيونية «الكرياة» بتل أبيب التي يقود منها الصهاينة العدوان على قطاع غزة، على الرغم من الغطاء الجوي ومنظومات الاعتراض المتطورة للاحتلال، كما أطلقت كتائب القسام عدة صواريخ على مدينة تل أبيب، بالتزامن مع جلسة المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر «الكابينيت».

وحدث بكل فخر عن إسقاط المقاومون الفلسطينيون لأربع طائرات إسرائيلية بدون طيار كانت تحلق فوق أجواء قطاع غزة. وإعلان الجيش الإسرائيلي رسمياً عن مقتل أول إسرائيلي متأثراً بجراح أصيب بها جراء شظايا صاروخ عند معبر بيت حانون. كما أرسلت كتائب القسام رسائل نصية هاتفية إلى نصف مليون إسرائيلي في إطار الحرب النفسية حيث حذرتهم من أن حكومتهم تقودهم إلى الهلاك.

وفي خضم حالة التخبط التي تعيشها القيادة الصهيونية أقال رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتياهو" نائب وزير الدفاع الإسرائيلي "داني دانون" على خلفية مهاجمته لقيادة الدولة.

وأخيرا خلص المحلل العسكري لصحيفة "هآرتس" الصهيونية إلى إن الحرب التي يشنها جيش الاحتلال على قطاع غزة قد استنفذت، وأن الجيش لن يحقق إنجازا حاسما، وأن الجيش لا يمكنه تحقيق أهداف الحملة معتبرا أنه استنتاج كئيب لكنها الحقيقة المرة، فبعد ستة أيام من انطلاق الحملة العسكرية حقق الجيش بعض النجاحات لكن ليس بمقدوره تحقيق إنجاز هجومي.

وسخر ممن يدعون إلى "إطلاق يد الجيش لتحقيق الانتصار"، وقال: "إنهم لا يدركون أين يعيشون"، مشيرا إلى أنه "لا يوجد إمكانية عملية لمنح الجيش ما يتطلب لاستنفاد ذاته - غطاء سياسي وقضائي - لهذا لا معنى لقدرته على تحقيق ما كان في فترات سابقة وبظروف مختلفة يعتبر انتصارا".

وقال: "إذا أصرت إسرائيل على شروط أفضل فإن من شأن ذلك إطالة شد الأعصاب، وزيادة ومعاناة السكان في قطاع غزة دون أي أنجاز حقيقي". واختتم المحلل الصهيوني مقالته بالقول: "سيطلب من نتياهو أن يحاول تسويق تنازلات إسرائيل لحماس أو للوسيط الدولي على أنها إنجازات، ولن يشكل ذلك تحديا لنتياهو، فالجمهور الإسرائيلي يتقبل كل شيء إذا تملقته وحدثته كم هو شعب موحد واستثنائي".

وإن تعجب فعجب من الإعلام المصري الذي تغلي مراجله حقدا من هذه الإنجازات الغزافية، وتسارع القيادة المصرية كعادتها لتبني مبادرة -بمباركة أمريكية- تخدم الصهاينة سرا وتظهر للإعلام العربي بدور المشفق على أنهار الدماء الفلسطينية التي تسيل، والتي ترى أن مجرد وقف جريانها إنجازا رغم الشروط الخفية المجحفة لإخواننا في النضال، فضلا عن زيادة ساعات فتح معبر رفح لكن بشكل لا يجهض الغرض من الحصار.

فلقد قال المحلل السياسي الإسرائيلي "إيهود يعاري": إن المبادرة المصرية لوقف إطلاق النار في غزة ضبابية وأن النظام المصري يهدف من ورائها إلى تحجيم حركة حماس. وأوضح يعاري أن النظام المصري يهدف من وراء المبادرة إلى منع حماس من تحقيق انتصار في العملية العسكرية الإسرائيلية على غزة المشتعلة منذ ثمانية أيام. ومن جهته، قال المحلل العسكري "عاموس هرئيل" في مقال نشرته صحيفة هآرتس، أن القاهرة تحاول الآن أن تضمن مكاسب للسلطة الفلسطينية في التسوية وتشترط إعطاء حماس تسهيلات في معبر رفح بضمان تمثيل السلطة الفلسطينية في المعبر.

ويرى مراقبون أن المبادرة بمثابة غطاء لتجديد الشرعية الدولية للعدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة من خلال إظهار حماس على أنها ترفض وقف إطلاق النار وتواصل إطلاق الصواريخ على الإسرائيليين، بسبب عدم تعاطي المبادرة مع شروط المقاومة الفلسطينية القاضية بوقف جرائم الاحتلال وكسر الحصار المفروض على القطاع.

وحدد مسئولون إسرائيليون ثلاثة أسباب دفعت تل أبيب لقبول المبادرة المصرية لوقف إطلاق النار في غزة، أولها أن المبادرة لا تستجيب لمطالب حماس وخاصة الإفراج عن أسرى، وثانيها أنها تتحدث عن وقف غير مشروط لإطلاق النار، وثالثها أنها ترى أن قبول المبادرة بعد الضربات التي وجهت لإسرائيل يترك حماس في موقف ضعيف.

لكن حماس المقاتلة لا تقل عن حماس السياسية المناورة حيث رفضت المبادرة المصرية المقدمة لوقف إطلاق النار، مؤكدة أن المعركة مع العدو الصهيوني ستستمر وبشكل أشد ضراوة. ووصفت هذه المبادرة بأنها مبادرة ركوع وخنوع، وأنها لا تساوي الحبر الذي كتبت به.

ومن المواقف المشرفة للدكتور حسام بدران المتحدث الإعلامي باسم حركة حماس، نفيه في تصريحات صحفية أن يكون قد وجه الشكر للقيادة المصرية، وتساءل: علاماً شكرها؟! .. وكانت تصريحات منسوبة للدكتور بدران تم نشرها علي

صحيفة "اليوم السابع" المصرية تحت عنوان: «المتحدث باسم حماس: نشكر القيادة المصرية على دعمها، وننتظر المزيد»

وأشار بدران أنه بالفعل أدلى بتصريحات لمحرر "اليوم السابع"، حول الوضع في غزة، لكنه لم يتطرق لتوجيه الشكر للقيادة المصرية. موضحاً أن القيادة المصرية تغلق معبر رفح، وترفض دخول أي شيء لغزة، وأنها منعت وفداً طيباً من أوربا دخول غزة، فكيف يشكرها، وما هو الذي قدمته هذه القيادة حتى يطالبها بالمزيد؟!

ويرى المحللون أن مصر خسرت أحد أهم مواقعها التي كانت تعطيها أفضلية لدى صانع القرار الدولي، سواء الأمني أو الأمريكي، فالنفوذ المصري في الملف الفلسطيني كان يعادل نصف قيمة الدبلوماسية المصرية في العالم كله، للحساسية العالية للملف الفلسطيني الإسرائيلي في جميع عواصم العالم الكبرى، ومعلوم أن أول اتصال بين قادة العالم وأي رئيس مصري جديد يكون أول جملة فيه بعد التهئة بالمنصب هو السؤال عن الموقف من القضية الفلسطينية وإسرائيل، فأن تخسر مصر مكانها وموقعها هنا يعني أنها خسرت -بضربة واحدة- نصف ثقلها الدبلوماسي، وهي خسارة تترجم بعد ذلك في تقلصات للدعم السياسي والاقتصادي والأمني والعسكري وخلافه، لأن العالم لا "يتصدق" عليك إلا وفق القيمة التي يمكن أن يجنيها من ورائك، أو الدور الذي يمكنك القيام به.

ولقد وصل الارتباك بالقيادة الصهيونية إلى إعلانها وقف إطلاق النار من جانب واحد، وهذا ما رفضته المقاومة الفلسطينية بشكل عملي حيث أعلنت كتائب القسام مسؤوليتها عن قصف مدن إسرائيلية، وأطلقت ٣٢ صاروخاً وقذيفة بعد ساعات على إعلان إسرائيل وقف إطلاق النار من جانب واحد.

إن المستقبل العربي يعاد صياغته من جديد على يد أبناء لم تستغ أجسامهم رضاعة ألبان الخيانة والعمالة، ورفضت عقولهم النيرة فكرة أمريكا القائد الأوحده في العالم الذي ينبغي على الجميع الدوران في فلكها، فالمعول الآن على التيار الشعبي العربي الواعي الذي صار أكبر من الكل، والذي على يديه ستتحقق إنجازات -بإذن الله تعالى- تبهر القريب والبعيد، ولعل هذه القراءة هي تجلية لباب الأمل الذي ظلت

الشعوب العربية تبحث عنه طيلة عقود وعقود، والحمد لله أننا أدركنا زمانا مرغت فيه
أنف الصهيونية في التراب، وقبل الغدارون وقف إطلاق النار من جانب واحد، وهم
يرقبون بكل رعب ماذا سيرد المجاهدون الأوفياء عليهم، فكان الرد مدويا، وقريبا
سيكون النصر الحاسم بإذن الله العزيز الجبار.

بسم الله الرحمن الرحيم

وسبقت صواريخ غزة كل الزعماء العرب

وصلت صواريخ المقاومة في يوم تاريخي (الجمعة ١٦/١١/٢٠١٢) إلى عمق الكيان الصهيوني، وصفارات الإنذار دوت في تل أبيب والقدس المحتلة بعد غياب لأكثر من عشرين عاماً، ورئيس الوزراء الإسرائيلي في مخبأ تحت الأرض، فضلاً عن قتلى وجرحي في صفوف الكيان المحتل، وخضوع ٥ ملايين صهيوني لمرمى صواريخ المقاومة، وأبناء عن إسقاط طائرة حربية صهيونية وأخرى استطلاعية.

وصلت صواريخ المقاومة في أيام مجيدة كان يتمنى كل شهداء الأمة أن يعاصروها من سيد قطب والقسام إلى أحمد ياسين والدكتور الرنتيسي والقافلة طويلة والقائمة أطول.

صواريخ المقاومة التي وصفها البعض سابقاً بالعبثية، والآخرين بالبدائية، والمبشطون وصناع الكلام بأنها هزلية، وأثبتت الأيام أنهم أنفسهم غناء كغناء السيل، وأن موائد مفاوضاتهم لم يجنوا منها إلا الذل والمهانة، ومع ذلك هم لا يكفون -حتى الآن- عن شعاراتهم العوراء ونظرياتهم الشوهاء.

واليوم لا تسمع للقادة العرب ركزا، وهم الذين ملئوا الدنيا ضجيجا وصياحا من عام ١٩٤٨ وحتى الآن، ومع ذلك لم يقدموا شيئا للقضية الفلسطينية سوى توحش وتوغل العدو الصهيوني أكثر وأكثر.

لقد رأينا وخبرنا على أيدي قادة العرب المغاوير كل صفات الأقزام والأزلام، البارعون في التشديق بالخطب الرنانة من باحات قصورهم ووسط تصفيق منافقيهم، الغائبون عن ساحات الوغى حيث لا صوت يعلو فوق صوت نضال الأبطال.

فالملوك من أبناء عبد العزيز آثروا حظ أنفسهم على حظ الأمة، ووجهوا فائضات ميزانية النفط لخدمة الاقتصاد الأمريكي وأعوانه، واكتفوا من الإنجازات بتوسعة الحرم الشريف، وأنشأ كل منهم له باب في الحرم يخلد اسمه وكأن التوسعة كانت من ماله أو مال أبيه.

وكنا نتمنى أن نرى أسمائهم في الإنجازات الغزاوية ومشاريع المقاومة الباسلة أو حتى -على الأقل- المجالات الصناعية أو البحثية المحلية .. لكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم، فخرج علينا المليك بصورة جريئة وهو وسط جمع من السعوديات حاسرات عن وجوههن، وهو بينهن كالبطل المغوار والأسد الكاسر الذي يتبنى حقوق المرأة بزعمه السقيم!!.

ومن طريف القول أن حكام المملكة لما آووا الغادر التونسي بن علي خرج علينا الأمير سعود الفيصل مبررا بأن من شيم العرب أن المستجير يجار، لكن استجارة ثكالي غزة لا نجد لتجاهلها تبريرا سوى أن الطيور على أشكالها تقع.

وأشع مشروع قدمه ملوك الحجاز تمثل في تدجين هيئة كبار العلماء، الذين تزلفوا لولاة الأمر بإصدار سيل من الفتاوى بحرمة التظاهرات والانتقادات -خاصة لمافيا الأمراء- ورسخوا بذلك حكم من حولوا بلاد الحرمين لأعظم مستهلك في عالم يخوض غمار المصاعب من أجل الإنتاج وإثبات الذات.

أما أمير الكويت وطغمته فهم اليوم يعضوا أناملهم من الغيظ على هامش الحريات الذي أعطوه للشعب في البرلمان المنتخب، فها هو ذات البرلمان ينتفض ويأرق مضاجعهم بعدما طال استهتارهم وتهاونهم بحق شعوبهم.

وسلطان عمان وشعبه طالت نومتهم، وعلا شخيرهم، ولا أدري أهم حتى الآن موجودون بعدما انقطعت أخبارهم بالكلية من شريط الأخبار.

أما إمارات ضاحي خلفان الذي يعبر عن مكونات أمرائها، فبعد تصريحه العجيب بأن إسرائيل لا تشكل خطرا علي العرب وأن من حق إسرائيل أن تعيش في أمان، جدد قائد شرطة دبي الهجوم على قيادات مصر؛ حيث كتب ساخرا مجموعة من التغريدات عبر حسابه الخاص على «تويتر»، قائلا: "جتني معلومات: ننتياهو عندما علم بزيارة الوفدين المعنيين إلى غزة ما نام البارحة من الخوف على أمن إسرائيل، أما رئيس أركان إسرائيل فالبارحة في حالة تأهب يزور القوات".

ولقد باتت اجتماعات مجالس الجامعة العربية والتعاون الخليجي ولجنة القدس من الأخبار الهزلية التي تتندر بها الشعوب العربية، وقد أحسن القادة المغاوير صنعا أن

ألغوا الاجتماع السنوي للقمة العربية التي كانت تقدم للأمة سراب فريد من إنتاج خيرة
صناع الوهم والتضليل.

الكل يتسائل: أين الزعماء العرب، في خضم هذه الإنجازات وطوفان
الحريات؟!، لكن ليس بخاف على أحد أنهم باتوا اليوم أكثر خوفا على عروشهم
وكروشهم، وأنهم يدبرون لأنفسهم ألف حل ومخرج إذا ما انتفضت شعوبهم، وأن
اعتصامهم بأمريكا بات وهما بعدما باعت حلفائها في سوق النخاسة لما انتفضت
شعوبهم حرصا على مصالحها.

اليوم ذاق القادة العرب مرارة الهزيمة الداخلية التي شربنا منها كؤوسا في عهدهم،
وأرقت جفونهم من فرط خوفهم من انتفاضة شعوبهم، وانشغلوا بأنفسهم بعدما شغلونا
قرونا مديدة بأنفسنا، وتجرعوا مرارة الجفاء وسمعوا لعنات المقهورين وهي تلعنهم
صباح مساء، فلا هم لكم الآن إلا سؤال واحد يبحثون عن إجابته آناء الليل وأطراف
النهار:

لو انتفضت الجماهير فما السبيل وأين المفر؟

بسم الله الرحمن الرحيم

القبة الحديدية بين أمن إسرائيل واستنزافها

«القبة الحديدية» .. تلك الأسطورة التقنية التي هللت لها إسرائيل، وصالت وجالت في كافة وسائل الإعلام من أجل كسب الحرب النفسية والدعائية، حيث اعتبرها المعلق السياسي لصحيفة "معاريف" (بن كاسبيت): «فخرًا إسرائيليًا» خصوصاً وأن «القبة الحديدية» تمّ تطويرها إسرائيليًا، الأمر الذي جعل قادة الحرب الصهيوني يتناسون في خضم أنشوداتهم المدائحية سلبات تلك المنظومة، وأنها عمليا واقتصاديا ليست الحل السحري الذي تبحث عنه الدولة العبرية من أجل أمنها واستقرارها.

وبادئ ذي بدء لا بد أن يتفطن الجميع إلى أن هذه القبة، ما هي إلا منظومة «دفاعية» وليست هجومية على عكس سياسة الجيش الإسرائيلي العريقة في نقل أحداث المعارك إلى أرض العدو، فضلا عن أنها لن تكون أبدا بديلا عن المقاتلين الأكفاء على الأرض، وهذا هو سر أزمة الجيش الإسرائيلي التي أكدها مراقبون إسرائيليون أنفسهم، من أن تصدي «القبة الحديدية» لصواريخ المقاومة الفلسطينية لا يكفي، ولا يمكن أن يكون بديلاً لكفاءة الجندي والقادة؛ فالعنصر البشري يظل العامل الأساسي في المعركة، وهو ما يفتقده جيش الاحتلال. حيث قال المحلل السياسي (يسرائيل هرنيل) في صحيفة "هآرتس" أن: «الجيش الإسرائيلي الذي عُرف في الماضي بأصالته وشجاعته فقد الجرأة والأصالة. وهو ينفق ميزانيته على صواريخ اعتراض باهظة الكلفة في مواجهة قذائفنا الصاروخية الساذجة».

واضطربت المعلومات والإحصاءات عن مدى فاعلية تلك القبة الصاروخية، حيث أشارت المصادر الرسمية الإسرائيلية أن المنظومة تمكنت من إسقاط نسبة لا يستهان بها من الصواريخ المنطلقة من غزة بلغت (٨٥%)، مع العلم أن مصادر إعلامية إسرائيلية متعددة ذكرت أنه من بين ١١٦ صاروخ أطلقت من قطاع غزة تم إسقاط ٣٥ صاروخ منها، مما يعني أن نسبة النجاح لم تتجاوز ٣٥% من مجمل الصواريخ الغزوية التي حقق بعضها إصابات مباشرة في إسرائيل.

وعلاوة على هذا لم تستطع القبة الحديدية إعادة الحياة الطبيعية لبلدات الجنوب الإسرائيلي، حيث لجأ الجيش الإسرائيلي إلى توزيع "مواسير" الصرف الصحي، بطول ثمانية أمتار، وعرض مترين في شوارع المستوطنات الصهيونية، كي يحمي فيها اليهود لحظة سقوط صواريخ المقاومة.

هذا بالإضافة إلى أن فصائل المقاومة الفلسطينية أطلقت خلال أيام العدوان الأربعة الأخيرة ما يزيد على ٢٠٠ صاروخ مما يعني امتلاكها مخزوناً ضخماً من الصواريخ، وقدرتها على الاستفادة من كثرة الصواريخ الممكن إطلاقها بحيث تنحسر معها فعالية منظومة «القبة الحديدية». وهذا سيكون له مردود سلبي أكبر للجانب الصهيوني إذا قامت فصائل المقاومة مجتمعة بإطلاق صواريخ أبعد مدى وأقوى سرعة. أما على الصعيد الاقتصادي فتمثل تلك القبة استنزاف مدمر للاقتصاد الإسرائيلي، فبحسب تقرير نشره موقع "غلوبس" الإسرائيلي الاقتصادي فإن القاعدة الواحدة تكلفت ١٠٠ مليون دولار أميركي. وتزيد تكلفة صاروخ واحد من طراز «تامير» المستخدم في منظومة «القبة الحديدية» على ٢٢٠ ألف شيكل (٥٥ ألف دولار أميركي تقريباً)، وهو ما يعني أن إسقاط المنظومة لصاروخ واحد تطلقه المقاومة الفلسطينية من قطاع غزة، سيكلف إسرائيل مبلغاً يقترب من ربع مليون شيكل.

وعقب وزير المالية (يوفال شتاينتس) قائلاً: «إنه على الرغم الشاء الكبير على القبة الحديدية إلا أنه لا يمكن التوهم والاعتقاد بأن إسرائيل قد تمول شراء بطاريات بما يكفي لتغطية البلاد بأسرها».

وبين الجدوى الأمنية والتكلفة الاقتصادية للقبة الحديدية، لا زالت هذه الوسيلة الدفاعية تواجه مشاكل فنية أيضاً، فهناك حالات أطلقت فيها قذائف صاروخية من القبة الحديدية لكنها سقطت على الأرض ولم تنفجر نتيجة خلل في أحد أجزاء القذيفة. وفي المقابل نشرت صحيفة "هآرتس" العبرية، مؤخراً عنواناً بالبنط العريض يقول: «بسبب خلل في القبة الحديدية لا مدارس غداً».

وتعصف ميزانية الأمن الصهيوني حالياً باقتصاده، حيث يتحدث العديد من المسؤولين الصهاينة عن أن تلك الميزانية أخذت حيزاً أكثر من اللازم، وأنه على

الحكومة الصهيونية أن تهتم بالوضع الاجتماعي بدلاً من استهلاك ميزانية كبيرة في تحقيق الجانب الأمني الذي يبدو حتى الآن بعيد المنال، خاصة مع تطور قدرات المقاومة في قطاع غزة.

هذه أكذوبة «القبّة الحديدية» التي وصفها أحد المحللين العرب بقوله: قصة وحش يبدو مربعاً لكنه في غاية السخافة - وحش مغفل - أعطاه أحد اللصوص الكبار ثقته ليحرس أرضاً مسروقة، ظنه الناس مخيفاً في البداية؛ لكنهم عرفوا مع الوقت أنه ضعيف جداً ولا يستحق الثقة.

أما مسلسل استنزاف إسرائيل عسكرياً واقتصادياً في جنونها التسليحي فيبدو أنه لن ينتهي، حيث قام الصهاينة مؤخراً بنشر أنظمة «صولجان مشع» للإنذار المبكر ضد الصواريخ المضادة للدروع والدبابات على السياج الأمني المحيط بقطاع غزة، وهذه المنظومة تمكن من الكشف عن الأسلحة الموجهة أو تلك التي يتم تشغيلها بواسطة الليزر، وتستطيع التعرف على وجهة ونوع الصاروخ وتقوم بالتالي بنقل هذه المعلومات بصورة بصرية وصوتية إلى القائد الميداني، ليتم معرفة أين سيصيب الصاروخ. وهذه المنظومة تساعد الدبابة على توجيه المدفع نحو التهديد، كما أنها توفر غطاء دفاع من خلال التشويش، حيث تُمكن من تشويش مسار الصاروخ بوسائل تكنولوجية مختلفة، بحيث لا يُصيب المركبات التي توجد عليها هذه المنظومة.

فهل سينجح الكيان الصهيوني في تحقيق الأمن لمواطنيه بهذا السعار التسليحي الباهظ التكلفة أم أن البدايات الخطأ حتماً يكون آخرها خطأ بالضرورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ومضى شارون السفاح

بدأ جنرالاً وسفاحاً ويمينياً متشدداً مدافعاً عن أيّ وكلّ استيطان في فلسطين المحتلة .. إنه شارون، الجثة الثقيلة التي لم يكن من اليسير أن تنفلت من ذلك الإرث الدموي الثقيل لمجازر صبرا وشاتيلا، والصقر الذي حطّ علي منصة الكنيست في إهاب رئيس الوزراء بعد نحو عقدين من تلك التوصية الشهيرة التي قضت بحرمانه من شغل وظيفة وزير الدفاع .. إنه شارون الذي كان يلقب بـ «البلدوزر»، وينبغي بعد ترأسه للوزارة الإسرائيلية أن يسير مثل غزال كما نصحته صحيفة نيويورك تايمز!

ولد أريئيل صموئيل موردخاي شراير في مستعمرة كفار ملال في فلسطين عام ١٩٢٨ لأسرة بولندية هاجرت إلى القوقاز، حيث عمل والده في الزراعة هناك لبعض الوقت، وطوال فترة بقائه في القوقاز لم ينقطع يوماً عن الحديث إلى زوجته وأولاده عن حلم العودة إلى ما يسميه أرض الميعاد، ولم يطل المقام به في القوقاز فقرر الهجرة إلى فلسطين، وفي مستعمرة كفار ملال كانت ولادة الابن أريئيل الذي اشتهر فيما بعد باسم (شارون) أو (إريك) كما يناديه أنصاره.

كان والده يؤمن بأهمية الزراعة بالنسبة للأجيال اليهودية المهاجرة إلى فلسطين، فوجه ولده شارون إلى دراسة الزراعة، وعمل بالفعل في مزارع «الموشاف» لكن بعد فترة فضل شارون دراسة التاريخ والقانون بدلاً منها، فالتحق بالجامعة العبرية بالقدس، ثم أكمل تعليمه الجامعي في كلية الحقوق في تل أبيب.

في سن الرابعة عشرة انضم شارون لمنظمة «الهاجانا» اليهودية المحظورة التي سبقت تأسيس جيش الاحتلال الإسرائيلي. وقاد وحدة من المشاة في حرب ١٩٤٨ وقام خلال الخمسينيات بقيادة عدة عمليات عسكرية إسرائيلية ضد وحدات عسكرية مصرية وأردنية.

فلقد فوجئ قادة الجيش الإسرائيلي بطلب من شارون يطلب فيه السماح له بتكوين سرية عسكرية من اليهود الذين يمضون أحكاماً طويلة في السجون الإسرائيلية،

والمدحش أن قيادة الجيش وافقت على طلبه بعد أن اقتنعت بوجهة نظره، فكون تلك
الفرقة عام ١٩٥٢م وأطلق عليها «القوة ١٠١»

كانت العملية الأولى التي قامت بها القوة ١٠١ بقيادة شارون في قرية قبية
الفلسطينية الحدودية التي كانت تعيش حالة من الأمان بسبب بعدها الجغرافي عن بؤر
التوتر في الأرض المحتلة، لكنها لم تدر أن القوة ١٠١ قد تخصصت في ترويع هذا
النوع من القرى البعيدة حتى لا تفكر مطلقاً في العودة.

طوق المجرمون والمحكوم عليهم في جرائم قتل القرية، وأمطروها ليلاً بوابل من
نيران المدفعية، فانهارت المنازل الفقيرة على رؤوس ساكنيها، وأسرعت القوة بعد ذلك
في قتل كل من بقي حياً بعد القصف المدفعي، وكانت الحصيلة التي أعلن عنها
حينذاك هي هدم ٤١ منزلاً وقتل ٦٩ فلسطينياً، أكثرهم من النساء والأطفال.

بعد ذلك توزع جهد شارون بين القوة ١٠١ التي كانت لها مهام خاصة مختلفة
عن مهام الجيش الإسرائيلي المنظم، وبين قيادته للواء الإسرائيلي المدرع في جبهة
سيناء الذي عين قائداً له قبل حرب ١٩٥٦م (العدوان الثلاثي على مصر)، وفي معركة
العدوان الثلاثي الغاشم ارتكب شارون أخطاء عسكرية عندما خالف أوامر القيادة
وتقدم نحو ممرات "متلا" واشتبك مع الجيش المصري في معركة شرسة انتهت
باندحار اليهود الذين خلفوا وراءهم ٤٠ قتيلًا ومئات الجرحى، ويومها أخضع شارون
للتحقيق، واتهمه بعض الذين عملوا تحت قيادته بأنه أساء القيادة والتصرف، وبأنه كان
جباناً أيضاً. وقررت قيادة جيش العدو آنذاك تجميد تقدمه في الرتب العسكرية.

سافر شارون عقب العدوان الثلاثي إلى فرنسا - أحد الدول التي اشتركت في
العدوان إضافة إلى إنجلترا وإسرائيل - لدراسة العلوم العسكرية، وحصل منها على
شهادة جامعية، أهله لتولي مناصب عسكرية رفيعة في الجيش الإسرائيلي، فكان قائداً
لواء مدرع في الفترة من ١٩٥٦-١٩٦٤، ثم رئيساً لهيئة أركان المنطقة الشمالية في
الفترة من ١٩٦٤-١٩٦٩، ثم رائداً للمنطقة الجنوبية من ١٩٦٩-١٩٧٣، وقد
عاد للممارسة هوايته في ترويع السكان الآمنين فقام خلال فترة تعيينه قائداً للمنطقة
الجنوبية بإجلاء المئات من بدو رفح.

أما في حرب ١٩٧٣ أصبح شارون بطلاً يهودياً قومياً حينما استطاع بمساعدة صور أقمار التجسس الصناعية الأمريكية فتح ثغرة في الدفاعات المصرية عقب انهيار خط بارليف الحصين، وأثار شارون ما سمي «حرب الجنرالات» عندما ادعى لنفسه إنجاز الثغرة عند الدفرسوار، وهاجم زملاءه وعرض حياة جنوده لأخطار لا داعي لها، بينما بقي هو في الخلف، حسب ما يتردد.

فقد تبين أنه فعل ذلك من أجل إبراز شخصيته، ولم يتورع عن "خيانة" الجنود الصهاينة الذين كانوا يقاتلون تحت إمرة الجنرال (ادان) في الجبهة نفسها، ورفض تقديم العون الذي كانوا بأمس الحاجة إليه، وكل ذلك بهدف تحقيق المكاسب الشخصية المدعمة لطموحاته القيصرية.

بعد الحرب قدم شارون استقالته من الجيش ليبدأ معركة من نوع آخر في عالم الحكم والسياسة. حيث نجح في الفوز في أول انتخابات برلمانية يشترك فيها، فأصبح عضواً في الكنيست عن حزب الليكود اليميني المتشدد، وقد اختاره رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك (اسحق رابين) مستشاراً عسكرياً له عام ١٩٧٥م، وكلفه بمهمة مكافحة الإرهاب.!!

وفي انتخابات نيابية أخرى عام ١٩٧٧م استطاع شارون أن يفوز على رأس قائمة مستقلة به هو شخصياً بعيداً عن حزب الليكود، فاختاره (مناحيم بيغن) وزيراً للزراعة والاستيطان في وزارته الأولى. وقتها تذكر شارون ما كان يحكيه أبوه قديماً حينما هاجر إلى فلسطين واختار العيش في أحد المستوطنات ليمارس الزراعة، ووجه ولده لدراساتها في بادئ الأمر، وتذكر وصيته بأهمية زراعة المستوطنات، فنشط في زيادة الرقعة الزراعية الإسرائيلية وزيادة أعداد المستوطنات على حساب الأراضي الفلسطينية المصادرة. حيث عمد إلى زيادة عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة أربعة أضعاف ما كانوا عليه قبل ذلك.

كما قاد شارون عام ١٩٨٢ الاجتياح الإسرائيلي للبنان وكان وقتها وزيراً للدفاع، وتعامل بعنف مع المقاومة الفلسطينية التي كانت تتخذ من بيروت الغربية مقراً لها، وأجبرها بعد حصار طويل على الخروج إلى تونس.

وأثناء الوجود الإسرائيلي في لبنان وقعت مجزرة «صبرا وشاتيلا» التي راح ضحيتها قرابة ألفي لاجئ فلسطيني، وحملت لجنة تحقيق إسرائيلية مستقلة شارون المسؤولية. وزيادة على هذه المسؤولية فقد اتهم شارون بنشر أكاذيب عن هذه الحرب، وعن العملية العسكرية التي ستنتهي خلال يوم أو يومين - حسب زعمه - لكنها امتدت لتشمل قصف بيروت واقتحامها، وأدت في نهاية المطاف إلى غرق قوات الاجتياح في المستنقع اللبناني، قبل أن تدحرها المقاومة في الجنوب بشكل كامل في عام ٢٠٠٠.

وعلى خلفية تقرير لجنة "كاهان" الإسرائيلية الصادر في العام ١٩٨٣، والخاص بالتحقيق في مذبحه صبرا وشاتيلا، اضطر شارون لمغادرة موقعه الوزاري بعد تأكيد تورطه في المجازر.

ثم انتخب شارون رئيسا للوزراء بعد هزيمة منافسه (يهود باراك) في الانتخابات التي جرت في فبراير عام ٢٠٠١، وكان العامل الأساسي وراء اختيار الناخب الإسرائيلي له هو رغبته في إعادة الأمن الذي افتقده تحت وطأة العمليات الاستشهادية التي ينفذها أفراد تابعون لمختلف فصائل المقاومة الفلسطينية. وقد تعامل شارون مع انتفاضة الأقصى بعنف أسفر عن مقتل ما يزيد على ألف فلسطيني وجرح أكثر من ثلاثين ألفا آخرين.

ويعتبر شارون واحدا من أشد القادة العسكريين والإسرائيليين تشددا، فهو يرفض تقسيم القدس ويصر على أنها ستبقى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل، ويرفض كذلك مبدأ حق العودة للفلسطينيين اللاجئين، أو المساس بأي من المستوطنات الموجودة، ويسعى إلى تهويد الأراضي العربية بإقامة المزيد من المستوطنات عليها.

ومن أقواله المأثورة: «جميعنا يجب أن يتحرك، أن يركض، يجب أن نستولي على مزيد من التلال، يجب أن نوسع بقعة الأرض التي نعيش عليها. فكل ما بين أيدينا لنا، وما ليس بأيدينا يصبح لهم».

ويقول أيضا: «أتعهد بأن أحرق كل طفل فلسطيني يولد في هذه المنطقة، فالأطفال والنساء الفلسطينيون أكثر خطورة من الرجال؛ لأن وجودهم يعني استمرار أجيال قادمة من الفلسطينيين».

هذا ما قاله شارون في لقائه مع الجنرال (أوز ميرهرام) عام ١٩٥٦، وتنقل صحيفة «فلسطين كرونيكل» الفلسطينية الصادرة بالإنجليزية، في عددها الصادر على الإنترنت الاثنين ١-٤-٢٠٠٢، بقية حوار شارون الذي قال فيه: «أتعهد بأني حتى لو فقدت كل المناصب وأصبحت مواطنا إسرائيليا عاديا، فإنني سأحرق كل فلسطيني أقابله في الطريق، وسأجعله يتعذب قبل أن يموت»، ويضيف: «أنا لا تهمني الأعراف الدولية، فقد قتلت بضربة واحدة أكثر من ٧٥٠ في رفح عام ١٩٥٦، وأريد أن أشجع جنودي على اغتصاب الفتيات الفلسطينيات؛ لأنهن عبيد للإسرائيليين، ولا يملي أحد علينا إرادتنا، بل نحن من يصدر الأوامر، وعلى الآخرين الطاعة».

لم يكن شارون يفكر يوما أنه ربما سيواجه تلك اللحظة .. فالعجز والمرض أو فكرة الموت بشكل عام لم تشغل حيزاً في عقله، وهذا بحسب ما أكدده المقربون منه، فكان دائم التصرف على أنه سيعيش ويعيش ويعيش، والدليل أنه رغم قربيه من الثمانين لم يتردد في تأسيس حزبه الجديد «كاديما» حتى آمن أغلب من حوله بأنه سيعيش إلى الأبد، لكن «البلدوزر» شارون كان على موعد مع السقوط، وعند ذلك فقط أدرك أنه كما أن لكل شيء نهاية فإنه هو نفسه له نهاية!!

بسم الله الرحمن الرحيم

سنن الطغاة

قراءة متأنية في الواقع والمستقبل التونسي

أخيرا سقط بن علي .. شيء لا يصدق .. الكل في ذهول من مواطن الشارع العادي إلى أشباهه من الطغاة الجائمين فوق صدورنا من عقود خلت، فلقد أتت الثورة الشعبية أكلها بصورة مفاجأة، أو ربما لأن حكم بن علي كان موعلا في الجبروت والطغيان ومسك زمام الأمور بإحكام، الأمر الذي من طول حاله أوهمنا أن تلك اليد لن تضعف أو تخور.

لكن المهم أن الطاغية سقط، والقلوب ترقص فرحا، والشعوب المهضومة تتغنى طربا، والأحاديث كثرت، والتحليلات تنوعت، والإعلام بكافة أطرافه لا يفتر صباح مساء عن عرض الأحداث وتحليلها.

إلا أنني أحببت أن يكون عرضي للحدث من زاوية أخرى، ربما هي زاوية بعيدة ولكننا في أمس الحاجة إليها، أو ربما هي زاوية يراها البعض ضربا من التنجيم إلا أن استشراف المستقبل شيء والتنجيم شيء آخر تماما:

أول قراءة أحب أن أسجلها هي رصد لسنن الطغاة والظالمين، وما أعجبها من سنن، لكن ما العجب وقد تجردت من أي قيمة أو فضيلة .. إنها سنن تدور حول الاستغناء عن كل شيء من أجل أن يبقى شيء واحد، ألا وهو الذات والسلطة، لكن العجيب أن الله تعالى يبتليهم بنفس نار سننهم تلك، فلقد كانت نبرة بن علي في أول خطاب وجهه للشعب نبرة قوية حازمة تتوعد بالضرب بيد من حديد لكل من يطل برأسه من أبناء شعبه، لكن لما تفاقت الأمور ما لبث بن علي أن يعزل وزير الداخلية، هكذا وببساطة يتخلى عن أخص رجاله كأنه منديل قذر توجب لصاحبه أن يلقه في الحال بعدما تحمل من دنسه ونتاجه الكثير، وتلك سنة عجيبة لا بد أن يفهما ويعيها جيدا كل من يدور في فلك أنظمة الطغاة، لا بد أن يعرف أن قدره ومكانته وهمية، إنها

مكانة يمكن أن تُدفع ثمنها رخيصة وسهلا لأي عارض يستجلب به النظام ود آخرين أو مصلحة ذاتية من أي نوع، لكن أيضا ربك بالمرصاد، واقتضت حكمته وسنته في خلقه أن الجزء من جنس العمل، فها هو بن علي تتخلى عنه فرنسا، رغم أنه كان خادمها المطيع، الذي ظل طيلة حكمه يخدم المصالح الفرنسية ويغلبها على مصلحة شعبه وأمتة، ها هي فرنسا تتخلى عنه كما تخلى هو عن رجاله، وتذيقه من مرارة الإقصاء ما أذاق هو ممن خدموه، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام ١٢٩] أي نسلط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا؛ بسبب ما يعملونه من المعاصي. [التفسير الميسر]، وقال جل شأنه: {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الزخرف: ٢٥].

ثانيا: لماذا تخلت فرنسا عن رجلها ولم تسمح له بالهروب إلى أراضيها؟ والإجابة واضحة لكل ذي حجا، فإقصاء بن علي جاء بصورة بانورامية إعلامية صاخبة، ضج فيها شعبه بجبروته حتى فضل بعضهم أن يحرق نفسه ويختار الموت على الحياة، وهذا على عكس ما يحدث غالبا في الدول النامية - خاصة الأفريقية منها - حيث توافينا الأنباء فجأة بسيطرة مجموعة مسلحة على مقاليد الحكم وفرار الزعيم الأفريقي السابق إلى أحد الدول .. ساركوزي رئيس منتخب فعليا من قبل الشعب ويخاف من الاستنكار الشعبي إذا أقدم على هذه الخطوة، خاصة وأن استطلاعات الرأي حول حكمه لا ترحمه، وكافة أصوات شعبه هو في حاجة إليها في الانتخابات القادمة، ثم أين يذهب من المنظمات الحقوقية، وكيف يجعل نفسه ببساطة لقمة سائغة للإعلام ينتقد ويهاجم ويحلل، خاصة وأنه لن ينطلي على أحد تبرير فعله هذا بدوافع إنسانية.. إن هؤلاء الرؤساء، يحترمون الرأي العام، ويعلمون جيدا أن السياسة شيء لا بد أن يدبر في الخفاء، وأن الحرص على واجهته الإعلامية شيء آخر، فلا بد وأن يبدو فيها مثاليا أكثر من الواقع.

ثالثا: لا بد أن لا نكون مفرطين في تقدير قدرة انتفاضة الشعوب على تغيير واقع الطغاة كما حدث في النموذج التونسي، فالكثير يعلمون أن الانتفاضة ليست العامل الوحيد الذي أسقط طاغية تونس، ورغم أنه العامل الأكبر والأكثر تأثيرا، إلا أن عامل

آخر كان هو الحاسم، ألا وهو انقلاب الجيش على بن علي، فانحياز الجيش إلى الصف الجماهيري جعل الأرض تمرور بطاغية تونس، وأيقن ساعته أن زمام الأمور قد انفلتت منه وقرر الفرار تحت حماية أربعة مروحيات عسكرية ليبية، أي أنه خاف من تصفيه من قبل جيشه أثناء المغادرة. وفي الواقع هذا الانقلاب له ما يبرره، فابن علي كان قد همش دور الجيش لدرجة كبيرة في حين أنه أولى اهتماما بالغاً بجهاز الأمن الداخلي، وهذا جعل الجيش التونسي من أضعف الجيوش العربية باستثناء لبنان، مما يعني أن بن علي لم يحرص كثيرا على ولاء النخبة العسكرية له ولم يغرقها في بحر الامتيازات التي تعمي بصيرتها عن رؤية مثالبه بشعبه، وهذا ما تفتنت له الكثير من الدول القمعية، وحبّت جيوشها بالعديد من الامتيازات الجبارة التي تضمن به ولائها، حتى أن الأخبار تطالعنا في أحد البلاد القمعية أن قادة الجيش ساوموا الحاكم من أجل حصد أكبر قدر من المكاسب لصالحهم أثناء الانتقال السلمي للسلطة لأحد أقاربه.

رابعا: هذه الانتفاضة والمكاسب التي حققتها في الغالب لن تثمر عن حكومة مثالية عادلة ترعي مصالح الشعب، وتحرر من التبعية للقوى الغربية، وهذا رأي شخصي له ما يبرره: فالثورة في أساسها ثورة جياح لا ثورة مبادئ، وهذا يختلف كثيرا، فالجياح يرضيهم حفنة من الرخاء وتوفير الطعام ولو بصورة وقتية حتى تهدأ العاصفة ثم يعود الجبروت والقحط رويدا رويدا، أما أصحاب المبادئ فلا يرضيهم غير شرع الله برحمته ورافته وعدله. لكن هذا ربما يكون فكرا بعيدا جدا على الشعب التونسي الذي طمس بن علي هويته الإسلامية والعربية حتى أن قطاعات كبيرة منهم تجيد التحدث بالفرنسية عن العربية. هذا فضلا على أن المتسلمين لزمام السلطة ومن بيدهم مفاتيح اللعبة غارقون في علمانيتهم، ولا ننسى الدور الفرنسي كما قال أحد المحللين: من السذاجة أن نعتقد أن فرنسا ستقف مكتوفة الأيدي تجاه الحكومة القادمة، ففرنسا لها مصالح عديدة بتونس وشركات واستثمارات ضخمة، ولا شك أنها ستمارس ضغوطا جبارة لتضمن تبعية النظام الحاكم الجديد، ويستمر حلب البقرة التونسية بقدر وإن كان غير التدفق الذي كان بالنظام السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة تطبيق الشريعة بالكويت متى تنهي عملها؟

في حوارهِ الأخير مع مجلة «النور» الكويتية (العدد ٣٢١/يناير ٢٠١٢) حاول أن يؤكد الدكتور (خالد المذكور) رئيس «اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية» على أن عمل اللجنة استشاري فقط، لكي يتصل من السؤال عن موعد تنفيذ المشروع بكامله على أرض الواقع، ورغم أنه ألقى بالكرة في ملعب أمير الكويت فيما يخص قضية التطبيق، إلا أنه عاد وأشاد بإنجازات اللجنة كي يخفف من الإحراج الأميري، وعموماً كان الحوار باهتاً مائعاً، متجنباً المعوقات الأساسية للتطبيق العملي، وهذا هو ديدن المسئولين العرب الذين يتجنبون الصدام مع السلطة الحاكمة، ويقومون بعملية تخدير للرأي العام الذي يعرف جيداً أن هذه اللجنة أحد وسائل التخدير، وأن الشريعة الإسلامية لن تطبق في الكويت لا آجلاً ولا عاجلاً.

بداية نشأة هذه اللجنة بالمرسوم الأميري ١٣٩ سنة ١٩٩١م وهذا يعني أنه مر عليها حتى الآن ٢١ سنة وما زالت اللجنة في الدراسة، وكأنها تفك شفرات وطلاسم عصية على الفهم، وهذا ما يشير الشكوك حولها، ويتأكد لدى المواطن أنها أداة من أدوات التخدير الجماهيري لا أكثر ولا أقل .. بدأت اللجنة عملها الخداعي ونست عامل الوقت الذي سيفضحها مع تعاقب الأيام والسنون، وهذا ما حدث بالفعل بعد مرور أكثر من عقدين من الزمان.

والغريب أن رئيس اللجنة في حوارهِ سرد الإنجازات المتواضعة التي تمخضت عن جهود ٢١ سنة منها: جعل مادة القرآن الكريم حفظاً وتلاوة مادة أساسية في التعليم العام، ومشروع إنشاء المصارف الإسلامية، وليس أسلمة المصارف الربوية، والطبع لا يشمل المشروع البنك المركزي الكويتي الربوي قلباً وقالبا.

وفي سؤال المحاور بمجلة النور عن تجارب الدول العربية الأخرى في هذا المضمار؟.. أفاد رئيس اللجنة بأن بعض الدول فيها لجان مماثلة، فكان السؤال

تحديدا: هل هناك لجان بدأت في التطبيق الفعلي لأعمالها؟ وكان الرد مضحكا ومثيرا للسخرية: حيث قال د. خالد المذكور: لا أعلم.

وعن السؤال عن التوترات التي تشهدها المنطقة العربية والخليجية، لم يجرؤ المحاور ذكر العبارة الشهيرة «ربيع الثورات العربية»، وجاء رد الدكتور المذكور حياديا، لا لهم ولا عليهم، في محاولة للابتعاد عن الأسباب الحقيقية لتفجر تلك الثورات من الاستبداد السياسي والانفراد بالسلطة واختزال الدول كلها في شخص الأمير أو الملك أو الرئيس، وبعبارة ثروات الأمة يمينا ويسارا، فضلا عن عمليات النهب المنظمة، حتى صار العرب قاطبة لا في العير ولا في النفير.

أما عن حلول الدكتور المذكور التي قدمها للخروج من تلك الأزمات فقد جاءت أيضا باهتة، في كلام عام لا يوجه النقد لأحد، ولا يقرر أن الكل مأمور بالعدل والإنصاف، وأن أي مسئول مهما علا منصبه ومكانه ما هو إلا موظف عند الشعب وخادم لصغيره قبل كبيره.. وغيرها من الخطوط الواضحة التي تصف الداء وتحدد له الدواء.

وعن تعاون السلطتين ونواب الشعب، لف ودار الدكتور المذكور، وأشاد بالحوار المثمر، ومال على نواب مجلس الأمة قليلا، لكنه تجنب مثالب رئيس الوزراء الكويتي السابق (ناصر المحمد الصباح)، والذي تكررت أخطائه وتعددت مفاصده، ولولا الثورات العربية وخشية أمير الكويت من انطلاق شرارتها بالكويت بسبب هذا الرجل المرفوض برلمانيا وشعبيا لما أقاله من منصبه، ومواقف الأمير السابقة في الإصرار على تواجده لا ينساها أحد، فقد كان يعفي الحكومة ومجلس الأمة من دورهما ولا يعفيه من منصبه.

أما عن قرار خادم الحرمين بضبط فتوى الفتوى، كان د. المذكور من المؤيدين له وهذا عين الصواب، لكنه كالعادة لم يذكر هذه الضوابط التي لم يحددها ملك السعودية، بل إن مفتي المملكة وعد بتقنين هذه القضية لكنه لم يخرج علينا بشيء، وعين الجور أن نقصر الفتوى على هيئة كبار العلماء بالمملكة، ومحصلة الأمر الفعلي أنه تم إغلاق موقع (الإسلام سؤال وجواب)، أما موقع (الإسلام اليوم) فقد حجب

فتاويه التي تجاوزت نصف المليون فتوى خشية أن يحجب الموقع بالكلية كما حدث لغيره، خلاصة الأمر أننا فقدنا موسوعات فقهية قيمة، جراء هذا القرار الغير منضبط. أنا لا أدعو الدكتور خالد المذكور لأن يكون من أولوا العزم من العلماء فيقول كلمة حق عند سلطان جائر، ولا أن يلقي بنفسه في غياهب سجون الحكام، أو أن يصطدم بصناع القرار وسياطهم، بل له في السكوت أسوة، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت»، أما التحذير من إتيان أبواب سلاطين الجور، وتولي لهم الولايات، فهي فضيلة إسلامية لا ينكرها القاصي والداني، ولا يجهلها فضيلة الدكتور.

إن هذا التميع في المواقف -ومنه عمل هذه اللجنة- لا يقبله مسلم غيورا على دينه محبا لأمته، وهذه الأحاديث العبثية على صفحات الجرائد والمجلات لا تقنع إلا البلهاء، فالأمة ضاعت ثقافيا وعلميا وتصنيعيا واقتصاديا ... وهذا النمط من العلماء كان له دورا في هذا الضياع، بمولاتهم لأنظمة حكم جائرة، أما الجرم الأعظم فالكل يعرف على عاتق من يقع، من أمثال هؤلاء القادة الذين احتكروا السلطة، وشاخوا على كراسي الحكم، وكرموا الفنانين والداعرات وهمشوا العلماء والقيادات، وما كل ما يعلم يقال، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

متى يجلس الغرب مع داعش على مائدة المفاوضات

أسطر هذه الكلمات في الوقت الذي يجري فيه إطلاق نار بأحد المراكز التجارية في مدينة ميونخ الألمانية، في هجوم ينفذه ثلاث مسلحين وعدد القتلى الأولي ستة غير الجرحى، وفق ما أعلنته وكالات الأنباء.

كما تفصلنا عن هذه الحادثة أيام قلائل من هجوم لاجئ بالسكين والفأس الذي أصاب أربعة من ركاب قطار وأحد المارة في ألمانيا.

وقبل أسبوع تحديدًا خلف هجوم وقع فجر الجمعة في مدينة نيس الفرنسية، ٨٤ قتيلا من جنسيات متعددة، علاوة على إصابة المئات، وكان المهاجم المنفذ محمد لهوج بوهلال التونسي الأصل، أقدم على عملية دهس للمصطفين على الكورنيش أثناء الاحتفالات الوطنية الفرنسية.

هذا في الوقت الذي صرح فيه الإعلام الغربي مهللاً أن تنظيم داعش خسر خلال الشهور الخمس عشرة الماضية، نحو ٢٢ % من إجمالي الأراضي التي كان يسيطر عليها سابقا.

فوفقاً لتحليل صدر مؤخراً، فقد خسر التنظيم في الفترة بين ١ يناير ٢٠١٥ حتى ١٥ ديسمبر من العام نفسه، قرابة ١٦ % من الأراضي التي يسيطر عليها سابقاً. وأشارت تقارير إلى أنه خلال الشهور الثلاثة الأخيرة، خسر داعش مزيداً من الأراضي، تقدر نسبتها بنحو ٨ %.

كما قال مؤخراً "جون كيري" وزير خارجية أمريكا من العراق: إن تنظيم الدولة خسر أكثر من مائة من قاداته، وإنه يعمل على تجنيد الأطفال والزج بهم كانتحاريين في أرض المعارك، وأضاف: "داعش يخسر دون شك الأرض، ويخسر قادة، ويخسر مقاتلين، ويخسر الأموال، وليس مستغرباً أن عدداً من قاداته باتوا يفقدون الأمل".

كل هذه المعطيات الإخبارية مجتمعة تشير إلى أن النصر الأخير للتحالف الغربي على داعش لم يكن نهاية المطاف ولا الفصل النهائي في المعركة كما أوهنا الإعلام الغربي عندما طبل وزمر لهذا التقدم الذي صورة بأنه ساحقا ماحقا، وأن "عددا من قادة داعش باتوا يفقدون الأمل" بحسب وصف جون كيري.

كما أن هذه المعطيات تشير إلى أن داعش تلقى الصدمة وغير التكتيك الحربي، وإن كان قد انسحب من بعض الأرض إلا أنه تمدد في قلب أوروبا، وهذا أخطر وأبشع، لأن نقل المعركة إلى قلب بلاد الخصم أفتك لشعبه وأخرج للقيادة السياسية وأقلق للجماهير التي ربما تمارس ضغوطا على قيادتها لا يمكن التنصل منها أو تجاهلها، فضلا عن تداخل البنية الاقتصادية والاجتماعية.

وبعيدا عن الضجيج الإعلامي لا يمكن تجاهل قلق الغرب من طبيعة المقاتلين من تنظيم الدولة الذي يختلفون جوهريا عن الضحايا العربية التقليدية.

فقد قالت صحف أميركية إن الشرطة البلجيكية عثرت على دليل يشير إلى أن تنظيم الدولة الإسلامية يسعى لإنتاج قبلة إشعاعية "قذرة"، وعلقت إحداها بأن هذه هي المرة الأولى التي يتأكد فيها سعي التنظيم لهذه القبلة.

وأوردت مجلة فورين بوليسي وصحيفة واشنطن تايمز أن الشرطة البلجيكية أثناء تفتيشها منزل مشتبته في الانتماء إلى تنظيم الدولة عقب هجمات باريس العام المنصرم، عثرت على أفلام لمراقبة أحد كبار الباحثين بمركز نووي بلجيكي ينتج نسبة كبيرة مما ينتجه العالم من "النظائر المشعة"، بالإضافة إلى مراقبة أسرته أيضا.

وأشارت إلى أن الشرطة تشبته في أن أفراد تنظيم الدولة كانوا يرغبون في أخذ الباحث أو أفراد أسرته رهائن من أجل الحصول على مواد نووية.

وقالت واشنطن تايمز: إن احتمال الحصول على مواد نووية بهذه الوسيلة أمر يثير القلق، نظرا إلى أن هناك مئات الآلاف من المباني الخاصة بذلك حول العالم في المواقع الطبية والصناعية التي لا تتمتع بحماية كافية.

كما رأى مدير وكالة المخابرات المركزية الأميركية جون برينان بهجمات باريس وبيروت وإسقاط الطائرة الروسية فوق سيناء أولى نتائج حملة لتنظيم الدولة الإسلامية.

وقال: إن لجنة في التنظيم تخطط وتضع الأهداف، وتدريب وتمول، لكنها تترك للمنفذين اختيار التوقيت والمكان والأسلوب.

بل خلفت المجموعات الجهادية المسلحة بصماتها على المشهد الأمني في أوروبا وأميركا الشمالية وأفريقيا خلال العام ٢٠١٥ تاركة الأجهزة الأمنية لدول - كفرنسا وبلجيكا - في حالة استنفار أو تعقب اتخذت أحيانا طابعا دمويا، وفي حالة بلجيكا تم إنزال وحدات من الجيش إلى الشوارع.

إذن العدو اليوم مختلف، ولا بد لصناع القرار الغربي أن لا يتجاهلوا هذه الحقيقة، فالزمان تغير، والعناد والغطرسة القديمة ربما لا تخلف اليوم إلا مزيدا من الأشلاء والدماء، بل ربما ستكون الفاتورة باهظة بصورة لم يتعود عليها عالم الكبار الغربي. أنا لست داعشيا، ولا أفرح بالدماء المسالة في غزة والعراق وسوريا واليمن وبورما وفرنسا وألمانيا وأمريكا، فالدماء دماء، والأبرياء أبرياء مهما اختلفت الديانات والجنسيات.

ولكنه الأفق الغربي الضيق المتغطرس، الذي لا يكف عن آلاف الألوف من الطلعات الجوية التي دكت مدن بأكملها، وتوريد أطنان الأسلحة إلى المناطق الملتهبة، وإنفاق المليارات من الدولارات لإنتاج المزيد من المفقودين والمشردين واللاجئين، ولم تحل المشكلة، بل وتطير الشرر إليها رغما عنها.

ويلخص الأستاذ عبد الباري عطوان المشهد بقوله: أولويات تتغير في غضون أشهر من النقيض إلى النقيض، وحكومات "تتوب" وتغير مواقفها فجأة عندما ينقلب سحرها عليها، ويبدأ الإرهاب يضرب في عمق مدنها، ويحصد أرواح مواطنيها، ويدمر اقتصادها وأعمدته، ودول عظمى تغير حلفاءها بين ليلة وضحاها، مثلما تغير تكتيكاتها واستراتيجياتها، وفي مثل هذه الأجواء والتقلبات، علينا أن نتوقع امتداد هذه الفوضى إرهابا في الغرب ومدنه وعواصمه.

لقد صدعنا الساسة بالحديث عن البراجماتية السياسية، وأن السياسة لا تعرف سوى لغة المصالح، وأن الغرب يتعامل مع الشرق وفق أجندة المكسب والخسارة... وأن، وأن

فهل من عاقل غربي يحمل قومه على لغة أخرى غير هذه اللغة العقيمة العفنة،
وهل من قيادي متعقل يصغي لمشاكل الشرق الأوسط بعين الإنصاف، وهل من قلب
غربي يتألم من مناظر الدماء والأشلاء.

لا بد للعالم السياسي أن يتغير، ولا بد من حلول منصفة وعادلة للجميع، ولا بد من
تبني أجندة محايدة تتبنى سياسة «التعايش السلمي» حقيقة لا شعارات جوفاء يرددوها
الساسة أمام الكاميرات.

لا بد للضمير العالمي أن يستيقظ، ولرجال الدين أن يتحركوا يأخذوا على أيدي
السفهاء من بني جلدتهم، لا بد من تخلي الغرب عن النظرة الاستعلائية تجاه الإسلام
والمسلمين، ولا بد من تبادل الرحمات كما تتبادل المعلومات الاستخباراتية والأمنية.
لا بد ولا بد .. والحلول كثر

والخلاصة أنه لا بد من سلام عالمي حتى لو اضطر الغرب للجلوس مع داعش
على مائدة المفاوضات

وتذكروا جيذا

أنا لست داعشيا، ولكني قلب عاقل يتألم لما يجري

بسم الله الرحمن الرحيم

طالبان

عندما أقرأ أو أسمع اسم «طالبان» تتحرك في نفسي شجون وشئون .. أحس بجزالة اللفظ، ورجولة المضمون، وعبق النضال والمثابرة في زمن ترهلت في الأبدان وتقاعست الهمم وانكبت النفوس على الاستهلاك وأدارت ظهرها للإنجازات.

«طالبان» كلمة قاموسية خلدها التاريخ المعاصر، وكتب بجوارها: رمز من رموز الثبات على المبادئ، وسير أشبه بسير الصحابة رضوان الله عليهم، وكفاح لا تحده منطقة ولا زمن، وسطور من نور، وعبق غبار الجهاد ذروة سنام الأمة والدين، ونضال عملي في زمن الشعارات والخطب الرنانة، وفداء بالمهج والمال والولد في زمن الأثرة. ربح البيع يا رجال طالبان، رغم فقدانكم المال والأهل والوجاهة، وفقدانكم لإعلام منصف حر يروي أخباركم ويشد من أزركم، ولكنكم: أثرياء، شرفاء، عظماء، يستصغر كل مؤمن صادق نفسه أمامكم، أما المنافقون فهم بالنسبة لكم هباء.

فياليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما .. ليتني أترك حياة الدعة والرفاهية والمدنية وأعيش معكم مجاهدا -بل خادما- في شعاب الجبال، أنعم بغبار الحرب على وجهي، وبلذة البذل بالجهد والعرق، وبشرف الغاية، ونعيم السكينة التي ينزلها الله على أوليائه الذين يذوبون في إرضائه وإعلاء راية الأمة .. وما أسعدها من حياة.

بسم الله الرحمن الرحيم
الأمور تسير إلى التعقيد

في أوج المخاض العربي الحالي لا شيء يلوح في أفق التنمية، وظلال فقر المواطن العربي لا تريد أن تراوح مكانها أمام وهج شمس الحرية، بل نسمع صراخا وعويلا ونرى دماء، والسياسة ييشروننا بالمولود المنقذ الجديد، لكن يبدو أن الولادة متعسرة، وربما ستأخذ فترة أطول مما هو معهود، وأخوف ما نخشاه أن لا تتحمل الكيانات الاقتصادية العربية القائمة هذه الفترة الحرجة، فتخور قواها ويتوقف الطلق، ولا نرى ميلادا يذكر، بل وفاة في مخاض الحمل العسير، لنعود إلى نقطة الصفر من جديد، ونتلقى التعازي في موت أقطار عربية، بعدما راود أبنائها مزيج من الأمل والفرحة بميلاد جديد، وعهد سعيد.

العالم يتحرك نحو الأفضل

العالم مشغول بتعديل أوضاعه الاقتصادية، وتجاوز أزمة عالمية طاحنة، وسعي حثيث لاستقرار معيشة أفراده .. ففي أمريكا ارتفع حجم التوظيف في الاقتصاد الأميركي بنسبة عالية، وهو ما أدى لتقلص البطالة إلى أقل معدل لها منذ ثلاث سنوات واستقرت نسبتها في ٨.٥% مقابل ٨.٧% في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١١، مما يؤشر على تحقيق أكبر اقتصاد بالعالم زحما في التعافي من آثار «الأزمة المالية» العالمية.

وفي الهند قال رئيس الوزراء الهندي (مانموهان سينغ) إن اقتصاد بلاده سوف ينمو بنسبة ٧% في العام المالي الحالي الذي سينتهي في ٣١ مارس/آذار ٢٠١٢، ومن المتوقع أن تزداد النسبة إلى ٩ أو ١٠% في المدى المتوسط.

مشاغل من نوع آخر

في كل هذا الخضم الاقتصادي الهادر فإن للعرب شأنا آخر، واهتمامات مختلفة، فطريقهم لاستنشاق عبق الحرية شاق وأليم، وهذا له ضريبة اقتصادية باهظة، لن يدفع فاتورتها إلا المواطن المسكين.

ففي «اليمن» أظهرت إحصائية حديثة تراجع النشاط الصناعي والتجاري والزراعي في اليمن بـ ٧٠% منذ الاحتجاجات التي اندلعت، وهو ما ترتب عليه فقدان عشرات الآلاف من العمال وظائفهم بهذه القطاعات، فضلا عن خسارة الاقتصاد اليمني ١٧ مليار دولار.

ووفقا للإحصائية -التي نشرتها أسبوعية الأهالي اليمنية- فإن القطاع الخاص المنظم يستوعب نحو نصف مليون عامل، في حين يشغل القطاع العشوائي قرابة ١.٥ مليون عامل، يعملون في قطاع البناء والتشييد والمهن الحرة. وحسب الأسبوعية نفسها فإن الأزمة الاقتصادية الراهنة أجبرت الشركات العاملة في القطاع الخدمي على التوقف تماما، وتم تسريح ٦٠% من موظفيها البالغ عددهم نحو مائة ألف شخص.

كما نهت الإحصائية إلى عشر المشاريع الحكومية الإستراتيجية المعتمدة في الخطة السنوية للمجالس المحلية والتي تشغل عمالة كثيرة، إلى جانب توقف الاستثمارات المحلية والأجنبية في القطاعين العقاري والسياحي.

وفي «سوريا» أقرّ وزير الاقتصاد والتجارة السوري (محمد نضال الشعار) بجسامة الأضرار الاقتصادية التي لحقت ببلاده ونجمت عن الأزمة التي تعيشها سوريا وما تتعرض له من عقوبات، معتبرا أنها انعكست على المرافق الأساسية والصناعة والتجارة.

وفي «مصر» تراجع الاحتياطي الأجنبي بنحو النصف بقيمة ١٨ مليار دولار، منذ بداية العام الماضي عندما كان حجم الاحتياطي عند مستوى ٣٦ مليارا. وحذر خبراء الاقتصاد من أن استمرار تراجع الاحتياطي الأجنبي سيدفع العديد من مؤسسات الائتمان الدولية لخفض التصنيف الائتماني لمصر، فضلا عن عدم قدرة البلاد على سداد ديونها أو قدرتها على دعم عملتها وارتفاع تكلفة الإقراض من الخارج، وقيام البنك الدولي بتعديل شروطه.

وفي «تونس» كشفت مصادر مطلعة بالبنك المركزي التونسي عن تراجع الإنتاج الصناعي التونسي بنسبة ١٢%، خلال الأشهر الأربعة الأولى من ٢٠١١، مقارنة

بنفس الفترة من ٢٠١٠، وسجلت صادرات الصناعات المعملية نمواً بنسبة ١١.٦٪. كما تراجع النشاط السياحي بنسبة تتراوح بين ٤٥ - ٥٠٪ وفي حركة نقل المسافرين بنسبة ٢٥٪، وهذا ما جعل البلاد تخسر ٧ آلاف موطن شغل شهرياً وفق مصادر حكومية.

وشهد قطاع المناجم والفوسفات تراجعاً بنسبة ٥٣٪ وبلغ العجز الجاري لميزان المدفوعات ٢.٥٪ مقارنةً بالناتج الداخلي الخام مقارنةً مع نفس الفترة من السنة الماضية، وتبلغ النسبة الحالية للتضخم ٣٪.

وتظهر معطيات البنك المركزي أن التحويلات المالية للتونسيين المقيمين بالخارج تراجعت في شهر أبريل ٢٠١١ بنسبة ١٢.٥٪ وقد تقلص احتياطي البلاد من العملة الصعبة ليصل إلى ١٠.٥ مليار دينار تونسي أي ما يكفي لتمويل الواردات ١١٨ يوماً.

ويرجع الخبراء الاقتصاديون هذا الوضع الاقتصادي الصعب إلى الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة التي تعيشها البلاد بعد ثورة ١٤ يناير.

الصعيد الميداني

فمن قراءة الأحداث يتضح أن الربيع العربي لن يطول كثيراً، ففي «اليمن» مازال على عبد الله صالح في قصره يمسك بزمام الأمور هو وأقاربه، والمبادرة الخليجية حبر على ورق، والاحتجاجات الشعبية في الشارع متواصلة دون ظهور أي بارقة أمل في انفراج الأزمة، خاصة وأن حكومة الوحدة الوطنية في اليمن أقرت مؤخراً مشروع قانون يمنح لصالح ومن عمل معه في جميع أجهزة ومؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والأمنية خلال فترة حكمه حصانة من الملاحقة القانونية والقضائية.

وفي «سوريا» كشفت مصادر استخباراتية أن الرئيس السوري بشار الأسد وعائلته وجنرالات الجيش المواليين له تركوا دمشق وانتقلوا للإقامة في منطقة جبلية تضم الطائفة العلوية، وفقاً لما نقله موقع «دبكا» الإسرائيلي. وذكر الموقع أن المنطقة الجبلية هي جبال الأنصارية الواقعة في شمال غرب سوريا، وهي سلسلة جبال ممتدة

على ساحل البحر المتوسط، حيث يدير الأسد وأتباعه من هناك قمعهم لمعارضيه؛ لضمان بقاء حكمه.

وأوضحت أن وحدات سلاح الهندسة السوري تعكف منذ منتصف شهر ديسمبر المنصرم على تدشين عدد من الوحدات العسكرية والمعسكرات بعضها على سفح الجبال، بالإضافة إلى جزء آخر في باطن الجبل، فضلاً عن بناء العديد من النقاط الحصينة المضادة للدبابات، ومستودعات الأسلحة والوقود والأغذية في باطن الجبل، وبطاريات صواريخ مضادة للطائرات.

فيما أعلنت وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) أن أسطولاً روسيا رسا في القاعدة البحرية بطرطوس. ونقلت الوكالة عن العقيد البحري الروسي (ياكوشين فلاديمير اناتوليفيتش) رئيس الوفد العسكري الذي يزور طرطوس تأكيده «متانة العلاقات التاريخية التي تجمع بين روسيا وسوريا».

وترفض روسيا رفضاً قاطعاً أي تدخل في الأزمة السورية، واستخدمت حق النقض ضد مشروع قرار في مجلس الأمن ينص على إمكانية فرض حظر على تسليم الأسلحة إلى سوريا التي تعد روسيا أبرز مزوديها منذ الحقبة السوفيتية.

في حين رأت دراسة إستراتيجية إسرائيلية، أصدرها مركز أبحاث الأمن القومي، التابع لجامعة تل أبيب، أن التدريبات السورية الأخيرة، التي أجراها الجيش العربي السوري، هي رسالة عرض عضلات من الرئيس بشار الأسد، ورسالة تؤكد قوة سورية العسكرية، إلى العرب وإلى تركيا وإلى المجتمع الدولي برمته مفادها أن سورية لن تسمح بأي حال من الأحوال تكرار السيناريو الليبي، أي السماح لطائرات حلف شمال الأطلسي بقصف العمق السوري لإسقاط الأسد، كما حدث مع العقيد معمر القذافي.

ولاحظت الدراسة، أنه خلافاً للماضي، فإن السوريين اهتموا جداً بأن تقوم وسائل الإعلام بتغطية التدريبات الثلاثة، في الوقت الذي كانت فيه بالماضي تستر وتكتتم على تدريبات من هذا القبيل، لافتةً إلى أن بعض المنظومات التي شاركت في

التدريبات تُشكل خطراً إستراتيجياً على الدولة العبرية، وتجعل كل منطقة في العمق الإسرائيلي في مرمى الصواريخ السورية المتطورة جداً
وبرأي الدراسة فإن أخطر ما تم عرضه ومشاركته في التدريب هو الصاروخ (اونيكس - ياخونت) الروسي لتدمير السفن البحرية في ظروف عمليات التشويش اللاسلكية الالكترونية المعادية. وقد بدأ العمل على تصنيع هذا الطراز من الصواريخ في مطلع ثمانينات القرن الماضي تحت إشراف كبير المصممين (يفريموف)، ومن مميزات الصاروخ: مدى الإطلاق إلى ما وراء الأفق، الذاتية التامة للاستخدام القتالي (أطلق وانس)، تغيير ارتفاع التحليق من المنخفض إلى العالي ثم إلى المنخفض، إمكانية الإطلاق من شتى الوسائل بما فيها السفن بكافة أنواعها والغواصات والمنصات الأرضية والطائرات، وصعوبة اكتشافه من قبل الرادارات الحديثة (تكنولوجية ستيلس).

ومن أهم صفات الصاروخ أيضاً سرعته التي تفوق سرعة الصوت بمقدار ٢.٦ مرة مما يقلل من تعرضه للاعتراض والتدمير من قبل وسائل الدفاع الجوي الحديثة. ويزود هذا الصاروخ البالغ وزنه ثلاثة أطنان برأس راداري يوجه ذاتياً وزن ٢٠٠-٣٠٠ كجم، وبوسعه تدمير الطرادات الحديثة على مدى يصل إلى ٣٠٠ كم، أما عدة صواريخ من هذا النوع فبوسعها تدمير حاملة طائرات بكاملها. وقالت الدراسة أيضاً أن الخبراء لا يتوقعون أن يشهد الصاروخ مثيلاً له في العالم خلال السنوات العشر القادمة على أقل تقدير.

كما يمكن أن يحل صاروخ (ياخونت) محل صاروخ (غاربون) الأمريكي الصنع في سفن تلك الدول، أما بالنسبة لإسرائيل، فتقول الدراسة، إن نصب هذا الطراز من الصواريخ على شواطئ سورية يجعل من جميع المناطق في إسرائيل، من الشمال حتى تل أبيب في مرمها، بالإضافة إلى ذلك، عبرت الدراسة عن خشية صناع القرار من نقل المنظومة المذكورة إلى حزب الله اللبناني، كما فعلت سورية في الماضي عندما مدت الحزب بمنظومة (C-802)

وفي حال نشر المنظومة على السواحل اللبنانية فإن جميع المناطق في إسرائيل ستُصبح في مرمهاها، وعلى كل الأحوال، رأى الخبراء الإسرائيليون، إن هذه المنظومة تشكل تحدياً إستراتيجياً كبيراً للجيش الإسرائيلي، وبالتالي يتحتم على الجيش البحث عن الوسائل لصد هذه المنظومة الخطيرة جداً على أمن الدولة العبرية، وخلصت الدراسة إلى القول إن قيام سورية باستعمال هذه الصواريخ في الفترة الحالية بالذات خلال التدريبات الأخيرة تثير العديد من التساؤلات، مذكراً بأن روسيا تملك في سورية أكبر قاعدة بحرية عسكرية، وذلك في ميناء طرطوس، ولن تسمح لنفسها، في نزاعها الحالي مع الغرب، بفقدان هذه القاعدة الإستراتيجية.

إضافة إلى تقرير بعثة المراقبين من جامعة الدول العربية جاء مخيباً للآمال حين أعلن أن النظام السوري تعاون جزئياً، الأمر الذي يحمل في مضمونه عجز المنظومة العربية عن إسعاف سوريا الجريحة، وهذا ما توقعه الكثيرون، في ظل الكيانات العربية المترهلة.

وأخيراً في «ليبيا» حيث أكد محمود جبريل -رئيس الحكومة الليبية السابق- وجود عملاء لمخابرات كل دول العالم تعمل داخل الصعيد الليبي، بينما تستمر الصعوبات التي تواجه السلطات الليبية الجديدة في فرض الأمن في البلاد، مشيراً إلى التدمير المتزايد في أوساط جنود الجيش الليبي على إثر تأخر في تلقي الرواتب.

هذه الوقائع تبرهن على ضبابية الأحداث لا تشاؤمية الكاتب، فالوضع فعلاً غير مطمئن، وما زال طواغيت العرب على استعداد تام لأن تغنى شعوبهم عن بكرة أبيها ولا يتزحزحون عن كراسيهم قيد أنملة، أما الخسائر البشرية فليست في حساباتهم، خاصة أنه من السهولة عليهم تجديد قطع الغنم، حتى لو اضطروهم الأمر لاستيراده من الخارج.

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورات .. عودة إلى الله قبل العودة إلى الحرية

كان جاري الصيدلي يقطن صيدليته المتواضعة بجوار مسجد الحي الذي نصلي فيه، فكنت أمر عليه يوميا أكثر من مرة في طريقي لصلاة الجماعة، وأرمقه وهو منهمك أمام شاشة الكمبيوتر، ولا أجده معنا في صلاة الجماعة!! رغم أنه من أسرة طيبة ومثقفة، ووالده له باع عريق في العمل السياسي الديني!!

بل لقد أدهشني أشد الدهشة عندما رأيته -أكثر من مرة- يغلق صيدليته ويصعد إلى شقته وقت إذاعة إقامة صلاة العصر!! الأمر الذي أثار فضولي وسألته في أحد المرات التي جمعتني به -وأنا أشتري فيها دواء من صيدليته- عن سر انهماكه الملفت أمام شاشة الكمبيوتر؟ فأجابني بأنه من نشطاء «الفييس بوك» ومن منظمي ثورة ٢٥ يناير المصرية، أما شقيقه الأصغر فهو من العناصر الأكثر فعالية في هذا المضمار وعضو في شبكة «رصد» على الإنترنت، وأخذ يسرد جهوده وزملائه على «الفييس بوك» في تحريك الثورة، والمساهمة في فعاليتها!!

نزل الخبر علي كالصاعقة .. فالرجل إذن ليس تافها، ولا مشغولا أمام الكمبيوتر بسفاسف الأمور، بل هو صاحب رسالة عميقة وراقية تنشد الحرية وتتمرد على الظلم والقهر .. لكن كيف تكون قضايا ذات قيمة حقيقية بدون اللجوء إلى الله تعالى؟! وكيف يكون المدد من دونه سبحانه؟! وكيف يكون المخرج من غير معونته وحوله وقوته؟!!

هل يعقل أن تشغلنا أي قضية مهما نبلت وعظمت عن حضور الصلاة في المسجد الذي لا يبعد عنا سوى أمتار!! وهل يعقل أن يكون التنظيم البشري عوضا عن التوفيق الرباني!! والركون إلى الأسباب عوضا عن رب الأسباب!!.

إن الانجراف مع مسببات النصر التي تحققت في انتفاضات الشعوب العربية الأخيرة يجب أن لا تنسينا رب النصر الحقيقي ومسببه ووهابه جل شأنه، وإلا فهذا خلل عقائدي خطير، ومنزلق شيطاني وبيل.

فالشكر قيد النعم، ومن وجد الله فماذا فقد، ومن فقد الله فماذا وجد، وهذه هي حقيقة قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وقديما هلك من هلك من باب الركون إلى القوة والتكبر لوأهبها سبحانه، قال تعالى: {فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت: ١٥]

إن الثورة في أمس الحاجة إلى وقود الإيمان قبل الحاجة إلى التنظيمات والتعديلات، وإلا فلو أضفنا إليها ألف خطة أو يزيد، ورتبنا إليها أجود الترتيبات دون مزج حقيقي بإيماننا وانضباطنا الفعلي بشرع ربنا، فلن تؤتي أكلها.

لابد أن يعلم شباب الثوار على «الفيس بوك» وغيره أن النصر لا يكتب ولا يتم إلا للأيادي المتوضئة والجباه الساجدة، والقلوب الخاشعة، وإلا فالعاقبة وهم، بل وضنك، وقد قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]

إن مراحل التغيير لابد أن تشمل كل الأوجه، خاصة التغيير الذاتي الذي هو المنطلق والأساس، وأن ندعم فقه المراقبة في النفوس، ومعالج الإيمان في القلوب، وألا فلن تجدي معنا أحكم القوانين ولا أعدل الدساتير.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]

يقول ابن القيم رحمه الله: وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه .. ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم، وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب، كما قيل

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس [التفسير القيم لابن القيم: ٢/٢٦٣]

وقال الشيخ الشعراوي رحمه الله: وطبقاً لهذا القانون الإلهي نجد أن تغير الناس من الإيمان إلى الكفر لا بد أن يقابله تغيير من نعمة الله عليهم وإلا لأصبح منهج الله بلا قيمة، والمثال أن كل طالب يدخل امتحاناً، ولكن لا ينجح إلا من ذاكر فقط، وأما من لم يستذكر فإنه يرسب؛ حتى لا تكون الدنيا فوضى. ولو أن الله سبحانه وتعالى أعطى لمن اتبعوا المنهج نفس العطاء الذي يعطيه لمن لا يتبعون المنهج فما هي قيمة المنهج؟ .

إذن لا بد أن يدخل الإنسان إلى الإيمان، وأن يكون هذا الإيمان متغلغلاً في أعماقك وليس أمراً ظاهرياً فقط، فلا تدع الإصلاح وأنت تفسد، ولا تدع الشرف والأمانة وأنت تسرق، ولا تدع العدل وأنت تظلم الفقير وتحابي الغني؛ لأن الحق سبحانه وتعالى لا يعطي نعمه الظاهرة والباطنة إلا لمن يتبعون منهجه. وإذا رأيت قوماً عمّ فيهم الفساد فاعلم أن نفوسهم لم تتغير رغم أنهم يتظاهرون باتباع المنهج الإلهي . وإن شكونا من سوء حالنا فلنعرف أولاً ماذا فعلنا ثم نغيره إلى ما يرضي الله عز وجل فيغير الله حالنا. ولذلك إذا وجدت كل الناس يشكون فاعلم أن هذا قد حدث بسبب أن الله غير نعمه عليهم؛ لأنهم غيروا ما بأنفسهم. أي أن حالتهم الأولى أنهم كانوا في نعمة ومنسجمين مع منهج الله، فغيروا انسجامهم وطاعتهم فتغيرت النعمة، أي أن هناك تغييرين أساسيين، أن يغير الله نعمة أنعمها على قوم، وهذا لا يحدث حتى يغيروا ما بأنفسهم. [تفسير الشعراوي: ١/٣٣٠]

إن هذا الدين يغلب دائماً عندما يصل الوعي بحقيقته وحقيقة الجاهلية إلى درجة معينة في نفوس العصبة المؤمنة في أي زمان وفي أي مكان، والخطر الحقيقي على هذا الدين ليس كامناً في أن يكون له أعداء أقوياء واعون مدربون؛ بقدر ما يكمن في أن يكون له أصدقاء سذج مخدوعون يتخرجون في غير تخرج؛ ويقبلون أن يتتسروا

أعداؤهم بلافتة خادعة من الإسلام؛ بينما يرمون الإسلام من وراء هذه اللافتة الخادعة.

إن الواجب الأول للدعاة إلى هذا الدين في الأرض أن ينزلوا تلك اللافتات الخادعة المرفوعة على الأوضاع الجاهلية، والتي تحمي هذه الأوضاع المقامة لسحق جذور هذا الدين في الأرض جميعاً، وإن نقطة البدء في أية حركة إسلامية هي تعرية الجاهلية من ردائها الزائف؛ وإظهارها على حقيقتها شركاً وكفراً، ووصف الناس بالوصف الذي يمثل واقعهم؛ كيما تواجههم الحركة الإسلامية بالطلاقة الكاملة، بل كيما ينتبه هؤلاء الناس أنفسهم إلى حقيقة ما انتهى إليه حالهم، وهي الحقيقة التي انتهى إليها حال أهل الكتاب كما يقررها الحكيم الخبير، عسى أن يوقظهم هذا التنبيه إلى تغيير ما بأنفسهم ليغير الله ما بهم من الشقوة والنكد والعذاب الأليم الذي هم فيه مبلسون.

وكل تحرج في غير موضعه؛ وكل انخداع بالأشكال والظواهر واللافتات؛ هو تعويق لنقطة الانطلاق الأولى لأية حركة إسلامية في الأرض جميعاً؛ وهو تمكين لأعداء هذا الدين من مكرهم الذي أرادوه بالحرص على إقامة تلك اللافتات بعد ما انكشفت حركة أتاتورك في التاريخ الحديث؛ وباتت عاجزة عن المضي خطوة واحدة بعد إلغاء آخر مظهر من مظاهر التجمع الإسلامي على أساس العقيدة، نظراً لانكشاف وجهتها هذا الانكشاف الصريح، مما دعا كاتباً صليبيّاً شديد المكر عميق الخبث مثل «ولفرد كانتول سميث» في كتابه «الإسلام في التاريخ الحديث» إلى محاولة تغطية حركة أتاتورك مرة أخرى ونفي الإلحاد عنها واعتبارها أعظم وأصح حركة بعث إسلامي كذا في التاريخ الحديث [في ظلال القرآن: ٢٥/٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

مبارك لمصر!!

«مبارك لمصر» تلك العبارة الجميلة التي اعتراها من الغيش والنفاق طيلة ثلاثين عاما .. ها هي تعود لرونقها وبهائها الحقيقي كما عادت لمصر وشعبها حريته وكرامته .. اليوم نقول وبملاء الفم مبارك (من البركة والنماء والخير)، ولا نعني بالطبع ذاك الشخص الذي كان حالة فريدة في التاريخ المعاصر والذي لا يمكن أن نسمه بالخيانة أو العمالة بل بالعداء الدفين لشعبه، ومحاولته في كل حين تدمير مقومات وجوده ونهوضه وحضارته، تلك الحالة التي تحتاج إلى توصيف فقهي معاصر في الحكم عليه والتعامل مع أقرانه في أمتنا العربية التي أصيبت بحالة من التقزم المنقطع النظير حتى صرنا لا في العير ولا في النفير.

«مبارك لمصر» فرار هذا الطاغية الذي حاول طيلة فترة حكمه تهميش كل النوابع من حوله لإحساسه الدفين بقذميته وشعوره الدائم بأن المتميزين يمكنهم أن يكشفوا حجمه فناصرهم العداء، بل حرص -هذا الشخص الغريب الأطوار- دوما على تبني سياسة الصفر فلا تقدم ولا تأخر، مع ترك الكثير من المربعات الفارغة ورائه - كرفضه تعيين نائب رئيس جمهورية - لكي تخرب البلاد والعباد بعد غيابه فيتحسر شعبه المسكين على سنوات حكمه الآمنة الهادئة .. حتى عند قيام الثورة ضده تأخر وتعلم وراوغ من أجل تحطيم إرادة الثوار وتحقيق خسائر اقتصادية لمصر تضعها على أعتاب محنة لو قرر الرحيل، حيث أفادنا الكثير من المحللين الاقتصاديين أن مصر كانت تخسر كل يوم ثلاثين مليون دولار خلال أيام الثورة، فضلا عن خسائر البورصة المصرية والتي بلغت ٨٠ مليار دولار.

«مبارك لمصر» فرار هذا الجبروت الذي كان عبقريا في تجميع المشبوهين والفاشليين، وكان أشبه بالمغناطيس، لكنه مغناطيس لا يجذب الحديد بل يجذب الحثالة من القيايين الملوئين ورجال الأعمال الانتهازيين، ولا ننسى رئيس الوزراء عاطف عبيد صاحب التاريخ المشبوه، والدور المشبوه خلال الثورة حيث قاد البنك

العربي الدولي - وهو البنك الوحيد الذي لا يخضع لرقابة البنك المركزي - والذي سمح بتحويل أي مبالغ للخارج دون قيد أو شرط أو حتى دون ذكر الاسم، وهذا كخدمة سامية لأقرانه الضالعين في امتصاص ثروات ودماء الشعوب .. ولا ننسى أيام الدكتاتور كمال الشاذلي ووزير الداخلية حبيب العادلي وزكي بدر وابنه وزير التعليم، وأبو الغيط وزير الخارجية .. والقائمة تطول، وأخيرا أحمد عز المستثمر المشبوه وصاحب الجذور المشبوه أيضا، حيث فجّرت صحيفة «هآرتس» العبرية، قبلة مدوية في إطار رصدتها لقائمة رجال الأعمال، الذين رأّت وقوفهم وراء «وعكة» النظام المصري ولو بشكل غير مباشر. وكشفت «هآرتس» النقاب في هذا السياق عن أن رجل الأعمال المصري، أحمد عز، أمين التنظيم، وعضو لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم، ينحدر في أصوله الأسرية من إسرائيل. وقالت الصحيفة العبرية إن الجنرال المتقاعد في الجيش المصري، عبد العزيز عز، والد أحمد عز، تزوّج من فتاة إسرائيلية عام ١٩٥٦، وقالت الصحيفة: «إن الجنرال المتقاعد في الجيش المصري عبد العزيز عز، كان قد تزوج من فتاة إسرائيلية عام ١٩٥٦، وأنجب منها ابنا أطلق عليه اسم "أحمد"».

«مبارك لمصر» رحيل مبارك الذي تسلم البلاد من ثلاثين سنة وهي مدينة ب ١٢ مليار دولار وتركها يوم تركها وهي مدينة ب ٨٨٠ مليار دولار، رغم تشدقه صباح مساء بأنه حافظ على أمن الوطن وجنبه ويلات الحروب، فلا أدري فيما أنفق كل هذه المديونيات التي لا تقدر الدولة على سدادها، بل تكفي بسداد خدمة الدين (الفوائد الربوية) فقط .. مبارك الذي بلغت ثروته فترة حكمه ٧٠ مليار دولار كما أفادت الجارديان البريطانية، بل بلغت ثروة أشهر مقربيه «أحمد عز» ٦١ مليار دولار. ومن عجيب ما نقرأ أن محافظ البنك المركزي المصري يصل راتبه لمليون جنيه شهريا! فما هو الراتب الذي يتقاضاه سيده ورئيس دولته؟! في قطر متعثر في كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

«مبارك لمصر» اختفاء الديكتاتور العميل، الذي وصفه بنيامين بن أليعازر، قبل شهور، بأنه «أعظم كنز استراتيجي لإسرائيل»، وأشاد شيمون بيريز، الرئيس الإسرائيلي

بصداقته الوفية لإسرائيل، وظهر بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي، مكفهر الوجه بأكثر مما بدا عليه مبارك نفسه، ونشرت الصحف الإسرائيلية نص وثيقة التعليمات السرية من نتنياهو إلى سفارات تل أبيب في الدنيا كلها، التي طلبت من الولايات المتحدة حماية مبارك بأي ثمن، وتزويده بالسلح الكافي لقمع ملايين المتظاهرين السلميين .. ولذلك سمعت بأذني في تظاهرات سقوطه وهم يهتفون: «كلموه عبري ما يفهمش عربي».

«مبارك لمصر» أن أرانا الله تعالى آية من آياته، وسنة من سننه في خلقه .. سنة «الجزء من جنس العمل».. يقول الأستاذ عبد الباري عطوان: حكمة الرئيس مبارك، تجلت في أبشع صورها قبيل الغزو الأمريكي للعراق، عندما طالب الرئيس صدام حسين بالتسحي من أجل إنقاذ العراق. صدام حسين رفض التسحي، لأن من يطالبونه به كانوا من الغزاة الأجانب، الذين أرادوا احتلال بلاده وإذلال شعبه، ففضل الصمود، ومن ثم الانتقال من سدة الرئاسة إلى خندق المقاومة، وفضل الموت شهيدا وهو رافع الرأس أمام مقصلة المحتلين وأعاونهم. من المفارقة أن من يطالب الرئيس مبارك بالتسحي هم أبناء شعبه، ومن أجل مصلحة مصر، ومن يريدون بقاءه هم الأمريكان والإسرائيليون وبعض الأنظمة العربية التي تواطأت طوال السنوات الماضية على تحجيم مصر، وتجويع شعبها، مثلما تواطأت لتدمير العراق وشعبه وإلغاء دوره، وترميل مليون من نسائه وتيتيم أربعة ملايين طفل من أبنائه.

«مبارك لمصر» ونحن نقرأ باعتبار قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم: ٤٢] وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» [متفق عليه] أي ليمهل والإملاء الإمهال والتأخير وإطالة العمر (للظالم) زيادة في استدراجه ليطول عمره ويكثر ظلمه فيزداد عقابه، قال تعالى: {إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً} فإمهاله عين عقابه (حتى إذا أخذه) أي أنزل به نقمته (لم يفلته) أي لم يفلت منه، من الإفلات وهو خروج من مضيق، وتمام الحديث في البخاري: ثم قرأ {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه

أليم شديد} وفيه تسلية للمظلوم ووعد للظالم وأنه لا يغتر بالإمهال فإنه ليس بإهمال. [فيض القدير للمناوي]

عتاب حار

في النهاية أوجه عتاب حار للملك عبد الله ملك السعودية على دعمه مبارك رفيقه في الطغيان والعمالة وأمريكا والدولة الصهيونية، وكما أفادتنا وكالات الأنباء أنه كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية تفاصيل مكالمات هاتفية جرت بين العاهل السعودي والرئيس الأمريكي باراك أوباما وهدد فيها الملك عبد الله بدعم الرئيس حسني مبارك ماليا في حال قيام البيت الأبيض بإحداث تغيير في النظام الحاكم في مصر. ففي محادثة هاتفية عاصفة تمت في ٢٩ كانون الثاني (يناير) طالب الملك عبد الله أوباما بتجنب «إهانة» الرئيس مبارك، وقال إنه سيقوم بدعم النظام المصري ماليا في حالة قطعت الحكومة الأمريكية الدعم السنوي لمصر (١.٥ مليار دولار). وأكدت السعودية وهي الدولة الحليفة لأمريكا في منطقة الخليج بأنه يجب أن يسمح للرئيس مبارك بالبقاء في السلطة حتى يشرف على عملية نقل السلطة والتحصير للانتخابات ويخرج من الحكم بكرامة وبطريقة سلمية.

ونقلت صحيفة «التايمز» عن مصدر بارز في العاصمة السعودية قوله: «إن مبارك وعبد الله ليسا حليفين فقط بل صديقان وأن الملك لا يريد رؤية صديقه وهو يهان أمام عينيه». وأكد مصدر أن المحادثة التي جرت بين الملك عبد الله ومبارك بعد أربعة أيام من بدء الثورة المصرية.

طبعا هذا التصرف غير مستغرب من ملك السعودية بل ومن أقرانه حكام الخليج الذين تشابهت قلوبهم، وإن غدا لناظره قريب، ومن يدري لعلك الأحداث تتسارع ونشهد محاسبة هؤلاء السفهاء على تضييع ثروات الأمة النفطية في دعم الطغاة وبزخ أفراد الأسر الحاكمة، وتخدير شعوبهم بوجبات الكبسة الدسمة في حين أنها بلاد هشة لا تصنع ولا تواجد يذكر اللهم إلا قطرات النفط التي جعلت لهم سعرا، فليحدثنا هؤلاء الطغاة عن إنجازاتهم فيما لو جف النفط وهيئات أن تنطقوا.

أما العتاب الثاني فهو موجه لمفتي المملكة الذي خرج علينا في وطيس الثورة ليفتينا أنها فتنة وأنه ينبغي أن نعود لمنازلنا ونطأطئ رؤوسنا لمستبد حارب الله ورسوله وشعبه، فقد كان الأجدر بك يا فضيلة الشيخ أن يسعك الصمت خير من أن ترضي أنظمة حكمك الفاشلة بمثل هذا الفتاوى، وخذعوك لما قالوا لك: إن لك وزنا يمكن أن يغير من مسار الثورة، فمن قبلك خدع شيوخ من الأزهر وألقوا علينا العديد من الفتاوى المشابهة والتي ذهبت كما ذهبت فتواك أدراج الرياح، ولم تستحق حتى أن يتناولها أي محلل سياسي أو مفكر إسلامي بالتقييم على أي قناة فضائية أو مطبوعة إعلامية.

كنت أحسبك يا فضيلة مفتي المملكة مشغولا بمشروع تقنين الفتوى الذي وعدتنا بالخروج علينا بضوابطه عمن يحق له الفتوى، إلا أن تسرع الملك في قصر الفتوى على هيئة كبار العلماء جعلك تغض الطرف عن هذه الحماقة، وتخدر الأمة بأن هناك آليات جديدة وعدت بها لكنها صارت نسيا منسيا مع الأيام.

إننا نكن كل التقدير والاحترام لعلماء المملكة، ولا أخرج دوما من التقرير بأنهم من خير علماء على وجه الأرض في زماننا، علمونا وأخذنا منهم صحة المعتقد وبراعة الفتوى ورصانة العلم، إلا أن الحق أحب إلينا من أي أحد حتى ولو كان مفتي المملكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر ليست تونس

«مصر ليست تونس» .. لا أقصد بهذا العنوان، تلك العبارة الشهيرة التي قالها الرئيس المخلوع حسني مبارك إبان انطلاق ثورة ٢٥ يناير المباركة، ولكنني عانيت من هذا العنوان لفت الانتباه إلى تعاظم المخاطر التي تحيط بالثورة المصرية بالمقارنة بثورة إخواننا في تونس، بل ليس هذا العنوان للتقليل من شأن الثورة التونسية المباركة بقدر ما هو إشارة حمراء لكل المصريين من أجل تنبيههم إلى ما يحاك لهم خاصة.

فلا ينكر أحد الموقع الجغرافي المتميز للقطر المصري، حيث يمثل عمقا استراتيجيا للكيان الصهيوني، والذي دأب هذا الأخير على تحيده وتأمينه بمعاهدة كامب ديفيد الشهيرة، وتدجين القيادات المصرية اللاحقة لها، مما يؤمن الجبهة المصرية تماما، ويتيح للكيان الصهيوني التحرك بحرية في مشاريعه الإجرامية من: الاستيطان، والقضاء على حماس، والتفرغ لمواجهة الخطر المتعاظم على الجبهة اللبنانية، والمتمثل في صواريخ «حزب الله» الذراع العسكري لإيران في المنطقة ... وغيرها من الملفات الصعبة والمعقدة.

هذا فضلا عن تحكم مصر في قناة السويس الممر الأهم في العالم، وتصدير الغاز للكيان الإسرائيلي بأسعار متدنية فيما يعرف بقضية الغاز الإسرائيلي الشهيرة، ودور مصر الكبير والريادي في المنطقة العربية.

كل هذه الحثيات -وغيرها مما يطول ذكره- تؤكد على أهمية مصر في السياسة الأمريكية وسياسة ربيتها المدللة إسرائيل، بل ومعها الدول الأوروبية المعنية بالمشروع الصهيوني، فضلا عن مصالحها الخاصة .. هذه الأهمية للقطر المصري زادت من تعقيدات الثورة المصرية، لأنه بطبيعة الحال سوف يكون الشغل الشاغل لهذه القوى الأجنبية الضغط لتأمين مصالحها، والحصول على ضمانات من أي قوى سياسية مصرية جديدة تخدم مصالح إسرائيل والسياسة الأمريكية في المنطقة.

خاصة وأن سياسة التطبيع التي انتهجها كل من السادات وحسني مبارك لم تلق قبولا من القاعدة الشعبية العربية، ومازال الكيان الصهيوني مرفوض جملة وتفصيلا في المزاج العام المصري بل والعربي أيضا، وبالطبع بعدما عادت للشعب شرعيته وحرية فممن المؤكد أن يعيد فتح الملفات الماضية وأولها ملف معاهدة كامب ديفيد وبنودها السرية، وملف تصدير الغاز للكيان الصهيوني بأسعار متدنية، فمجرد التعامل مع حكومة المقتصب الصهيوني مرفوضة تماما، حيث يراها المصريون نوع من الاعتراف بوجوده، ولا أدل على ذلك من تفجير أنبوب الغاز المتجه لإسرائيل سبع مرات منذ قيام الثورة .. كل هذا الزخم يقلق صناع القرار في دولة الاحتلال، ويزيد من العبء الأمني والعسكري خاصة مع اشتعال الجبهة السورية والأردنية فضلا عن الجبهة اللبنانية المشتعلة سلفا.

من هذا المنطلق يتضح لنا الحجم الحقيقي لكافة المؤامرات التي تحاك في الخفاء، من أجل تدجين الثورة المصرية، وللحفاظ على المكتسبات الخيالية السابقة، وتكوين حكومة موالية للغرب أكثر منها للشعب.

هذا الطرح بالتالي لا يدعونا أبدا أن نستغرب ما يحدث الآن في مصر، ولا نستغرب خبر مثل الذي بثه موقع شبكة الإعلام العربية «محيط» السبت (٢٠١١/١١/١٩) ونصه: علمت شبكة الأعلام العربية "محيط" من مصدر رفيع المستوى، أن مذكرة تفاهم في غاية السرية أبرمت بين الحكومة المصرية والإدارة الأمريكية، بمقتضاها تعهدت الحكومة بالحفاظ علي اتفاقات الشراكة الإستراتيجية مع واشنطن في شتي المجالات، واتفاقيات كامب ديفيد، مقابل إطلاق الحريات في مصر لكل الاتجاهات.

وأوضح المصدر، الذي رفض الإفصاح عن اسمه، أنه بمقتضى تلك التفاهمات التي جاءت إثر جولات مكوكية بين القاهرة وواشنطن، وشارك فيها عدد من أبرز رجال الأجهزة الأمنية في مصر والولايات المتحدة.

وقال المصدر: إن وثيقة الدكتور السلمي، نائب رئيس مجلس الوزراء، تمت صياغتها كضمانة فوق دستورية لتلك العلاقات الخاصة التي ورط فيها نظام الرئيس

المتنحي حسني مبارك، مصر مع واشنطن وتل أبيب، بحيث تلتزم أية حكومة منتخبة إسلامية أو غير إسلامية أو مختلطة بتلك الوثيقة، وتتواصل شراكة واشنطن مع القاهرة. وبصرف النظر عن صحة هذا الخبر من عدم صحته، ألا أننا سقناه لأنه فعلا ينسجم مع سير الأحداث في مصر، ويكشف سر الهجمة الشرسة يوم السبت لقوات الأمن المصري على معتصمي ميدان التحرير (أربع قتلى و ١١٣٧ مصاب) بعد مليونية الجمعة ٢٠١١/١١/١٨ الناجحة والتي رفضت وثيقة السلمي، وطالبت المجلس العسكري بتحديد موعد لتسليم السلطة.

عموما بقي أن نؤكد على نقطتين هامتين في هذا الصدد:

(أولها): أن الأيام القادمة ستكشف عن طبيعة المجلس العسكري ومعدنه الأصلي، وهذا ما لا يتفطن إليه قادة المجلس أنفسهم .. إن الشعب المصري استرد بالثورة وعيه مع حريته، ولن تنطلي معه المسرحيات الساذجة التي كانت تتبناها الأنظمة الدكتاتورية السابقة، وصارت لغة «الفعل الواقعي» هي السائدة، فمهما طالت مسرحية المحاكمات الهزلية للمخلوع حسني مبارك وأركان نظامه، فلا بد أن يأتي اليوم وتظهر النتيجة في صدق نوايا النظام من عدم مصداقيته، ومهما طالت مناورات رجال السلطة الآن في الحكومية الانتقالية فلا بد وأن تتكشف طبيعة نواياهم تجاه تواجد الإسلاميين في مجلس الشعب القادم.

(ثانيها): رغم كل هذه المصادمات الجارية الآن بميدان التحرير إلا أنني لست خائفا على الثورة، وذلك لأنني كما ذكرت آنفا: أن الشعب المصري العظيم استرد مع ثورته حريته ووعيه، وصار له من النباهة السياسية ما يحميه من أن تتلاعب به تحليلات المنظرين والمتفلسفين من أتباع النظام، وأن الرهان على نفاد صبره أو تشتيت فكره صار رهانا خاسرا، بدليل عودة الآلاف إلى الميدان بعد صدمات السبت الدامية .. عادوا وهم لا يخافون بطش النظام الحالي رغم العدد الكبير من المصابين .. عادوا يبيتون في العراء ويلتحفون السماء في هذا الصقيع الشديد، لا شيء سوى أنهم بعثوا من جديد بعدما كانوا مواتا، واستفادوا جيدا من دسائس الأنظمة السابقة، وصاروا

أكثر حرصا على أن يهبوا شرعيتهم لمن يستحقها غير عابئين بكيد أمريكا ومن يسير
في فلكتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة التي يراد لها أن تموت

صبيحة الجمعة ٨/٧/٢٠١١ نجح مليون تائر مصري في التجمع وسط ميدان التحرير بقلب العاصمة المصرية مجددين عهد ثورة مضى عليها بضعة أشهر فقط .. كانت «جمعة تصفية حساب» مع قادة حاولوا بشتى الطرق امتصاص تلك الثورة والالتفاف عليها ومحاولة تفرغها من مضمونها.

كان الكل يجمع على أنه لا يحس بآثار الثورة، رغم مرور أشهر مديدة على ميلادها، تلك الآثار الغائبة كان الجميع قنوعين جدا بالنسبة لها، فقد كان يرضيهم النذر اليسير من الإنجازات، وقد كانوا يتفهمون الأزمة التي يمر بها الاقتصاد وحجم الفساد المتغلغل في كافة قطاعات الدولة من عصور مديدة مضت، لكنهم في نفس الوقت كانوا لا يرون مبررا لسرية المحاكمات مع رموز النظام السابق، ولا لاستمرار مكوث الطاغية السابق في شرم الشيخ، وتضارب الأنباء حول صحة، في دولة ما اهتمت يوما من الأيام بصحة مجرميها ومساجينها، ولا يرون مبررا لاستمرار الانهيار في قطاع الخدمات والتعقيدات الروتينية بالمصالح الحكومية، ولا لاشتعال الأزمات في السلع الغذائية والتموينية، ولا إهمال لقضية شهداء الثورة، ولا لاستمرار أباطرة الشرطة في مناصبهم، فضلا عن غياب عسكر الداخلية من الشوارع لضبط الأمن .. ملفات عديدة ومديدة لا مبرر لاختزالها والتكاسل عن معالجتها.

الكل شعر بأن الفكر القديم كما هو، والإدارة الفاسدة لم تتغير، والوزراء المحافظون الجدد متقاعسون عن العمل، والمعاناة هي المعاناة، بل ربما زادت.

ومما زاد الطين بلة أن أعداء الثورة عمدوا إلى جر البلد لقضايا ربما لا تعني المواطن البسيط بالدرجة الأولى، من الانشغال بانتخابات مجلس الشعب والشورى وتكوين الجمعية التأسيسية لوضع الدستور وأخبار محاكمات رموز النظام السابق التي لا يعلمون عن تفاصيلها شيء، وتشكيل لجان لجلب أموال الطغاة من الخارج .. والمحصلة أن البلد تركض في مكانها، ولم تراوح موضعها المؤسف قيد شبر واحد.

ونسى هؤلاء القادة أو تناسوا أن الذي تغير بعد الثورة هو «فكر المواطن» الذي انفجر في عقله وفكره أمل جديد، وصار لا يرضيه إلا رؤية إنجازات، لا وضع دساتير ولا تأسيس مجالس نيابية، فهو طيلة عمرة يعيش في ظل مجالس نيابية شكلية، ويعاني من دساتير وهمية، ويرى القوانين له وحده والكبار معفون من أغلالها.

هناك وعي جديد انبثق، وصار الفكر الثوري متميز، ولن يكرر نفسه كما حدث في الثورات العربية السابقة، فلغة الفرح والطبل والزممر بزوغ فجر جديد ورحيل طاغية عنيد صارت لغة لا تروق لثوري العصر الحديث، وصاروا لا يفهمون إلا لغة النتائج والعمل والإنتاج.

صار الحديث عن الغد لا يقنع أحدا، والمطالبة بالصبر لا تجد لها صدى .. هم بحاجة لقادة يفتحون لهم أحضانهم، ويرون في كنفهم الرعاية والاحترام، ولو بدون مجلس نيابي أو دستور، فهذه أمور تأتي لاحقا ولن يستعجلهم الناس في ذلك الأمر. والغريب أن القيادة التي تراقب هذا الفكر والحراك الثوري الجديد تصر -وبتعت غير مبرر- على أن لا تبرح فكرها وتغير جلودها القديم، وها هو رئيس الوزراء يخرج -والآن خرج- ليعلن في بيانه الوعد بتغيير وزاري خلال أسبوع، وتغير المحافظين خلال شهر .. عاد ليقدم وعود لا تروق لأحد، وقد كان الجميع ينتظر منه خطوات ولو يسيرة، ومن يضمن للمواطن أن الوزير الجديد لن يكون بنفس نهج القديم، خاصة وأن التشكيل الوزاري لم تمض عليه سوى بضعة أشهر، وتم في أجواء ثورية تولى فيها الوزراء والمحافظون الأشاوس مناصبهم وهم يعلمون جيدا ما هو المطلوب منهم في ظل الثورة.

ثم خرج المتحدث باسم المجلس العسكري يتوعد وينذر ويعد في لغة غريبة تفيد أن الرسالة الجماهيرية لم تصل أو بصراحة وصلت وهم لا يريدون أن يفهموها أو يقبلوها. وبالتالي لا نستغرب إجماع كل التصريحات من القوى السياسية الشعبية المختلفة على أن تلك البيانات والتصريحات كانت مخيبة للآمال.

فقد قال الإعلامي الكبير (حمدي قنديل): «إن الأزمة الدائرة الآن تتمثل في فقدان الشوار الثقة في المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وإنهم ما عادوا يأتمنون

المجلس العسكري على ثورتهم، بعد ما بدا لهم من أن أداء المجلس العسكري لا يختلف عن أداء النظام السابق، وما ترسخ الآن من عدم وجود رغبة لدى المجلس العسكري في محاكمة مبارك أو رموز النظام السابق بالشكل الذي يرضيه الشعب». المطمئن في الأمر أن الثورة المصرية المباركة لم تمت بعد كما خطط لها فلول النظام السابق وأنفقوا لذلك الغالي والرخيص، ومن المطمئن أيضا وجود هذا الفكر الراقى لدى الثوار الذين عادوا لا يأبهون للوعودات ولا للتصريحات الرنانة ولا للشعارات الصاخبة، وصاروا لا يؤمنون إلا بلغة النتائج والواقع، ومن المطمئن كذلك فاعلية قدرة هؤلاء الثوار على التجمع مرة أخرى في ميادين مصر وكافة ربوعها، بعدما توقع الكثيرون أن هذه الجموع لو تفرقت لن تستطيع التجمع مرة أخرى، والواقع أثبت خلاف ذلك، بل لقد تجمع الثوار وفي ظروف أشد صعوبة من تجمعهم الأول إبان تفجر الثورة، فالحر هذه الأيام على أشده، والمخدرون لهمة الشعب من الإعلاميين المأجورين لا ينامون على الفضائيات، ومع ذلك نجح الثوار في التجمع لمحاكمة رموز الأمة الحاليين، بل باتت تلك المحاكمات رسالة وقضية ولذة لا تقف أمامها عوائق.

نعم الثورة لم تمت، ومن ظن هذا فهو واهم
والله الموفق إلى سواء السبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

وعادت مليونيات التحرير..

إنه شعب مصر العظيم

بعد غياب عدة أشهر عن ميدان التحرير، عادت اليوم الجمعة (٢٠١١/١١/١٨) مليونيات جموع الشعب المصري في الميدان، من أجل الرد «العملي» على رفض وثيقة المبادئ الدستورية التي أعدها نائب رئيس الوزراء «علي السلمي» والتي تتضمن العديد من البنود المثيرة للجدل، كما تعيد للعسكر نوع من الحصانة السابقة المشبوهة، فضلا عن تدخلها السافر في تشكيل وتنظيم عمل هيئة صياغة الدستور المقبل، الأمر الذي تقبلته بعض القوى الليبرالية ورفضته معظم القوى السياسية المصرية، وهددت بالخروج مرة أخرى للشارع، وثورة الجماهير صاحبة الحق الأوحد الآن في مصر، والمالكة الوحيدة للحصانة الشعبية، التي تريد أن تهبط لمجلس نيابي منتخب انتخاب حر ونزيه، يقوم على عاتقه رسم الخريطة السياسية المصرية الجديدة بما يفي بمتطلبات هذا الشعب العظيم الذي أزاح بثورته ودماء أبنائه دكتاتورية النظام البائد.

- عادت مليونيات التحرير لتؤكد لكل أعداء الثورة أن الرهان على ضعف همة الشعب في تجميع صفوفه في الميدان مرة أخرى، إنما هو رهان خاسر، فهذا الشعب يمتلك بثورته طاقات داخلية كامنة لن تفتر أو تهدأ حتى تؤتي الثورة أكلها.

- عادت مليونيات التحرير لتجهض كل السجلات الإعلامية والبرامج الحوارية والصراعات السياسية، وتحليلات المحللين، وجدالات الفقهاء الدستوريين، وسفسطة النخب.. وهذا الزخم الإعلامي الغير مبرر، ممن يحاولون جر البلد إلى فوضى مقصودة، رغم أن الأمر أوضح من الشمس في رابعة النهار، فمصر استعادت حريتها، ولن تهبط إلا لمن تثق فيهم من أبنائها الشرفاء البسطاء، بانتخابات حرة ونزيهة، دون وصاية من أحد.

- عادت مليونيات التحرير لتؤكد الوعي العميق لهذا الشعب الفذ .. هذا الوعي الكفيل بأن يجهض أي محاولة للالتفاف على الثورة .. هذا الوعي الذي يقول بصراحة لأصحاب البذات الأنيقة والبشرات الوضيئة من مفكرينا رواد الفضائيات: معذرة، وفروا فكريكم وآرائكم وتحليلاتكم، فنحن أوعي بمصالحنا، وبمعالم طريقنا، وأدري بمن نختار، ولمن سمنحه الثقة، ولا نريد من أي أحد مهما كان مكانته أو مكانه أن يرسم لنا وثائق حاكمة، أو يثير في نفوسنا الضغائن تجاه فصيل سياسي معين.

- عادت مليونيات التحرير لتؤكد دور المكانة وليس المكان .. فمن السهل أن يحتل أي إنسان مكانا مرموقا، لكنه من الصعب أن تكون له مكانة في القلوب إلا إذا كان يستحقها بالفعل، ولا ننسى أنه وإن قطعت رأس الأفعى، فمازال الجسد باقيا، وكثيرون ممكن مكنهم النظام السابق من رقابنا متواجدون في مواقعهم، لكنهم ساقطون شعبيا وإن هلل لهم الإعلام وزمر، وهم من مواقعهم المرموقة لا يستطيعون أن يجمعوا حتى ربع مليونية، لأنهم عاشوا طيلة عمرهم ينظرون للشعوب من نافذة عالية، ويرونهم غوغاء وهمل، وهم أنفسهم أصحاب الشهادات العالية والمناصب الرفيعة، أولى الناس بأن يفكروا للجماهير العريضة ويرسموا معالم حياتهم.

- عادت مليونيات التحرير لتذكر العسكر -الذين تناسوا عن قصد- بأن جموع الشعب المصري هي التي قامت بالثورة، وهي مالكتها وصاحبها، وأن دوره مشكورا في حمايتها وليس تملكها، وعليه أن يحدد موعدا لتسليم السلطة لرئيس منتخب من قبل الجماهير، بل عادت لتذكره بأنه من رجالات النظام السابق الذين اختارهم على عينه ورباهم في كنفه .. إن الشعوب التي ولدت من جديد لن تنطلي عليها الشعارات ولا الخطابات، وأصبحت لا تؤمن إلا بلغة الوضوح التي ترسم الخطوات العملية على أرض الواقع، خاصة وأن إخفاقات المجلس العسكري وحكومته الهزيلة في التعامل مع الكثير من الملفات (ملف السفارة الإسرائيلية، ملف محافظ المنيا القبطي، ملف محاكمة مبارك وأعوانه، ملف التراخي الأمني، ملف الترشيح الانتخابي لفلول النظام...) ليؤكد على سداجة العسكر الإدارية، وعدم جدارته بقيادة مصر، فالعسكر لحماية

بيضة الأمة، لا لقيادة الجموع التي تحتاج لقائد مخضرم يتقي الله عز وجل في هذا الشعب.

- عادت مليونيات التحرير بباقة متنوعة من جموع المصريين، ولم يسيطر عليها الإسلاميون وحدهم، رافعين شعار دولة مدنية بمرجعية إسلامية، ومؤكدين على أن الخوف من الإسلاميين هو خوف مصطنع وغير مبرر وحجة تافهة من أجل القفز على السلطة وسرقة ثورة أمة متدينة بطبعها وفطرتها وتاريخها.

- عادت مليونيات التحرير بنفس الرقي الحضاري المعهود لهذا الشعب العملاق، فلم ترصد أي تجاوزات ولا مناوشات، رغم الغياب الأمني الرسمي التام، مما يؤكد على دقة التنظيم، وصدق جميع المشاركين في رؤية بلدهم حرة مزدهرة، بل حرص عدد من الشباب المتظاهرين بميدان التحرير، على القيام بتنظيف الميدان من المخلفات، وقاموا بجمع القمامة وإلقائها في مناطق محددة، ليكون جمعها سهلاً على عمال النظافة في صباح السبت.

- عادت مليونيات التحرير، وسافر الشرفاء المجاهدون من أقصى ربوع الجمهورية ليلة الخميس وصلوا العشاء بالميدان، وباتوا بالعراء، يلتحفون السماء، في جو شديد البرودة، وهذا ما لا تقدر عليه ولا تستطيعه نخب الفضائيات، وليس التحرير فقط هو الذي ثار، بل ثارت الإسكندرية وبورسعيد والعريش وكافة محافظات الجمهورية، عاقدين العزم على مواصلة الثورة حتى تسترد عافيتها وحصانتها، وتقمع كل المناوئين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد المصري والحلقة المفقودة

تتزامن الأحداث في مصر الثورة، ويتطلع الجميع لأفق المستقبل الذي يكاد عمليا لا يراه أحد، خاصة طبقة المعدمين من هذا الشعب والتي قارب تعدادها على النصف .. يذكر أن هذه الجموع الغفيرة الفقيرة هرولت -وبجدية تامة- تجاه صندوق الانتخابات التي لم تعرفه طيلة عمرها، في محاولة لأداء دورها المطلوب منها، كي تشكل النخب السياسية التي ستقود البلد في أسرع وقت ممكن، من أجل أن تبدأ عملية الإصلاح والتغيير على قدم وساق كما وعدوها في برامجهم على شاشات الفضائيات.

وبالفعل تكون أنزه مجلس شعب عرفته مصر والمنطقة العربية بأسرها، إلا أن بعض النخب القضائية التي ترفل في نعيم الرواتب الفلكية حكمت ببطلان اللعبة الانتخابية وقرروا أعادتها من جديد !!.

ثم تولى أشرف رئيس عرفته مصر إلا أن بعض النخب الإعلامية التي ترفل في نعيم الدخول الجنونية تبنت خطة إعلامية هوجاء مولها الفلول حول أخونة الدولة وضرورة التصدي للمشروع الإسلامي ومساوئ انفراد فصيل واحد بالحكم حتى لو أتى عبر صناديق الانتخابات .. وغيرها من القضايا الكلامية والتنظيرية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

ثم تكونت الجمعية التأسيسية لو ضع دستور إلا أن قادة الثورة المضادة والليبراليين من طبقات المترفين هاجوا وماجوا وصالوا وجالوا من أجل إجهاض مشروع الدستور.

وبدأ المواطن تفرع أذنه هيئات كانت تعد من أصحاب القبور كالمحكمة الدستورية والنائب العام وناادي القضاة .. والقائمة تطول من شلة المتنفعين الذين يخافون من طوفان العدالة الاجتماعية الذي سيحتث من رواتبهم ومميزاتهم الكثير.

لكن المحصلة أن العملية السياسية في واد والمواطن في واد آخر، فالسياسة باتت لعبة المترفين، وحديث المتخمين، والمواطن الغلبان صار لا يعنيه تلك الكلمة السوفسطائية التي تنعقد كل ليلة بين المنظرين السياسيين على شاشات الفضائيات. لكن لو بدأنا برصد الأحوال من الشارع المصري، من طبقة البسطاء، من سكان المقابر وطواير الخبر ومعاناة المرضى ... لأدركنا مدى اليأس الذي ينتاب النفوس بعدما داعبها الأمل في تحسن الأحوال.

رئيس منتخب وحكومة أتت والإنجازات التي تلوح في الأفق ما هي إلا سراب خادع، وكل الحديث عن الخزينة الحكومية الفارغة والاقتصاد المنهار والفساد المستشري.

لكن الحقيقة أن حجة «التعثر الاقتصادي» شماعة لا تستطيع أن تحمل كل هذه الإخفاقات، فالكثير من الإصلاحات لا تتطلب سياسات مالية واقتصادية، لأنها كيانات قائمة بالفعل تحتاج لتطهير وحسن ترتيب لأوضاعها فقط لا غير.

إن المستشفيات الحكومية قائمة بالفعل ولكنها قبور للموتى وكل ما تحتاجه المزيد من الترتيب وتحسين الخدمات وتواجد الأطباء لخدمة الجماهير الغفيرة، لكن واقع الحال أن الأساتذة لا تراهم إلا في عياداتهم الخاصة فقط.

وهيئة التأمين الصحي العملاقة قائمة بالفعل والكل يعلم أن الأدوية التي تصرفها لجموع المرضى خالية من المادة الفعالة أو ضعيفة نسبتها.

والمخابز قائمة بالفعل لكنها لا تعرف أي شيء عن الشروط الصحية، وأذكر أن ماسورة الصرف الصحي بأحد المخابز سربت محتوياتها ليلا على العجين وتم خبزه للناس في الصباح دون أن يشعر أحد.

والهيئة القضائية العملاقة التي تستنزف رواتبها خزينة الدولة قائمة بالفعل ولا مبرر لوجود ٢٥ مليون قضية متراكمة بالمحاكم.

وأقسام الشرطة قائمة بالفعل لكنها لا تنصف مظلوما ولا تجلب حقا، وهي كما هي في عصرها البائد.

والمدارس الحكومية منتشرة في كافة ربوع الوطن لكنها خالية من الطلاب لعدم ثقتهم في العملية التعليمية من أساسها.

ودواوين الحكومة منتشرة كالوباء في كل مكان، تعطل مصالح الناس بقوانين روتينية وأنظمة بيروقراطية لم تتغير حتى الآن.

إن الاقتصاد المصري برئ من كثير من الأزمات الحياتية اليومية براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

إن التغيير الحقيقي الشمولي هو الحلقة المفقودة في السياسة المصرية الراهنة، وهو الآن تغيير مختزل مبتور، تغيير فوقى عام يهتم بإصلاح الاقتصاد المتعثر وجلب الاستثمارات والأموال المهربة لكنه في نفس الوقت يتجاهل الانتشار والتعميم في كافة القطاعات، ويسير بنفس العقلية القديمة، عقلية حكومة الفرد الواحد «رئيس الجمهورية» والباقي في انتظار الأوامر لكي يتحرك.

إن الحكومة المصرية الآن عبارة عن توليفة من وزراء فشلة لا يعرفون طريقهم، وزراء غير مهنيين ولا مبادرين ولا طموحين ولا عارفين لمعنى حكومة ثورية تنشأ نسل المجتمع من أتون الفساد والمعاناة.

وزراء تربوا على فكر الزعيم الملهم والحاكم الإله الذي ينتظرون إشارته وتوجيهاته وتعليماته، وبات على الدكتور مرسى أن يفهم في الصرف الصحي والسياسة الزراعية والطاقة النووية والعملية التعليمية والنوادي الرياضية ... يفهم في كل شيء لكي يحرك هذه الأحجار الصماء التي على رقعة الوزارة.

إننا على أبواب ثورة جياح ستأكل الأخضر واليابس وتلتهم أكباد النخب وتشرب من دمائهم.

ثورة لن يردعها الدستور ولا سيادة القانون ولا سائر القضايا الكلامية التي تستحوذ على الزخم الإعلامي المصري.

ثورة لا تعرف الفلول ولا الإخوان ولا السلفيين، ولا مكان لها في ميدان التحرير ولا سائر الميادين، بل مكانها قصور النخب في التجمع الخامس ومدينه الشيخ زايد والساحل الشمالي.

ثورة ترويهها دماء الأثرياء التي لا تعاني من الأنيميا ولا اللوكيميا، بل هي عامرة بكافة الفيتامينات والمغذيات.

إننا نحذر من دراكولا من نوع جديد، دراكولا لا يعرف المبادئ الثورية ولا المحكمة الدستورية ولا الجمعية التأسيسية بل كل ما يعرفه إرواء فقره بأي ثمن.

بسم الله الرحمن الرحيم

المسيرة العسيرة

كشف النتائج الأولية لأول انتخابات رئاسية مصرية حرة بعد ثورة ٢٥ يناير .. كشفت عن حجم المأزق الفكري الذي تمر به مصر، بل وربما الشعوب العربية قاطبة .. هذا المأزق الذي ينطوي على موهبة العرب الوحيدة التي يمارسونها باقتدار، ألا وهي فن التشرذم والتفرق وإعجاب كل ذي رأي برأيه، الأمر الذي وصل لدرجة أن تستنسخ الثورة رموز النظام الذي قامت عليه.

لقد جاءت النتيجة صادمة لدرجة كبيرة في أن يخوض جولة الإعادة مع مرشح التيار الإسلامي (د. محمد مرسي) رمز الفلول الأكبر (الفريق أحمد شفيق) الذي تربطه برموز النظام السابق علاقة وطيدة وجدانيا وفكريا وتمويليا، وهو ما صرح به شفيق أكثر من مرة بأن مبارك مثله الأعلى.

فجميع التوقعات كانت مرجحة التيار الإسلامي باقتدار، حتى شرفاء الأمة الذين لا يرغبون في التيار الإسلامي كان أمامهم المرشح (حمدين صباحي) المحسوب على التيار الليبرالي الناصري والمشهود له بسجل سياسي تاريخي ناصع البياض، هذا فضلا عن (د. عبد المنعم أبو الفتوح) الذي يقف في المنتصف بين الإسلاميين والليبراليين، ولا أنسى الدكتور العوا.

إذن القائمة الشريفة كانت وافرة ومتنوعة، مما يتيح لجموع الشعب الشائنة والتي أضناها المرض والفقر أن تختار بحرية بين العديد من الرموز الناصعة.

لكن أن تتخطى القوى الانتخابية الشعبية كل هذا، وتذهب لدعم جلاديه المنغمسين في الفساد، فهذا له دلالات جد خطيرة، ومحطة فارقة هامة في العملية الديمقراطية الفاشلة التي كتبنا عنها مقال سابق بعنوان (عوار الديمقراطية) استكرنا فيها تحديد مصير أمة من قبل شعب يعاني ٤٠% منه من الأمية، وباقي أفرادها لا يملكون -في الغالب- من المؤهلات الثقافية والمعرفية ما يؤهلهم لحسن الاختيار،

فضلا عن مساواة الصوت الانتخابي بين أستاذ في العلوم السياسية -مثلا- مع صوت راقصة أو شاب مدمن مستهتر.

عموما قراءة الواقع في ضوء النتائج الحالية يكشف العديد من الأمور:

١- كما حذرنا في مقالنا (الخطأ التاريخي) وحذرنا من خطورة الفرقة والتشردم .. إن تشتت الأصوات الإسلامية -وهي كتلة تصويتية حاسمة- بين مرسي وأبو الفتوح كان خطأ تاريخيا، فالفرقة كربة، وطالما نوهنا أننا لسنا بصدد استعراض برامج المرشحين بأكثر من اتحاد الأصوات خلف مرشح إسلامي واحد، مع الوضع في الاعتبار أن مرسي وأبو الفتوح من الإخوان المسلمين ويتبنون الفكر الإخواني قلبا وقالبا، وأن المجال للمفاضلة بينهما ربما كان مكانه في انتخابات الإعادة بينهما وليس في المرحلة الأولى المحفوفة بالمخاطر، وأظن أن تراجع أبو الفتوح الآن وإعلانه تأييد مرسي كانت خطوة متأخرة انتظرناها من نخبة السياسية وعلمائنا الأجلاء.

٢- تخاذل الصوت السلفي في هذه الانتخابات كان واضحا مما أضعف القوة التصويتية للتيار الإسلامي، وهذا برز بجلاء في محافظات الثقل السلفي كالإسكندرية وكفر الشيخ التي رجحت فيها كفة حمدين صباحي، وهذا يعطي دلالة أن قرار شيوخ التيار السلفي بدعم أبو الفتوح لم يلق صدى في نفوس عموم السلفيين، وأصابهم بنوع من الحيرة والخرج، فخرج كثير منهم إلى صلاة الاستخارة، وآخرون آثروا السلامة ولم يذهبوا للتصويت.

٣- أن الإعلام الفلولي نجح إلى حد كبير في صرف الناس عن التيار الإسلامي، خاصة وأنه يخاطب شريحة جماهيرية أمية عريضة من السهل التأثير عليها لانعدام خلفياتها الثقافية والسياسية التي تحصنها من الشبهات الشواء التي تبناها هذا الإعلام الموالي للنظام السابق، كان من أبرزها أن الإسلاميين سيطروا على مجلس الشعب ولم يفعلوا شيئا رغم أن دور مجلس الشعب ينحصر في المهام التشريعية والرقابية وليس التنفيذية، ومن الشبهات تشويه سمعة التيار الإسلامي بادعاء رغبته في السيطرة على مفاصل العملية السياسية واحتكار السلطة وأن التنوع السياسي أسلم لمصر المستقبل.

ولذلك كان من اللافت أن مؤيدي شفيق من طبقة الحرفيين والأमीين أكثر منهم طبقة المثقفين والثوريين.

٣- أن فلول النظام السابق باتوا أكثر تنظيماً واستفادة من أخطاء الماضي حيث اعتمدوا على سياسة ترتيب الصفوف والدعم والإنفاق بسخاء لحملة شفيق بدلاً من سياسة التخريب والحرائق وافتعال الأزمات الاقتصادية، ولذلك كسبت هذه الفلول أصوات النصارى قاطبة وأصوات منتفعي النظام السابق في محافظات الثقل كالمنوفية التي منها أغلب رموز النظام السابق.

٤- أن نتائج الإعادة بين مرسي وشفيق أوقعت الكثير من القوى الثورية في بلبلة وحيرة لا توصف، خاصة القوى الثورية التي ترفض المشروع الإسلامي لكنها في ذات الوقت لا تقبل النظام السابق وفلوله، وهذا ما دفعها لاختيار صباحي أو أبي الفتوح أو حتى العوا، ولذلك بهذه النتيجة المحيرة وقعت في اضطراب، الأمر الذي دفع قوى شباب الثورة لإعلانها تأييد مرسي مقابل تعيين صباحي وأبي الفتوح نائين للرئيس.

حاصل الأمر أن الفرقة كانت القشة التي استهان بها الكثيرون لكنها قصمت ظهر البعير بالفعل، وأنا بتنا الآن في أشد الحاجة لتآلف كل القوى الثورية حول نقطة واحدة، أما السذج الذين صوتوا لفلول النظام السابق فلا يسعني إلا أن أقول لهم: إن الشعوب التي تتخلص من قيد القهر ثم تعود وتعقده على رقبتها من جديد فهي شعوب أجدر أن تمحى من جذورها، وتباد عن بكرة أبيها، وحق لها أن ترسف في أغلال العبودية أبد الدهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر ومواقفه المتميزة

في فتواه الأخيرة حذر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب من التقاعس عن الإدلاء بالتصويت في الانتخابات، وقال: "تقاعس أي مواطن عن الإدلاء بصوته في الانتخابات الرئاسية مع قدرته على ذلك حرام شرعا" مناشدا المصريين "حسن اختيار رئيسهم الجديد للجمهورية الثانية" وفقا لما نقلته وكالة الأنباء المصرية الرسمية.

لكن فضيلة الإمام الأكبر سكت بالطبع عن ترجيح أحد المترشحين، سواء المرشح الإسلامي د. محمد مرسي أو مرشح الفلول الفريق أحمد شفيق، وهذا من منطلق أن الأزهر دوما ملتزم بالحيادية تجاه هذه المواقف!!، وهذا من عجيب التصرفات للأزهر وشيخه، لأن الحيادية - كما يعلم جيدا - ليس هذا موطنها على الإطلاق، بل هي مسألة حياة أمة أو موتها، وحياة ثورة تطوق للحرية أو إجهاضها، وهي مسألة دماء أريقَت وبيوت خربت وأمة دمرت على مدار ثلاثين سنة، وهي مسألة أمانة منوطة بالعلماء أن يبينوا للناس طريق الرشاد.

وفي حين أن صحف وقنوات الفلول الإعلامية تتبارى في تضليل الرأي العام، يتميع شيخ الأزهر ويتسربل بسربال السلبية ويسميه تضليلا «حيادية»، لكنه في واقع الأمر التميع الذي عودنا عليه الأزهر وشيوخه طيلة عهدهم إلا من رحم ربي، وإن كان لهذا التميع في عهد الأنظمة السابقة له ما يعذره، فما الذي يمنع شيخ الأزهر اليوم في أجواء الحرية الثورية من أن يحسم أمره ويقوم بالواجب المفروض عليه، من الانحياز للثورة والشعب ودعم مرشح التيار الإسلامي الذي هو راعيه والمسئول عنه أمام الله والوطن والتاريخ.

وفي حين أعلن كافة العلماء الفضلاء من أبناء الدعوة الإسلامية المباركة، وعلى رأسهم علماء الهيئة الشرعية للتغيير والإصلاح.. أعلنوا دعمهم الصريح والعلني لمرشح التيار الإسلامي، بل أفتى بعضهم -جزاهم الله عنا خيرا- حرمة التصويت لمرشح الفلول، وهذا من قبيل حسم الأمور وردها إلى نصابها الصحيح وتوفية للأمانة

التي جعلها الله تعالى في عنق العلماء .. هذا في الوقت الذي يتوارى فيه شيخ الأزهر ورجاله كما عودونا في جلائل الأمور أن يكونوا بلا لون ولا طعم ولا رائحة.

وإن كان الأزهر وشيخه قد التزم الحيادية وتنازل عن واجبه الشرعي، بل أصدر أوامر صريحة للدعاة بعدم الترويج لأي مرشح في المساجد وعلى المنابر، فلماذا لم يتم شيخ الأزهر تمييعه ويمنع رجال الأزهر من عدم الإدلاء بأي تصريحات إعلامية في هذا الأمر، حيث ذكرت صحيفة المصري اليوم وصف الشيخ الأزهرى (السيد الزغبى) الفريق أحمد شفيق بأنه «رجل رباني» أرسله الله لمصر ليخلصها مما هي فيه. وقال الزغبى، على هامش مسيرة نظمها مئات من أنصار الفريق أحمد شفيق المرشح الرئاسي بالغربية، إن نسب شفيق يعود إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنه ينتمي للأشراف، مضيفاً «شفيق رجل عفيف اللسان، لا يعرف العيب ولا يخطئ في أحد من منافسيه، على الرغم من تعمدتهم الإساءة له وسبه على شاشات التلفاز وصفحات الجرائد».

وأضاف «لا سبيل لمصر أن تخرج مما هي فيه وتستقر أمنياً واقتصادياً إلا بوجود رجل مثل شفيق ليكون رئيساً، لها ولن يسمح المصريون بأن يتولى غيره مسئولية البلاد».

كما أشاد الزغبى بدور الجيش المصري ووزارة الداخلية في الحفاظ على مصر من أيدي المخربين الذين يريدون تسليم مصر لدول خارجية، وفق ما قال. ولماذا أيضاً لم يكف شيخ الأزهر أخيه عن توزيع منشورات بالأقصر تؤيد مرشح الفلول (شفيق)، ودعواه أن وصول الإخوان للحكم سيحول مصر إلى أفغانستان جديد.

مواقف شيخ الأزهر المتميزة وتمييع المؤسسة الدينية الرسمية بمصر أشهر من أن تذكر، هذا الشيخ الذي ضرب أقبح الأمثلة في التمييع بانضمامه للجنة السياسات بالحزب الوطني السابق، والذي حارت معه عمامته ولحيته، فعندما كان رئيس لجامعه الأزهر كان حليق اللحية غير معمم ويلبس البدل الأنيقة، ولما تولى مشيخة الأزهر

أطلق لحيته ولبس العمامة الأزهرية الشهيرة، وكأنها تلونات وتغيرات لا عقائد وشرائع وقناعات.

لكن كل ما يستطيعه شيخ الأزهر هو الكلام الفضفاض، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، من قبيل: (وأكد الدكتور الطيب في بيانه أن الأزهر الشريف سيبقى بيتا للوطنية، وموئلا للمناضلين، وذخرا للعمل الوطني المخلص على مر الأيام بوطننا العزيز، مناشدا الجميع عدم الاختلاف أو التنازع بما يفتت قوتهم ووحدتهم).

إن الشعب المصري العظيم لا تنطلي عليه هذه المواقف الباهتة، ولا تستهويه هذه السلبية، لذلك لا غرابة أن يتراجع دور الأزهر وشيخه، ويسقط من أنظار الجماهير، وفي حين تندفع الجموع العريضة نحو وجهتها الصحيحة في دعم مرشح الثورة، ما زال الأزهر يبطن غير ما يعلن، ولم يحسم أمره في وقت الكل في حاجة لمواقف واضحة وجريئة، ترضي الله تعالى وترضي الجماهير، والصدق مع النفس أشهر من أن يذكر أو يمدح، فمتى يصدق رجال المؤسسة الدينية مع أنفسهم ويخرجوا خبيثة معتقداتهم، والله يتولى السرائر، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة المصرية وسياسة دغدغة المشاعر

المتابع لأحوال القيادة المصرية بعد ثورة ٢٥ يناير المباركة يجد أنها تسير عكس الاتجاه المراد منها والمؤمل فيها، بل لا أكون متجنبا إذا قلت أنها ثورة حدثت على غير رغبة من هذه القيادة، لكن الموجة كانت أكبر من أي أحد، والطوفان الشوري الشعبي ما كانت لتردعه طلقات المدافع ولا قاذفات الصواريخ، فأثر الجميع ركوب الموجة لا الوقوف أمامها، إلا أنهم تناسوا أن الإنجازات المطلوبة والطموحات المرجوة سوف تكشف المحب الصادق من المحب المزيف.

هذه ليست قراءة تشاؤمية ولا تحليل معادي لرموز النظام الجديد، ولكن للكلام شواهد وللتحليل برهان من وقائع عديدة ومواقف مديدة، تثبت حقيقة ما قررناه، من أن القيادة الحالية بعد الثورة تتعامل مع الظروف بنوع من الاستيعاب والامتصاص لا بنوع من الرغبة في التغيير والتطوير، ومن أبرز المواقف والشواهد على هذا الطرح، ما يلي -ودوما الأفعال خير برهان من الأقوال-:

- أولا: مسرحية محاكمة الطاغية حسني مبارك، وكيف تمت بصورة سينمائية بموافقة وتأييد وتبريك من النظام الحكم الحالي، وبإدئ ذي بدء لا بد أن نصرح بأن مبارك لم يفر كما فر آخرون إلا بعد تطمينات ووعود من العسكر أنه لن يمس له جانب، فمبارك الغارق في وحل الفساد ما كان يوما بالشخصية المناضلة التي تصمد في وجه العواصف.. لكن لما كانت الموجة الشعبية الراضية لمكثته بشرم الشيخ وترك محاكمته كانت موجة أكبر من العسكر، اضطروا للرضوخ لرغبة الجماهير كي لا يتهمهم أحد بسوء الظنون، خاصة وأني ذكرت أن المرحلة القادمة بشواهد العملية لا القولية سوف تكشف زيف الزائفين، لكن تمت المحاكمة بصورة كلها مولاة وتبعية للطاغية المخلوع، فها هو ينقل بطائرة خاصة وسيارة إسعاف فارهة وتكلفة محاكمة ثلاث مليون جنيها، ويظهر على سرير مريضا عليلا رغم أنه من ستة أشهر فقط كان

واقفا كالأسد المغوار، وكانت صحته طيلة ثلاثة عقود سر من أسرار الدولة، حتى أنني أذكر أنه ذهب لألمانيا وأجرى جراحة وعاد ولا نعرف ما هي طبيعة هذه الجراحة.

ظهر مبارك واستقبله ابنه علاء المتهم الذي كان يتحرك في قاعة المحكمة بكل حرية، ووقف في القفص أمام والده والابن الآخر من الخلف في ترتيب مستفز كي يمنع عدسات المصورين من اقتناص صورة للوالد، واكتفى وزير الداخلية بعد هذا المشهد بتهدئة مشاعر الشعب، وقرر فتح تحقيق حول حرية حركة علاء أثناء المحاكمة، ومن قبل فتح تحقيق حول أداء الضباط النحية العسكرية للطاغية حبيب العادلي وزير الداخلية السابق وهو في قفص الاتهام، وطبعا ذهبت هذه التحقيقات سدى، ولا نعلم عنها شيء، إلا أن اللافت في مسرحية المحاكمة أن السلطات باتت عاجزة عن الحد من نشاط فلول النظام داخل قفص الاتهام، فقررت سرية المحاكمات بعد جلستين فقط، بدعوى مناقشة قضايا حساسة تمس الأمن القومي، والكل يعلم أن المسألة طبيخ في طبيخ، وأن مجرد دخول مبارك القفص تضحية غالية ليس من المفروض أن يطالب الشعب بعدها بأي مطالب.

- ثانيا: مرت أشهر ولم يتغير شيء، وثار الشعب مرة أخرى في ميدان التحرير، فقام رئيس الوزراء بالاستجابة للموجة الشعبية وغير الوزراء والمحافظين ثم مر الشهر تلو الشهر ولم نرى شيئا إيجابيا يذكر، اللهم إلا بعض الرتوش البسيطة من تحسين الأجور رغم لهب الأسعار، وتخفيض ثمن حصة التموين الرمضانية إلى النصف رغم أن مكونات التموين المصري من الرداءة التي تجعله يناسب طعام الكلاب لا البشر، المهم أن الحكومة نجحت في امتصاص الموجة مرة ثانية، وعزلوا وزير وأتوا بنسخة أخرى مكررة ويبقى الحال كما هو عليه.

- ثالثا: قصة القتلى الستة من جنودنا البواسل على الحدود الإسرائيلية بنيران الغدر الصهيوني والتي كانت ستمر مر الكرام لولا اعتصام شباب الثورة الأبطال أمام السفارة الإسرائيلية بالدقي -بارك الله في سعيهم وخطواتهم-، الأمر الذي حرك القيادة واجتمع مجلس الوزراء طيلة أربعة ساعات -تصوروا أربع ساعات- للخروج برد يرضي الشوار في المقام الأول وليس يحافظ على كرامة مصر أساسا، ولكن كما يقولون:

«تمخض الجبل فولد فأرا» وحتى لم تستطع القيادة سحب السفير المصري من تل أبيب، وأذكر أنه خلال التظاهرة الرائعة أمام السفارة الإسرائيلية بالدقي خرج لواء من قادة الشرطة العسكرية وامتطى مدرعة وأخذ يخدر المشاعر ويطلب منهم التروي والتحلي بالصبر وسياسة ضبط النفس ... وغيرها من المسكنات التي تعودت الحكومة على استخدامها، لكن الثوار الشرفاء هتفوا به أن ينزل، ونزل سيادة اللواء خالي الوفاض في منظر لا يحسده عليه أحد، فبوركت يا أردوغان الذي وقفت في حادثة السفينة مرمرة كالأسد الحقيقي تنافح عن دماء شعبك بكل شرف.

من خلال جولاتي الميدانية، وحواراتي مع كافة أطراف الشعب من رئيس البنك إلى الموظفين في كافة القطاعات الحكومية إلى رجل الشارع البسيط، وحتى سائقي التاكسي الذين أركب معهم، أجمع الجميع أنه لن يتغير شيء، والمتفائل منهم قال لي أننا نحتاج لعشر سنوات على الأقل لكي تنهض مصر، وذلك ببساطة أننا وإن كنا قطعنا رأس الأفعى، فمازال الجسد ينبض ويتحرك، والفساد متشعب في كافة أجهزة الدولة لدرجة لا يحدها حد.

وهكذا نجح النظام الحالي في تسريب طيف من اليأس في النفوس، وهو المطلوب في المرحلة الحالية، لكن بقيت المعضلة التي تبحث القيادة عن حل لها، وهي كيف توقف الثورات والمراجعات الشعبية لكل المواقف الهزيلة للحكومة، وهم يراهنون على عامل الوقت والزمن، خاصة وأن قدرة الثوار على التجمهر لا بد وأن تفتر تدريجيا، وبالأخص إذا تبعها فشل في تحقيق النتائج المرجوة من قبل القوى الثورية كما حدث في المواقف التي ذكرناها، فمسرحية محاكمة مبارك مستمرة بسخافاتهما، وتغير الوزراء والمحافظين لم يأتي بجديد، ومعاناة المواطن كما هي بل في ازدياد، والسفير المصري لم يسحب من إسرائيل ...

الرهان فعلا على دغدغة المشاعر، حتى إذا فترت الهمم وضعف اللهجة الثورية والقدرة على التجمع التظاهري ممكن تدخل الجهات الأمنية لفض الاعتصامات البسيطة تحت أي دعوي من الإخلال بأمن البلد، أو ضبط كمية من السلاح مع المعتصمين أو غيرها من المبررات المعروفة لدى الجميع.

إن من أكبر المشاكل التي سببها النظام السابق أنه ما كان يصعد مسئولا رفيع المستوى إلا بقرار أمني، وهذا يعني أنه لو كان من مرتادي المساجد، أو صاحب آراء إصلاحية لا تروق للنظام، أو غيرها من النواحي الإيجابية التي من الممكن أن تعري الطغمة الحاكمة، فهذا لا يصعد، وبالتالي خلت الساحة للوصوليين والمنتفعين وأصحاب الصفقات المشبوهة، وهم الآن من يتصدروا غالبا الواجهة السياسية في مصر، وهم للأسف من يتم اختيار القيادة الجديدة منهم، وأظن أنها المعضلة الكبرى، فما سمعنا أبدا عن وجوه جديدة لها تاريخ مهني نظيف، أو أفكار ابتكارية راقية، لكنه إما مستشار سابق أو لواء متقاعد أو ..أو.. ممن تربوا وتغذوا على موائد النظام البائد، ورضعوا من لبنه الفاسد، ونبتت لحومهم من سحت ماله، وممن لا يفهمون أبجديات الإدارة الناجحة ولا فقه المرحلة الحالية والمقبلة.

وللأسف أستطيع أن أقول أن النظام السابق يستنسخ نفسه من جديد، ويعول على دغدغة المشاعر حتى يستطيع التمكن منها واستيعابها بل وقنصها، فلا تفكر في المراجعة الثورية ولا تستطيع تجميع نفسها مرة أخرى لكي تراقب عمل هذا النظام.

بسم الله الرحمن الرحيم

سجن مبارك والخطوط الحمراء

تمر مصر بمرحلة من المخاض الثوري لم تشدها من قبل، وحالة من الحراك السياسي تستحوذ على كافة أطراف الشعب على غير العادة، والحديث عن الثورة والثورة المضادة ينتشر في كل المنتديات، خاصة وأن المرحلة الأخيرة للثورة والمتمثلة في اختيار رئيس للجمهورية صارت المرحلة الأكثر سخونة، والأشد ضراوة لاعتبارات عديدة، من أهمها: أن رموز النظام السابق بدءوا يستوعبون الصدمة، وابتأوا أكثر ترتيباً وإنفاقاً بل واحترافية في مواجهة الثورة الشعبية، والأمر الثاني: أن شعب مصر -بل والأمة العربية قاطبة- دأب على اعتبار أن الدولة كلها مختزلة في شخص واحد هو رئيسها، فهو الذي يملك مفاتيح اللعبة السياسية بأجمعها، رغم الحديث الإعلامي والرسمي عن الدستور ودولة المؤسسات وغير من المصطلحات الديكورية التي لا تسمن ولا تغني من جوع في مخيلة القاعدة الشعبية العريضة.

ورغم أن فلول النظام السابق خسروا أمام الموجة الشعبية الثورية العديد من النقاط الهامة في العملية السياسية، إلا أنهم متواجدون بصورة لافتة، ويمارسون ثورة مضادة لا تخفى على جموع الشعب، بدأ من التراخي الأمني ومرورا بالآزمات الاقتصادية المفتعلة، وانتهاء بترشيح ثلاثة من رموزهم لسباق الرئاسة، وتكريس عدد لا يستهان به من الإعلاميين والقنوات الفضائية والصحف الموالية لتدعيم حملتهم الإعلامية.

في وسط هذا الضجيج السياسي يبدو سؤال في الأفق يوضح إلى أي مدى وصلت إليه قوة الثورة المضادة، ومقدار تأثيرها وتواجدها .. هذا السؤال هو: أين يوجد حسني مبارك الآن؟ ولماذا يظل قابع في المستشفى العالمي بمصر ولم يرحل إلى سجن طره؟ بل لماذا اختفى الموضوع تماماً من كافة الساحات الإعلامية والحكومية وصار لا يتناوله أحد لا من المعارضين ولا المواليين؟ رغم أنه من بضعة أشهر كان هذا الموضوع مستحوذاً على الخريطة السياسية المصرية، وتحت الضغط

الشعبي والثوري رضخت الحكومة الحالية وتم أخذ القرار بترحيل مبارك لمستشفى سجن طره بعد تجهيزها لاستقباله، بل لقد أرسل مجلس الشعب المصري لجنة لمتابعة سير تجديدات المستشفى.

بالطبع لا يمكن أن يدعي أحد أن هناك العديد من الأجندات السياسية الهامة والخطيرة قد طفت على سطح الحياة السياسية المصرية وجذبت أضواء الحراك السياسي كله، حتى صارت هذه القضية من نافلة الأمور.. بالطبع هذا تحليل أو تبرير ساذج، لأن الكل يعلم أن بعد قيام الثورة فتحت الكثير من الأجندات في وقت واحد، والكل يتناولها ويتعاطى معها في نفس الوقت، سواء على الصعيد الأمني أو الاقتصادي أو التشريعي أو غيره الكثير.

لكن اختفاء هذا الملف بهذه الصورة المريبة، وتنازل كافة الأطياف عن الحديث عنه أو التطرق إليه، يوضح بجلاء مدى قوة وسيطرة فلول النظام السابق وقادة الثورة المضادة على المشهد السياسي بمصر، ولو من وراء ستار كما هو ملاحظ.

إن الحقيقة التي تبدو أمام النظرة المتفحصة أن فلول النظام السابق أمام الثورة الشعبية العارمة قد استطاعوا خوض جولات لا يستهان بها مع الثوار ومؤسساتهم، منها اصطناع أزمات خانقة للشعب المصري كي يتحسر الناس على أيام النظام البائد، هذا فضلا عن خروج الأجانب الذين انخرطوا في جمعيات مشبوهة رغما عن أنف الجميع، بل وحماية المستشار الذي سهل لهم الرؤية القانونية لخروجهم، ولا ننسى تهمة تلفيق الجنسية الأمريكية لوالدة مرشح الرئاسة حازم أبو إسماعيل، مع تحييد دور مجلس الشعب وترك أعضائه ينبحون دون داعي ولا مجيب، بل والتهديد بحل البرلمان إذا لزم الأمر، وأخيرا محاولة تهميش قانون العزل السياسي الذي اتخذه المجلس أخيرا لمنع رموز النظام السابق من ممارسة الحياة السياسية.

محصلة الأمر أن فلول النظام السابق متواجدون على أرض الواقع، ويقاثلون بشراسة وإن كانت في الخفاء، ويبدو حجم قوتهم الحقيقية في المحطة الأخيرة، حيث يبدلون الغالي والرخيص من أجل أن لا يتذوقوا طعم الهزيمة.

وهذا بالتحديد مضمون الإجابة عن سؤالنا عن عدم وصول مبارك للسجن، لأنها المحطة الأخيرة التي وصل إليها الفلول بعد هزيمتهم في منع محاكمته ثم في الحيلولة دون دخوله قفص المتهمين، مروراً بتأجيل النطق بالحكم من أجل تجميد أو تبريد القضية، لكن لو وصل الأمر إلى حد دخوله السجن، فهذا خط أحمر لا يمكن بأي حال تجاوزه، ولذلك لا نستبعد أن يكون الفلول قد هددوا كل المنخرطين في هذا الملف بالتصفية الجسدية، خاصة وأن هذا سهل وميسور في ظل التراخي الأمني الحالي، وهو الأمر الذي آثر معه الجميع الصمت حتى تنجلي الأمور ويكون لهم جولات أخرى في هذه القضية الشائكة.

إن محنة مصر الآن في هذا الطابور الخامس المتمكن من مفاصل الدولة، والذي لا يتورع عن فعل أي شيء في سبيل تواجده واستمراره، حتى لو اضطر لهدم جداران المعبد على الجميع فسيكون بتقديره أحد خيارين أحلاهما مر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مهزلة محاكمة مبارك ..

شكرا للأمير الكويت!!

في الجلسة الثالثة لمحاكمة طاغية مصر حدثت في قاعة المحكمة مشادة
وصدام بين أنصار الرئيس -وقل إن شئت أجراء النظام السابق- وبعض أسر الشهداء،
ووصل الأمر للعراك ووقوع إصابات، الأمر الذي اضطر معه القاضي لرفع الجلسة
لمدة ٢٠ دقيقة للمداولة.

والحقيقة أنا في أشد الدهشة من هذه المهزلة التي تتم في أجواء ثورية استنشقت
فيه جموع المصريين الغلابة نسيم الحرية بعد عقود مديدة من الكبت والقهر.
ودوما تتناوبني أسئلة وتلح على خاطري، مثلي مثل أي مواطن عادي:
هل مبارك يحتاج لمحاكمة؟!

وهل لطاغية نبذه شعبه في تظاهرة جماعية محتاج لأدلة إدانة أكثر من هذا بعد
هذا الإجماع الشعبي العارم؟!

وهل كل أرصدته في بنوك الغرب والتي تحاول حكومة الثورة استردادها ليست
بدليل إدانة حتى على الفساد المالي وتبديد ثروات الأمة، واستغلال الوظيفة لمنافع
شخصية؟!

وهل الألف شهيد الذين سقطوا ثمننا لحرية هذا الشعب غير كافين كدليل إدانة
آخر، هذا فضلا عن الجرحى والشكلى؟!

وهل الفساد الذي طال مصر في كافة الأصعدة الاقتصادية والإنتاجية والزراعية
والإدارية والتعليمية والصحية والتخطيطية والعسكرية والسياسية ... ليس بدليل إدانة
على سوء استخدام السلطة والإدارة؟.

هل طغمة الفساد التي تحاكم مع هذا الطاغية ليست بدليل إدانة آخر على انتقاء
مثل هؤلاء الأشرار وتمكينهم من رقاب هذا الشعب العريق؟!

وهل ثروة مبارك التي بلغت مليارين والتي أوصى بها مؤخرا لأحفاده ليست بدليل إدانة آخر في دولة يعيش أكثر من ٤٠% من سكانه تحت خط الفقر، وأغلبهم لا يعرف كم صفر يوضع أمام واحد المليار؟!

كل هذا وهيئة القضاء تحاكم هذا الطاغية وتناقش أدلة الإدانة وتستمع للمحامين وشهود الإثبات وغيرها من الإجراءات السخيفة والمملة في مسرحية هذلية لا تنطلي على العامي قبل المثقف.

ومن متى كان في مصر عدل وقضاء، والكل يعرف أن القضايا تلبث في المحاكم لعشرات السنين، وقد يتم إصدار فيها أحكام غالبا لا تنفذ، وهناك قضايا مات الخصوم فيها ومازال الورثة في ساحات المحاكم لم يحصلوا على شيء .. أنا شخصا دخلت المحكمة في قضية ميراث منذ خمس سنوات وحتى الآن لم نأخذ أي خطوة إيجابية .. خمس سنوات مضت يا سادة ونحن مثل أول يوم دخلنا فيه المحكمة!!

ومتى كان المواطن العادي في مصر يدخل قسم الشرطة فيحصل على حقوقه، والكل يعرف أن الغلبة في أقسام الشرطة المصرية لمن يدفع أكثر.

متى كان في مصر عدل، والكل يعرف -وليست بالأسرار- أن سيف القانون كان مسلطا على رقاب الغلبة فقط، وكان الباشاوات من أصحاب الثروة أو السلطة يقضون أعمالهم بالهاتف، نعم والله الذي لا إلا إلا هو .. يستخرجون رخصة السيارة وتصاريح البناء وتخليص سائر المصالح بالهاتف، أما الطواير في كافة الدواوين فهي للغلبة المساكين من كافة طبقات الشعب الكادحين.

الآن تنشده مصر العدل وتبحث عن مفرداته، الآن نجوب خضم الأدلة والمرافعات والشهود والأحراز.

ثم تكتمل فصول المهزلة بقبول هيئة المحكمة لعشرة محامين كويتيين قدموا للدفاع عن طاغية مصر في استفزاز واضح لمشاعر المصريين المطحونين، وكان تبريرهم لهذه الفعلة النكراء -التي سيلعنهم التاريخ بها- أنهم جاءوا لرد الجميل للطاغية الذي وقف بجوارهم في معركة التحرير!!

الله الله على العجب العجاب .. ردوا الجميل وجاءوا ليزوروا الحق ويشوهوا
الوقائع ويبحثوا عن ثغرات قانونية لكي يفلت الطاغية من العقاب.. في أي شرع هذا
المنطق؟! وفي أي دولة؟! وفي أي زمان يكون هذا؟!

لكنني في هذه المعمعة أتقدم بالشكر لأمير الكويت المفدى!! فالكل يعلم أنه
وراء هذه الحفنة من محامي الشر، وأن أبناء الكويت الشرفاء بريئون من هذا العار،
وأن أمير الكويت هو من أمر ومول واستأجر هذه الطغمة الموعلة في الإفك .. أمير
الكويت تمر الأحداث أمامه وهو لا يصدق ما يحدث، ويعز عليه أن يسقط فرد من
طغاة العرب، ولو كان عنده حكومة نزيهة تحاسبه لأخذت على يديه، وألغت مؤامراته،
بل وحاسبته أشد الحساب على مصروفاته العيشية التي أطلق فيها يده يمينا وشمالا دون
حسيب ولا رقيب!!

وأقولها صراحة للأمير المفدى!! أن ربيع الثورات العربية قادم إلى بلادكم لا
محالة، وساعتها لن تستطيع أياديكم السخية أن توقفه، لأن الحرية -يا سيادة الأمير-
لا تشتري ولو بكل أموال الأرض، أما نحن فلن نرسل فريق محامين للدفاع عنكم لأنه
ساعتها سنكون قد أكملنا غطاء الحرية ولا مكان بيننا لدخلاء ولا عملاء إن شاء الله
تعالى.

لكنني أتوجه بصريح القول للجميع، لحكومة الثورة المصرية التي تدير هذه
المحاكمات الهزلية، ولهيئة القضاء التي توهم الكل أنها تسهر الليالي وتصل النهار
بالليل من أجل محاكمات عادلة ونزيهة، وأخيرا لأنصار وفلول النظام السابق.. الشعب
المصري الثوري الواعي الشريف ينتظر اكتمال هذه المسرحية الهزلية، ولن يرضى بأقل
من عقوبة رادعة لهذا الطاغية لا تقل عن الإعدام.

فحاكموا من شئتم، وناقشوا الأدلة كما يحلو لكم، واستدعوا للطغاة كل محامي
الكويت بل والدول العربية، لكن لا بد أن تعلموا أن الشعب قد أصدر الحكم مسبقا،
وهو حكم عادل ونزيه وقليل أمام دماء الشهداء الأبرار.. إذا فلا تشغلوا أنفسكم
بتفاصيل تلك المحاكمة، ولكن فكروا جيدا ماذا ستقولون للشعب بعد هذه المهزلة.

هل أدلة الإدانة غير كافية، أو هل هيئة الدفاع كانت بارعة في تفنيدها، أو ...
أو.. كل هذا لن ينطلي على الشعب الواعي، وإن كنتم تراهنون على موت مبارك قبل
نهاية المحاكمة التي من المفترض أنها ستطول، فهل ستطول أيضا محاكمة جمال
وعلاء والعادلي وعز وسائر عصابة الأشرار؟؟؟؟

بسم الله الرحمن الرحيم

هل سيعدم مبارك؟

في حين يرى البعض مرافعة النيابة في يومها الأول من محاكمة المخلوع كانت عبارة عن بلاغات لغوية وإنشائية دون أدلة قاطعة ضد المتهمين أو حديث قانوني كاف. إلا أنه ظهرت في الأيام التالية بصورة جلية حالة التناغم بين فريق محققي النيابة العامة، والانضباط التام في توزيع الأدوار، وعرض الجوانب القانونية ووقائع القضية، وكيفية توصل النيابة إلى ارتكاب المتهمين لما هو مسند إليهم من اتهامات وعرضها على المحكمة وتكييفها قانوناً، مع الحرص على توضيح المسائل القانونية التقنية بإسهاب، والأدلة التي استندت إليها النيابة في القضية بغية الوصول إلى حكم بإدانة المتهمين عما اقترفوه من جرائم.

وبدت الدهشة والمفاجأة واضحين على وجوه الحاضرين في الجلسة لدى عرض النيابة العامة للعديد من أدلة الإدانة، في ظل صعوبات ومخاطر تعرض لها ممثلو النيابة، تتعلق بعدم تلقيهم أية تحريات من جانب الجهات الشرطية والأمنية المختصة، وامتناع بعضها عن تقديم يد العون، على نحو اضطرهم إلى القيام بأعمال التحري بأنفسهم، وتعرض حياتهم للخطر، واستماعهم لما يزيد عن ألفي شاهد في تلك الأحداث، ودراسة وتحقيق آلاف الأوراق والمستندات.

ومن المقرر أن تستأنف المحاكمة سريعاً، حيث سيبدأ الدفاع عن الضحايا ثم عن المتهمين الذي قد يستغرق أسبوعاً آخر، ثم ستحجز بعدها القضية للنطق بالحكم.

في حين قال المحامي الكويتي (فيصل العنتيبي)، رئيس فريق الدفاع الكويتي عن الرئيس السابق مبارك: إن مرافعة النيابة في قضية قتل المتظاهرين والتي استمرت لثلاثة أيام ماضية «منحتهم أدلة البراءة التي سيستندون عليها في مرافعتهم»، مؤكداً ثقته في براءة مبارك ونجليه من التهم المنسوبة إليهم في القضية. وأضاف في تصريحات صحفية قبيل مغادرته القاهرة، إن الأدلة التي قدمتها النيابة لإدانة المتهمين «لا تضم أدلة لإدانة مبارك ونجليه، واحتوت على كلام إنشائي

وليست أدلة اتهام»، مشيراً إلى أن الفيديوهات التي عرضتها خلال الجلسة أظهرت المتظاهرين وهم يلقون الحجارة على رجال الشرطة، وهو ما يمنح الشرطة حق الدفاع الشرعي عن النفس ويتناقض مع وصف المظاهرات بالسلمية، كما أن النيابة -بحسب المحامي الكويتي- قدمت طلبات قالت إنها فوارغ لأسلحة ليزر أخضر، وهو كلام غير صحيح «لأنه لا يوجد في العالم ما يسمى بالليزر الأخضر».

وحول الاتهامات بتصدير الغاز لإسرائيل قال: إن السلطات المخولة لرئيس الجمهورية تمنحه الحق في إصدار قرار بيع بالأمر المباشر، فضلاً عن أنه أمر بتصدير الغاز لإسرائيل حتى يتمكن من تصديره لقطاع غزة، وهو أمر له بعد سياسي وفي إطار صلاحياته كرئيس للجمهورية، بالإضافة إلى أن التعاقد تم بسعر أعلى من السعر العالمي وقتها.

وفيما يتعلق بقضية استغلال منصبه والتربح من المال العام أكد (العنبي) أن القضية لا تشمل سوى الفيلات الموجودة في مدينة شرم الشيخ فحسب، وليس لها علاقة بقضية الأرصادة في البنوك الخارجية أو العقارات خارج مصر، وأن هناك بعض الأدلة التي سيتم تقديمها للمحكمة تثبت أن المتهمين لم يستغلوا مناصبهم وأن هناك معلومات خاطئة تم تقديمها للمحكمة.

وأوضح أن مساحات الفيلات تبلغ ٨٥٠ متراً وليس ١٥ ألف متر، بالإضافة إلى أن المقارنة بين أسعار تنفيذها وقت بنائها والأسعار في الوقت الحالي غير عادلة، مشيراً إلى أن فريق الدفاع الكويتي حصل على أوراق إنشاء فيلات مجاورة في نفس الموقع والتوقيت بأسعار مشابهة للأسعار التي تم البناء بها لمبارك وأسرته، بل إن عملية البناء لمبارك تمت بزيادة تتراوح بين ٥٠ و ٧٠ ألف جنيه.

عموما مغالطات المحامي الكويتي أتفه من أن تغند فالمظاهرات كانت سلمية لم يحمل المصريون فيها أي سلاح، وإن كان المحامي الكويتي يعتبر الحجارة من الأسلحة فهذه مراوغة خبيثة، أما الليزر الأخضر معروف عالمياً وله استخدامات في عدة مجالات طبية وعسكرية حربية، وقد بدا واضحاً استعماله في الفترة في عام ٢٠٠٥ في الحرب ضد العراق.

أما اتفاقية تصدير الغاز المصري لإسرائيل فهي اتفاقية وقعتها حكومة مصر عام ٢٠٠٥م مع إسرائيل تقضي بالتصدير إليها ١.٧ مليار متر مكعب سنويا من الغاز الطبيعي لمدة ٢٠ عاما، بثمن يتراوح بين ٧٠ سنتا و ١.٥ دولار للمليون وحدة حرارية، بينما يصل سعر التكلفة ٢.٦٥ دولار، ويمنع الاتفاق تغيير الأسعار لمدة ١٥ سنة، كما حصلت شركة الغاز الإسرائيلية على إعفاء ضريبي من الحكومة المصرية لمدة ٣ سنوات من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠٠٨م.

عموما نعود إلى سؤالنا: هل سيعدم مبارك؟ وأعتقد أن التمهيد الذي بدأنا به هذه المقالة يحمل في طياته الإجابة، فما جاء في مرافعة النيابة على لسان المستشار مصطفى سليمان «أن أجهزة الدولة وبينها وزارة الداخلية وجهاز الأمن القومي لم تتعاون في التحقيقات»، يثبت بالأدلة الدامغة أن فلول مبارك مازال لهم نوع من السلطة والسطوة، وهم يرفضون رفضا تاما مجرد أحداث المحاكمة فضلا عن إعدام قائدهم، لكن في نفس الوقت هناك على الجانب الآخر رفض شعبي عارم على براءة المخلوع، بل نستطيع أن نقول أن الشعب قد أصدر حكمه مسبقا، ولا يرضى بأحداث هذه المحاكمة الهزلية، وأنه لم تنطل على جموع الجماهير مراوغات العيسوي وزير الداخلية السابق في عدم نقل مبارك من شرم الشيخ وإيداعه ليمان طره، فضلا عن فتور عصام شرف، فأقالتاهما الإرادة الجماهيرية في طرفة عين. أضف إلى هذا أن ٢٥ يناير على الأبواب، وهذه الذكرى السنوية الأولى للثورة المصرية حبلى بأحداث كثيرة، من أهمها مناقشة كشف الحساب لما تم خلال عام، وهذا الذي حدا بتسريع وتيرة المحاكمات.

والمحصلة أن هنالك رفض عام لدى المؤسسة الرسمية في محاكمة مبارك وإعدامه، يقابله موجه شعبية عارمة لها قدرة لا يستهان بها لسحق أي مخطط مشبوه، لذلك كان من الأسلم لصناع القرار الاستباق بإصدار حكم بإعدام مبارك، تفاديا لانتفاضة شعبية في ذكرى الثورة المصرية، ثم يترك المجال بعد هذا للاستئناف، ثم النقض، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وبذلك يمكن الظهور بمظهر الجدية أمام الجموع الشعبية، وتفادي إعدام المخلوع، حتى تسليم البلد لسلطة مدنية ترى فيه

أمرها، وهكذا تتفادى القيادة الحالية المأزق وترمي بالكرة في ملعب الغير، وهذا أقصى ما يمكن تقديمه لرجل لفظه شعبه، وتكن له القيادة الحالية نوعا من الولاء والتعاطف ولو بدرجات مختلفة بين أفرادها.

بسم الله الرحمن الرحيم

فريد الديب ليس ديبا

في مرافعته للدفاع عن المخلوع مبارك، صال وجال المحامي «فريد الديب»، وأرغى وأزبد، وحاول الاستفادة من أقصى قدراته في المكر والالتفاف حول الأحداث والنصوص القانونية، متحديا ثلاثين سنة من الذل والهوان، في مرافعة صمت آذان الجماهير عن سماعها والإنصات لحديثاتها.

ربما يلتبس البعض العذر لفريد الديب في دفاعه عن المخلوع، فبريق ٦٠ مليون جنيه ثمن تلك المرافعة كفيلة بأن يغير الكثيرون من مواقفهم، لكن هكذا عودنا هذا المحامي المتميز على أن يختم نبوغه بكارثة، فلقد تنكر للقرآن الذي حفظه في الصغر وتاريخه القضائي اللامع، وأنهى حياته القضائية فيما يعرف بمذبحة القضاة عام ١٩٦٩، وتم استبعاده و١٢٧ قاضياً وعضواً للنيابة.

وفي سلك المحاماة كان يلقب بمحامي المشاهير، حيث تولى كثيراً من القضايا الشهيرة كقضية الجاسوس الإسرائيلي عزام عزام وقضية رجل الأعمال والسياسي المشهور هشام طلعت مصطفى، وقضية سعد الدين إبراهيم مدير مركز ابن خلدون .. وغيرها الكثير.

لكن الحظ ما كان حليفا دائما للديب، فلقد خسر العديد من القضايا منها قضية الجاسوس عزام عزام ١٩٩٧، كما خسر قضية الدكتور أيمن نور، وقضية أيمن عبد المنعم، مدير مكتب وزير الثقافة لقطاع الآثار، وقضية محمد الوكيل، رئيس قطاع الأخبار بالتليفزيون المصري.

لكن ثمة حقائق على الأرض غابت عن المحامي النابهة كان من المفروض أن يضعها في حساباته قبل أن يقدم على هذا العمل التاريخي الكفيل بتلويث سمعته أبد الآبدين:

– أولها: أن هذه المحاكمة قد اكتملت فصولها واتضحت معالمها منذ قيام ثورة ٢٥ يناير المباركة، حيث حكم فيها الشعب حكمه بإقصاء مبارك، والمطالبة بإعدامه

هو وأزلامه، وحتى لو جمع الديب كل أدلة الأرض على براءته فلن يصدق أحد، ولو حاول الاستفادة من ثغرات القانون فلن يستطيع أن يبرد نار الشكلى والمحرومين والمشردين.

- ثانيا: أن الكل يعرف جيدا أن مصرا ليس فيها قضاء، وإلا خبرونا يا من لا يعجبكم كلامي عن ملايين القضايا المتراكمة في قاعات المحاكم من عشرات السنين ولم يبت فيها بحكم قاطع، وخبرونا عن أقسام الشرطة التي تشتري فيها ذمة أمين الشرطة بعشرة جنيهاً ليحرر محضرا يجعل المظلوم ظالما، ومتى كانت أقسام الشرطة تجلب حقا أو تدفع ظلما، وأنا أدعو العالم أجمع لزيارة غرفة الحجز بأي قسم شرطة بمصر، هذه الغرفة الغير آدمية بالمرّة، والشهيرة بالجرب والآفات الجلدية، فضلا عن الإمبراطوريات الإجرامية التي بداخلها، ولعل بعض أفلام السينما المصرية تعرضت لبعض من هذه المهازل.

في مصر القانون يطبق على الغلبة فقط، وما سمعنا أن المحكمة أنصفت المظلومين بحسم وسرعة، أو جلبت حق المهضومين على الوجه الذي يرضي رب العالمين، لذلك أنا أتوقع كما يتوقع الملايين غيري أن تعاد هذه المحاكمات الهزلية بعد استقرار الأوضاع، وهذا ما عبر عنه الكثير من أعضاء مجلس الشعب الفضلاء، لأن لا أحد يقتنع أبدا بما يجري من مهازل في هذه المحكمة.

- ثالثا: أنا كمصري لم أر يوما تطبيق للقاعدة القانونية «المتهم بريء حتى تثبت إدانته» إلا في هذه المحكمة العبثية، فلصوص الشعب في ليما ن طره صاروا كالقطط السمان، وينزلون من سيارات الداخلية للمحاكمة وهم في كامل لياقتهم وأناقتهم، أما الطاغية الممثل فلقد سمحوا له بسرير نقال، وهو الذي كان مرضه إبان حكمه من أسرار الدولة، ثم ها هو ينقل في طائرة خاصة ويقبع في أفخم المشافي المصرية وهو الذي في عنقه دماء ألف متظاهر وسيرته مفعمة بالفساد والاستبداد، وهذه المعاملة الحنونة لا يجدها أصغر مذنب في بر مصر كله.. فهل بعد كل هذه التصرفات سيقنع الشعب بجديده هذه المحاكمة وصدق الأحكام فيها، مع أن المثل الشعبي المصري يقول: أول القصيدة كفر.

- رابعا: من قتل المتظاهرين لو صدق الديب في أدلته التي تنفي التهمة عن المخلوع، رغم أن الكل يعرف أن الحكومة المصرية كانت مختزلة في شخص واحد فقط، هو «حسني مبارك» فهو كل شيء، وبيده زمام كل شيء، ولا يجرؤ فرد مهما كان موقعه على إطلاق رصاصة واحدة دون أوامر عليا من سيادته.

- خامسا: هل من كياسة الديب أن يتمادى في السباحة عكس التيار وصدام الرأي الشعبي العام وإطلاق العنان لنفسه بالإشادة بالمخلوع ووصفه بالنسر الجريح، وحثه على الصبر كما صبر النبي -صلى الله عليه وسلم- على أهل مكة.

ومن سخيף القول زعم الديب بطلان المحاكمة حيث قال: «إن مبارك لا يزال الرئيس الفعلي للبلاد وإن أمر التنحي غير دستوري لأنه لم يقدم استقالة مكتوبة حتى الآن»، وأضاف: «بناء عليه فإن إجراءات المحاكمة كلها باطلة، حيث إن محاكمة رئيس الجمهورية تكون أمام محكمة خاصة نص عليها دستور ١٩٧١، مكونة من ١٢ عضواً، بينهم ٦ من أعضاء مجلس الشعب، ٦ من أقدم المستشارين بمحكمتي الاستئناف والنقض، وإن محاكم الجنايات غير مختصة ولائحيا بمحاكمة رئيس الجمهورية». الآن ظهرت نصوص القانون والدستور، لكن أين باقي النصوص التي تحاكم سارقي ثروات الشعب، ويبيع موارده بأبخس الأثمان، وضياع الأمة المصرية طيلة ثلاثين سنة في غياهب الجور والظلم، وما هو رأي الدستور في الطغاة الذين تخلعهم شعوبهم، وهل هناك قضية في التاريخ جمعت أكثر من ثمانين مليون شاهد على فظاعة مبارك وحاشية.. هل يحسب الديب أن الشكليات القضائية كفيلا بأن تهدم القضية رأسا على عقب.. المشكلة في الديب نفسه الذي يراوغ بالالتفاف حول محكمة الشعب ورغبات الجماهير التي كتبت هذا الدستور، ولا يهم الجموع الغفيرة كثيرا هذه البروتوكولات، ولا شكل المحكمة التي تحاكم الطاغية سواء مدنية أم عسكرية.

- سادسا: ردا على سؤال الديب بشأن منع وسائل الإعلام من تصوير المحاكم، اعتبر الديب أن وسائل الإعلام المصرية «يجب أن تعاقب بالإعدام لأنها لم تعد أداة إعلامية، وإنما أداة لنشر الأكاذيب». وهذا ما دفع الديب إلى الهرب من مصر خوفا على نفسه هو من الإعدام الشعبي، حيث تلقى الديب عدة تهديدات بالقتل ورسائل

على هاتفه المحمول وخطابات على منزله بالمنيل، تؤكد أن حياته ستنتهي بعد مرافعته دفاعاً عن مبارك و مطالبته المحكمة بالبراءة.

وكان اللواء وجيه عفيفي قد تقدم بمذكرة إلى سامح عاشور نقيب المحامين يطالبه فيها بدعوة الجمعية العمومية للنقابة للانعقاد بشكل طارئ لإسقاط عضوية فريد الديب محامي الرئيس المخلوع.

وأوضح عفيفي -مدير المركزي العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية- في مذكرته أن الديب أضرب بسمعة النقابة وكرامتها أمام المجتمع حيث حوّل صرح المحاماة العظيم من الدفاع عن المظلومين إلى الدفاع عن الطغاة.

وفي النهاية أتمنى من الله تعالى أن تكون مرافعة الديب آخر المهازل التي تشهدها مصر، خاصة وأن مجلس شعبها الجديد من الروعة والنزاهة ما يبهر كل المصريين الشرفاء، فيألى الأمام يا مصر، فأنتي تولدي من جديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم الكبير لا يهان ولكن!!

من أبرز تبعات الثورة المصرية تلك «الغوائية» التي انتابت بعض أطراف الشعب المصري .. ففي ظل التراخي الأمني ظهرت أعمال البلطجة، وفهم البعض الحرية بصورة خاطئة فراح يصرح بأقوال وآراء تصطدم مع ثوابتنا وقيمنا بل وعقيدتنا الإسلامية الصافية، وفي ظل مؤامرة «إجهاض الثورة» راحت طائفة تكيل كل الكيد والحق للتيارات الإسلامية من إخوان وسلفية، وتدعم ملف الفتنة الطائفية.

وفي تقديري الشخص أن كل ما وقع وسيقع من أحداث مشابهة ليس بغريبا بل هو إفرازا طبيعيا لإخفاق العملية التربوية طيلة عقود وعقود خلت، ودائما كنت أقول أن العكوف في مدارسنا على دراسة الرياضيات والأحياء والفيزياء .. لا ينتج إنسانا جديرا بالإنسانية، بل هي مناهج أقرب ما تكون وظيفتها صناعة فرد «مهني» قادر على التكسب والتربح في معترك الحياة، أما بناء الإنسان فهذه عملية مغايرة تماما لما تتبناه المناهج التعليمية المادية الحالية .. إنها عملية قوامها غرس الفضائل، وصقل الشخصية، والتدريب على القيم بالممارسة العملية الواقعية عن طريق القدوات والتطبيقات النافعة في كافة مناحي الحياة.

ومن أسخف ما وقع من هذه الأحداث الغريبة بعد الثورة، قيام شرذمة من أنصار النظام السابق (٨٠٠ فرد تقريبا) بالتظاهر مؤخرا في ميدان مصطفى محمود بقلب القاهرة، رافعين شعار «الكبير لا يهان»!! وهذا التصرف لا أملك للتعليق عليه سوى قول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه: «كلمة حق يراد بها باطل».

نعم «الكبير لا يهان» حكمة عقلانية وقولة نورانية تبنتها الشريعة الإسلامية .. يقول ابن القيم: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعبر عن أهل التقوى والطاعة والعبادة بأنهم «ذوو الهيئات» ولا عهد بهذه العبارة في كلام الله ورسوله للمطيعين المتقين، والظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسؤدد، فإن الله تعالى خصهم بنوع التكريم وتفضيل على بني جنسهم، فمن كان منهم مستورا مشهورا

بالخير حتى كبا به جواده ونبا عصب صبره وأدبل عليه شيطانه، فلا تسارع إلى تأنيبه وعقوبته، بل تقال عثرته ما لم يكن حدا من حدود الله، فإنه يتعين استيفاءه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [بدائع الفوائد، ابن القيم، ٦٦١/٣]

وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله في كتابه تبين كذب المفترى (ص: ٢٩): «واعلم . يا أخي! وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته. أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة». نعم «الكبير لا يهان» لا مشاحة في اللفظ والمعنى، إنما جوهر الأمر فيمن هو الكبير؟ .. هل الكبير من ظلم شعبه وجحد حقه في عيش كريم ورأي سديد؟! وهل الكبير من جفف ينابيع الأمة الفكرية والاقتصادية والعلمية والإنتاجية؟! .. وكى لا يتهمني أحد بالمعاداة الشخصية لرموز نظام ما، أود الإجابة على مثل هذه التساؤلات بعرض موجز عن كبراء معاصرون، قادوا أممهم للنور، وكما يقولون: «بضدها تتميز الأشياء».

رجب طيب أردوجان

كبير حقيقي -ولا نزكي على الله أحدا- بتاريخ نضالي في خدمة وطنه وأمتة الإسلامية الكبرى، تُوج بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام .. كانت البداية عام ١٩٥٤ م حيث ولد في حي «قاسم باشا» أفقر أحياء اسطنبول، لأسرة فقيرة من أصول قوقازية، ويحكى أن مدرس التربية الدينية سأل يوما الطلاب عما يستطيع أداء الصلاة في الفصل ليتسنى للطلاب أن يتعلموا منه، فرفع رجب يده، ولما قام ناوله المدرس صحيفة ليصلي عليها، فما كان من رجب إلا أن رفض أن يصلي عليها لما فيها من صور لنساء سافرات! .. دهش المعلم وأطلق عليه لقب «الشيخ رجب».

من مدرسة «الأئمة والخطباء» الدينية تخرج من الثانوية بتفوق ليلتحق بكلية الاقتصاد في «جامعة مرمره»، وبالرغم من اهتماماته المبكرة بالسياسة إلا أن كرة القدم كانت رياضته المفضلة حيث أمضى عشر سنوات لاعبا في عدة أندية!

لم تمنعه هذه النشأة المتواضعة أن يعتز بنفسه .. فقد ذكر في مناظرة تلفزيونية مع (دiniz بايكال) رئيسة الحزب الجمهوري ما نصه: «لم يكن أمامي غير بيع البطيخ والسميط في مرحلتي الابتدائية والإعدادية؛ كي أستطيع معاونة والدي وتوفير قسم من مصروفات تعليمي؛ فقد كان والدي فقيراً».

بعد التحاقه بالجيش أمره أحد الضباط حلق شاربه، حيث كان الشارب يعتبر ضد القوانين الكمالية، فرفض وتم فصله فوراً.

زواج مبارك

بدأت قصة زوجه من رؤيا رأتها (أمينة) المناضلة الإسلامية في حزب السلامة الوطني، رأت فارس أحلامها يقف خطيباً أمام الناس - وهي لم تره بعد - وبعد يوم واحد ذهبت بصحبة الكاتبة الإسلامية الأخرى (شعلة يوكسلشلىر) إلى اجتماع حزب السلامة، وإذا بها ترى الرجل الذي رآته في منامها .. رأت أوردجان .. وتزوجا بعد ذلك واستمرت الحياة بينهما حتى وصوله لسدة الحكم مشكلين ثنائياً إسلامياً جميلاً .. وأنجبا عدد من الأولاد منهم ولده (نجم الدين) سماه على اسم أستاذه (نجم الدين أربكان) من فرط إعجابه واحترامه لأستاذه، وإحدى بناته تدرس في أمريكا لعدم السماح لها بالدراسة في الجامعة بحجابها!

السياسي المحنك

بدأ اهتمامه السياسي في الخامسة عشرة من عمره (١٩٦٩م) وبدايته الفعلية كانت من خلال قيادته الجناح الشبابي المحلي لحزب «السلامة أو الخلاص الوطني» الذي أسسه (نجم الدين أربكان)، ثم أغلق الحزب وكل الأحزاب في تركيا عام ١٩٨٠ جراء انقلاب عسكري، وبعد عودة الحياة الحزبية انضم إلى حزب «الرفاه» عام ١٩٨٤ كرئيس لفرع الحزب الجديد ببلدة «بايوغلو» مسقط رأسه وهي إحدى البلدات الفقيرة في الجزء الأوربي في اسطنبول، وما لبث أن سطع نجمه في الحزب حتى أصبح رئيس فرع الحزب في اسطنبول عام ١٩٨٥ وبعدها بعام فقط أصبح عضواً في اللجنة المركزية في الحزب.

في بلدية اسطنبول

إبان رئاسته للبلدية انتشلها من ديونها التي بلغت ملياري دولار إلى أرباح واستثمارات وبنمو بلغ ٧ ٪، بفضل عبقريته ويده النظيفة وقربه من الناس لاسيما العمال ورفع أجورهم ورعايتهم صحيا واجتماعيا، وقد شهد له خصومه قبل أعدائه بنزاهته وأمانته، ورفضه الصارم لكل المغريات المادية من عمولات الشركات الغربية مغائرا لحال سابقه!

بعد توليه مقاليد البلدية خطب في الجموع، وكان مما قال: «لا يمكن أبدا أن تكونَ علمانياً ومسلماً في آنٍ واحد. إنهم دائماً يحذرون ويقولون إن العلمانية في خطر.. وأنا أقول: نعم إنها في خطر. إذا أرادتْ هذه الأمة معاداة العلمانية فلن يستطيع أحدٌ منعها. إن أمة الإسلام تنتظر بزوغ الأمة التركية الإسلامية.. وذاك سيتحقق! إن التمردَ ضد العلمانية سيبدأ».

وفي سؤال عن سر هذا النجاح الباهر والسريع أجاب قائلاً: «لدينا سلاح أنتم لا تعرفونه.. إنه الإيمان، لدينا الأخلاق الإسلامية، وأسوة رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام».

في السجن

رفع ضده المدعي عام دعوى تقول بأنه أجبج التفرقة الدينية في تركيا، وذلك بعد إلقاءه شعرا في خطاب جماهيري- وهو مميز في الإلقاء- من ديوان الشاعر التركي الإسلامي (ضياء كوكالب) الأبيات هي: مساجدنا ثكناتنا، قبابنا خوذاتنا، مآذنا حرابنا، والمصلون جنودنا، هذا الجيش المقدس يحرس ديننا.

فأصدرت المحكمة حكماً بسجنه ٤ أشهر.. وفي يوم تنفيذ الحكم توافدت الحشود إلى بيته المتواضع من أجل توديعه وأداء صلاة الجمعة معه في مسجد الفاتح، وبعد الصلاة توجه إلى السجن برفقة ٥٠٠ سيارة من الأنصار!.. وفي تلك الأثناء وهو يهيم بدخول السجن خطب خطبته الشهيرة التي حق لها أن تخلد.

لقد التفت إلى الجماهير قائلاً: «وداعاً أيها الأحباب، تهاني القلبية لأهالي اسطنبول وللشعب التركي وللعالم الإسلامي بعيد الأضحى المبارك، سأقضي وقتي خلال هذه الشهور في دراسة المشاريع التي توصل بلدي إلى أعوام الألفية الثالثة،

والتي ستكون إن شاء الله أعواماً جميلة، سأعمل بجد داخل السجن وأنتم اعملوا خارج السجن كل ما تستطيعونه، ابدلوا جهودكم لتكونوا معماريين جيدين وأطباء جيدين وحقوقيين متميزين، أنا ذاهب لتأدية واجبي واذهبوا أنتم أيضاً لتأدوا واجبكم، أستودعكم الله وأرجو أن تسامحوني وتدعوا لي بالصبر والثبات، كما أرجو أن لا يصدر منكم أي احتجاج أمام مراكز الأحزاب الأخرى، وأن تمرروا عليها بوقار وهدوء، وبدل أصوات الاحتجاج وصيحات الاستنكار المعبرة عن ألكم أظهروا رغبتكم في صناديق الاقتراع القادمة».

حزب التنمية والعدالة

بعد خروجه من السجن بأشهر قليلة قامت المحكمة الدستورية عام ١٩٩٩ بحل «حزب الفضيلة» الذي قام بديلا عن «حزب الرفاه» فانقسم الحزب إلى قسمين: قسم المحافظين، وقسم الشباب المجددين بقيادة رجب طيب أردوغان وعبد الله جول، وأسسوا حزب «التنمية والعدالة» عام ٢٠٠١ م.

خاض الحزب الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٢ وفاز بـ ٣٦٣ نائبا مشكلا بذلك أغلبية ساحقة ومحيا أحزابا عريقة إلى التقاعد!، وفي الانتخابات الأخيرة سجلت لأول مرة فوز حزب تركي بثلاث دورات متتالية، فضلا عن تسجيل الحزب لأكبر كتلة تصويتية ناخبة بلغت ٥٠ ٪ من أصوات الناخبين، وهي نسبة نادرة في العملية الديمقراطية شرقا وغربا.

مواقف لا تنسى

العلاقة بين تركيا وإسرائيل مستمرة في التدهور منذ تولي أردوغان رئاسة الحكومة التركية، فألقى مناورات «نصور الأناضول» التي كان مقرا إقامتها مع إسرائيل وإقامة المناورة مع سوريا. وعلق عليها أردوغان بقوله: «إن قرار الإلغاء احتراماً لمشاعر شعبه!».

ولا ننسى الانسحاب التاريخي لرئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان من مؤتمر «دافوس» ٢٩ يناير ٢٠٠٩ احتجاجا على عدم منحه فرصة الرد على الرئيس

الإسرائيلي (شمعون بيريز) الذي كان يدافع عن عدوان إسرائيل على غزة ، وكانت الكلمات كالتالي:

رجب طيب أردوغان: سيد (بيريز) أنت أكبر مني سناً وتحدثت، بصوت عال جداً، وأعلم جيداً أن ارتفاع صوتك بهذا الشكل هو تعبير عن نفسية متهم، لكنني لن أتحدث بصوت عالٍ مثلك، وأعلم هذا جيداً. عندما نأتي للحديث عن القتل أنتم تعرفون القتل جيداً، أنا أعلم جيداً كيف قتلتم الأطفال على الشواطئ في غزة، في إسرائيل اثنان من رؤساء حكوماتكم قالوا لي واحداً من أهم التصريحات، وهو «عندما ندخل إلى الأراضي الفلسطينية على ظهر دبابتنا نشعر بسعادة غريبة» عندكم رؤساء حكومات يقولون هذا الكلام، وأستطيع أن أعطيك أسماء هؤلاء لا تقلقوا، وأنا أؤمن الذين صفقوا لهذا الظلم لأن التصفيق لقتلة الأطفال وقتلة البشر باعتقادي هو جريمة إنسانية أخرى. في هذا المكان لا نستطيع إغفال الحقيقة، أنا دونت الكثير من النقاط لكن ليس لدي الفرصة لأجيب عنها، فقط سأتحدث عن نقطتين.

(مقاطعة): سيدي رئيس الوزراء لا نستطيع العودة إلى البداية لو سمحت لي.

رجب طيب أردوغان (مقاطعة): لا تقاطعني. في المادة السادسة من التوراة تقول «لا تقتل» لكنكم تقتلون. أنا أشكرك جداً، أشكرك جداً، بالنسبة لي لقد انتهى «دافوس»، لن أعود إلى «دافوس» مرة أخرى وأعلموا هذا جيداً. أنتم لا تفسحون لي في المجال لكي أتكلم، (بيريز) تحدث لـ ٢٥ دقيقة وأنتم سمحتم لي بالتحدث لـ ١٢ دقيقة وهذا لا يجوز.

كما لا ننسى موقف أردوغان وهو يشهر حق الفيتو بوجه رئيس الوزراء الدنماركي (أندرياس فوغ راسموسين) كمرشح ليكون أميناً عاماً جديداً لحلف الناتو خلفاً للهلندي (ياب ديهوب شيفر) .. هذا الرفض جاء على خلفية رفض راسموسين الاعتذار عن نشر صور كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في صحيفة دنماركية في عام ٢٠٠٥ والتي أدت في حينها إلى غضب عارم في أنحاء العالم الإسلامي، ولم يمح الزمن هذه الإساءة من ذاكرة أردوغان، مما يؤكد ثبوت هذا

الرجل على مواقفه كمدافع صلب عن الإسلام والمسلمين، والتصدي لأعداء العدالة وحقوق الإنسان، والمفترين على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسيئين إليه. وأخيراً توصل الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) إلى عقد صفقة مع أردوغان، تتراجع خلالها تركيا عن استخدام الفيتو، في مقابل تعهدات منه شخصياً ومن أعضاء الناتو بالتعامل مع العالم الإسلامي على أساس من الاحترام المتبادل، إلى جانب تقديم (راسموسين) اعتذاراً علنياً للمسلمين عن الرسوم المسيئة خلال الاجتماع الوزاري المشترك الخاص بحوار الحضارات والعلاقة بين الغرب والإسلام الذي سيعقد في اسطنبول - وهذا ما حدث فعلاً - وإضافة إلى الاعتذار فإنه سيكون مساعد الأمين العام للناتو من تركيا، وأن يكون مبعوث الحلف إلى أفغانستان شخصية تركية أيضاً.

فلسفة الإصلاح

بعد توليه رئاسة الحكومة، مد يد السلام، ونشر الحب في كل اتجاه، تصالح مع الأرمن بعد عداء تاريخي، وكذلك فعل مع أذربيجان، وأرسى تعاوناً مع العراق وسوريا، ولم ينسى أبناء شعبه من الأكراد، فأعاد لمدينتهم وقراهم أسمائها الكردية بعدما كان ذلك محظوراً، وسمح رسمياً بالخطبة باللغة الكردية، وأفتتح تلفزيون رسمي ناطق بالكردية.

الاقتصاد التركي

وعلى صعيد الاقتصاد تشكل قصة نجاح «حزب العدالة والتنمية» في هذا المجال أشبه بالمعجزة، بعد عقود من الإخفاقات والتراجعات، ففي ولايته الثانية (٢٠٠٧-٢٠١١م) نهض بالاقتصاد رغم الأزمة الشاملة، حتى إن نسبة النمو في تركيا عندما تسلم القيادة كانت (-٩.٤) تحت الصفر، لتسجل حكوماته أرقاماً أسطورية جعلت من حزبهم يحقق نصراً اقتصادياً في غضون ٩ سنوات من الحكم، أكثر مما تحقق في السنوات الـ ٧٩ الأولى من تأسيس الجمهورية التركية على يد العلمانيين، إذ تنقلت نسبة النمو من ٥.٩ % عام ٢٠٠٣ ف ٩.٩٩ % في ٢٠٠٤ قبل أن ينخفض النمو بنحو صاعق إلى ١.١ % خلال عام الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨. لكن الشفاء حصل بسرعة هائلة أيضاً، بحيث بلغ النمو ٨.٩ % عام

٢٠١٠ ليستقر على ٧% حالياً، وهي نسبة غير موجودة في أي من الدول الـ ٢٧ للاتحاد الأوروبي. وقد حققت صادرات تركيا أرقاماً قياسية وصلت إلى ١٠٠ مليار دولار، وقد نما الناتج المحلي الإجمالي خلال الأربع سنوات ونصف من ١٨١ مليار دولار ليصل إلى ٤٠٠ مليار دولار.

هؤلاء صنف من الأفذاذ غير الذين لا يملكون إلا الشعارات الرنانة لتغطية فضائهم، وعصا الأمن الغليظة لقهر مخالفيهم، وهؤلاء هم الكبراء بالقول والفعل والتاريخ النضالي الشاق، وهؤلاء الذين ينالون احترام شعوبهم عن طريق صناديق الاقتراع في عملية انتخابية نزيهة وحقيقية، وهؤلاء الذين يقدرهم التاريخ وتبجلهم القلوب لا من يعلنهم الجميع صباح مساء، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم؟ خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» [صحيح الجامع: ٢٥٩٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخونة أم عسكرية؟!

من الطبيعي جدا في اللعبة الديمقراطية - كما يسمونها - أن تفرض الكتلة المنتخبة شعبيا أيدلوجيتها ورجالها على مفاصل السلطة، ذلك لأنها تحمل أجندة سواء كانت يمينية أو يسارية، وتريد أن تطبقها أملا في الوصول لرفعة البلاد وراحة العباد، ولو حتى وفق منظورها بغض النظر عن كونه صوابا أو خطأ.

وعموما ستنجلي الأمور بعد حين، والمحاسبة الشعبية ستكون عسيرة، وربما لاحقت أذرع القضاء هذه الرموز المنتخبة حتى ولو بعد تركها لكراسي السلطة، وكم سمعنا - في الغرب خاصة - عن محاكمة رئيس دولة أو رئيس وزارة بعد فترات طويلة من تركه منصبه بتهمة فساد أو استغلال منصبه.

من هذا المنطلق كان في الأمر سعة، وكان التوجه الحكومي لا غضاضة فيه، وبات معلوما لدى المختصين والمثقفين أن الأخونة أو العسكرية - كما في النموذج المصري - ليست عيبا أو تهمة أو رذيلة كما صورها الإعلام المأجور إبان تولي الرئيس الإخواني محمد مرسي.

لقد صور الإعلام وقتها الأخونة كارثة ستأتي على البلاد والعباد، في حين هو الآن يغض الطرف عن العسكرية ولا يراها إلا حلا منطقيا باعتبار أن رجال المؤسسة العسكرية مشهود لهم بالضبط والربط كما يقولون، رغم أن التحقيقات لم تثبت أي تهمة فساد للإخوان، ولم تكشف عن حادثة رذيلة لإخواني واحد من عهد الرئيس السابق محمد مرسي، وكل تهمة الفساد كانت لمحسوبيين على نظام مبارك الذين عادوا بقوة بعد الإطاحة بمرسي.

عموما هذه الفسيفساء الوزارية التي تتولى مهام الأمور تجمع في طياتها تناقضات مقلقة للغاية، فرئيس الوزراء مدني والوزراء يتنوعون بين المدني والعسكري، وهذا يثير تساؤلات حول طبيعة العلاقة بين من يحكم من، وهل الجنرال العسكري سيكون بنفس الطوعية لقرارات رئيس الوزراء المدني، بل هل من الممكن أن يستدعي مجلس

الشعب الوزير الجنرال ويقوم باستجوابه، وهل سيجرؤ الإعلام على رصد سقطات الجنرال الوزير، وأخيرا في حالة تورطه بفساد هل سيحاكم أمام محكمة عسكرية أم مدنية.

وإن كانت الأيدلوجية القائمة على انضباط المؤسسة العسكرية ونزاهتها، فلماذا لا تكون الحكومة كلها من رئيس وزراء ووزراء عسكريون ونخرج من المأزق الاقتصادي الذي تمر به البلاد، خاصة وأن المواطن البسيط لا يهتم سوى الانجازات وهدوء الأحوال المعيشية، لكن أن تكون وزارة مدنية كلما سقط منها وزير في برائن الفساد أو الفشل استبدلناه بوزير عسكري فتلك سياسة ترقيعية ستطيل أمد الإصلاحات.

كل هذا الطرح السابق كان من وجهة نظر المنظومة الديمقراطية، لكن قواعد الدين والخلق والعقل والمنطق والتاريخ والتجربة لها وجهة نظر أخرى.

فشرط العدالة ركيزة فيمن يتولى أمر العباد على كافة المستويات .. العدالة في الدين والخلق، والعدالة في حسن السيرة والسريرة، والعدالة في نبوغه في تخصصه.

فلا خير فيمن لا يقيم حق الله في سلوكه وخاصة نفسه، ولا خير فيمن لا رجاحة في عقله ودماثة في خلقه، ولا خير فيمن كان فظا غليظا، ولا خير فيمن لا يحسن التخصص الذي سيتولى أمره.

قال تعالى:

{وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢] {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١] {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤] {فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٠٣]

وانظر إلى قول العبد الصالح النبي شعيب عليه السلام لقومه: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

إن الحل لا في الأخونة ولا في العسكرية .. الحل يبدأ برد المظالم، وأداء الحقوق قبل سؤال الغلبة عن الواجبات، ونشر العدل بين الناس حاكميهم قبل محكوميهم، وتبني الكفاءات العدول، وتوقير العلماء وإقصاء السفهاء.

متى يعلم الجميع أن إقصاء سنن الله تعالى في خلقه نوعا من العبث والجنون.

متى يدرك الجميع أن الدماء البريئة التي أريقَت، والحشود القابعة في السجون عقبة كئود أمام الإصلاح.

متى يتفطن الكل أننا أبناء وطن واحد لا فضل لأحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأن شيطنة فصيل على حساب فصيل يجرنا للخراب.

متى نفهم أن النهضة معجون متماسك بين الشعوب وقادتها.

متى نجد مخلصون يرثون لحالنا، ويتصرفون للحق مع من كان.

بسم الله الرحمن الرحيم

تلقح الثورة المصرية

مع ميلاد أي ثورة لابد أن تتولد ثورة مضادة، ويعتقد عالم الاجتماع (تشارلز ميلز) أن وجود الثورة المضادة هو أبغ دليلاً على أن الثورة تحمل رسالة تغيير جديدة. إلا أن هذه الثورة المضادة إن لم تحاول خنق الثورة في بواكيرها، فلا أقل من اللعب في بوصلتها لتحريف اتجاهها عن المسار الصحيح، لكن أسوأ ما يمكن أن يعتري الثورة هو التسلل بخفاء في مقدراتها من قبل فلول النظام السابق في محاولة للتزواج غير الشرعي من أجل تلقح مشبوه للثورة كي تضع في نهاية الحمل السفاح وليدا مشوها معاقاً أكثر شبيهاً بالنظام السابق، لا يقر أعين الجماهير التي داعبتها آمال الحرية طيلة أيام المخاض.

قبل الانتخابات البرلمانية وتحديد يوم الثلاثاء (٢٠١١/١١/١) فاجأ نائب رئيس الوزراء «علي السلمي» (محسوب على حزب الوفد الليبرالي) المجتمع المصري بوثيقة «إعلان المبادئ الأساسية للدستور»، وكذلك معايير تشكيل الجمعية التأسيسية لوضع الدستور الجديد للبلاد، في محاولة التغطية لتهميش دور القوى الوطنية وفرض الهيمنة على الشعب المصري حتى لا يعبر عن إرادته، مانحاً في بنود الوثيقة سلطات واسعة وحصرية للمجلس العسكري تعود بمصر مرة أخرى إلى عهود الوصاية على الإرادة الشعبية واختزالها بدعوى أن النخب على وعي أكبر وأنضج بمصير الأمة، الأمر الذي يوقع مصر في نفس الخطأ التاريخي إبان عهود الفراعنة المعاصرين الذين حكموا البلاد بفردية تامة ووقعوا على معاهدات (كامب ديفيد نموذجاً) وأبرموا صفات (المعونة الأمريكية) وأنشئوا تحالفات (التطبيع مع الكيان الصهيوني) على غير رغبة الشعوب، ضارين بالاتجاه الوطني العام عرض الحائط.

وثيقة حكومية وليست شعبية

رغم أن استفتاء شعبي أجري على إعلان دستوري بعد أسابيع من إسقاط مبارك (التاسع عشر من شهر مارس ٢٠١١)، تضمن أن يختار الأعضاء المنتخبون في

مجلسي الشعب والشورى جمعية تأسيسية لوضع الدستور الجديد، إلا أن وثيقة السلمي الجديدة -التي وضعتها هيئة غير منتخبة شعبياً- قامت بنودها بعملية ذبح للشفافية التي تنشدها جماهير الثورة، حيث أعطت حصانة للمؤسسة العسكرية تمنع مناقشة سياستها الداخلية أو ميزانيتها في البرلمان، على أن يتم وضع الميزانية العسكرية رقماً واحداً في الموازنة العامة. كما لوحظ أن النص على أن وزير الدفاع هو القائد العام للقوات المسلحة، يهدف إلى منع الحزب الذي يشكل الحكومة من تعيين وزير دفاع مدني.

واستكملت عملية الذبح بالنص على أن يتم اختيار ٨٠ عضواً من الجمعية التأسيسية لوضع الدستور من خارج مجلس الشعب!!.. والحد الأقصى لمشاركة الأحزاب والكتل خمسة أعضاء.

وللمجلس العسكري حق طلب إعادة النظر في مواد مشروع الدستور إذا تضمن نصاً يتعارض مع مقومات الدولة والمجتمع والحقوق والحريات العامة. وإذا لم تنته الجمعية التأسيسية من الدستور خلال ستة شهور يختار المجلس العسكري جمعية جديدة بحريته لوضع الدستور خلال ثلاثة شهور.

كل هذا تحت مبرر أن الدستور الجديد لا بد أن يضعه أهل الاختصاص، لكن د. عصام العريان (نائب رئيس حزب الحرية والعدالة/ الإخوان المسلمون) رفض هذا الالتفاف بأن الدستور يجب أن تضعه مجموعة من الخبراء ذوي الخبرة وبالتالي يجب الاتفاق على أسس اختيار اللجنة التأسيسية. وقال: «من الذي قال إن البرلمان لن يختار الخبراء الدستوريين ذوي الثقة، البرلمان سيختار أكثر الناس توافقاً وسيكونون ضمن لجنة المائة»

أما مرشح الرئاسة د. محمد سليم العوا، فقد قال أنه عندما ذهب إلى اجتماع الدكتور علي السلمي نائب رئيس الوزراء فوجئ بوجود نسبة عالية من الفلول والأحزاب الكرتونية التي لا يوجد لها أرضية في الشارع المصري.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: من الذي أعطي السلمي أو المجلس العسكري هذه الوصاية على الشعب، كي يرسموا معالم الدستور الجديد، بصرف النظر عن

محتواه إيجاباً أو سلباً؟! .. إن الجيش مؤسسة وطنية ملك للشعب وذات مسئولية محددة في حماية الوطن، ومسئولية مؤقتة الآن في حماية الثورة وتسليمها لرئيس ترتضيه الجماهير فقط، أما الحقوق -من أي نوع- فقد آلت للشعب فقط صاحب الثورة، وهو الوحيد صاحب الحصانة التي لن يهبها لأحد بعد الآن .. لا بد أن تعرف مصر الجديدة ونخبها أن هذا الشعب ليس عقيماً في فكره ولا يجهل طريقه، ولا يحتاج لمن يوجهه، وهو غني بكوادره القادرة على تحمل مسئوليته بتكليف منه وحده وبموافقة ضمنية على محاسبته لها.

لكن أن تقوم هيئة بحذف ٨٠ فرد منتخب من لجنة صياغة الدستور، وتحديد معالم لمن تختارهم هي وتفضلهم على من اختارهم الشعب، مع قصر القوى الوطنية في ٢٠ فرد فقط، فهذه ردة إلى العهود البائدة، وتقمص دور لم تعتمد القوى الوطنية، وقفز من نوع مكشوف لركوب موجة الثورة.

والعجيب أن تأتي بعض رموز القوى الليبرالية وتؤيد هذه الوصاية، وتعطي لأنفسها الحق الكامل في الحديث عن الشعب، وتقع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه وثيقة السلمي، وتتصل من استفتاء مارس الشعبي.

كل هذا -وبصراحة تامة- نتيجة الخوف من مشاركة الإسلاميين في الساحة السياسية، لما يتمتعون به من شعبية عارمة، برزت بعدما سئمت الشعوب من لا يتقون الله تعالى فيها. وهذا الرعب الغير مبرر من القوى الليبرالية يهول الأمر وكأن الإسلاميون وحدهم هم الذين سيكتبون الدستور!!

إن هذه الوثيقة لها أكبر دليل على تغلغل فلول النظام السابق في المشهد السياسي المصري بعد الثورة، وأن سياسة الإقصاء ما زالت مخيمة على فكر بعض الرموز، وأنه من الطبيعي أن تنال سيل من أقبح الأوصاف من كتابنا ومحللينا: (السم القاتل، الفضيحة السياسية، الوثيقة المشبوهة، فتنة دستور السلمي ...).

بسم الله الرحمن الرحيم

انتخابات وسخافات

شاءت الأقدار أن تكون محافظتي (الغربية) في المرحلة الثالثة والأخيرة من الانتخابات البرلمانية الأولى بعد قيام ثورة ٢٥ يناير المباركة، الأمر الذي جعل الجميع يستفيد كثيرا من تجربة المرحلة الأولى والثانية، بل لا أكون مجحفا إذا قلت أن الكثيرين من المترددين في اختياراتهم قد توجهوا إلى أحضان حزب الحرية والعدالة وحزب النور بعد الفوز للتيارات الإسلامية الساحق في المرحلتين السابقتين، ولم ينخدعوا بهذا السعار الإعلامي على القنوات الفضائية الليبرالية التي لم تكف عن التهويل والتخويف من صعود الإسلاميين، حيث غلبت لغة الواقع كل اللغات، وعلا صوت الجماهير على كل الأصوات.

لقد لاقت الانتخابات البرلمانية إقبال جماهيري منقطع النظير، وشفافية ونزاهة ربما لم تشهدها الأمة المصرية من عهود سحيقة، حتى شهادة كل المراقبين الدوليين تجمع على أن كل المخالفات المرصودة لا ترتقي لمستوى الشبهات.

لكن على صعيد «السلوكيات والأخلاقيات» كان هناك شأنا آخر .. شأنا فكريا وأخلاقيا كان له جانبا مشرقا، وجوانب أخرى مظلمة تبعث على الحزن والحسرة. فأبرز الجوانب الناصعة التي شاهدها الكل، هي تلك الرغبة الجماهيرية العارمة في التغيير وتحمل المسؤولية في اختيار مرشحيهم، يحدوهم الأمل في غد أفضل، وتداعب أحيلتهم الأماني الجميلة والأحلام الوردية عن شكل مصر الجديدة، وهي تشق طريقها نحو النهوض والرقى والتقدم والازدهار.

أما تلك السخافات التي حدثت فكان أبرزها هذا الكم الرهيب من الأسماء المجهولة تماما لدى الأوساط الاجتماعية والشعبية، والتي أقدمت على ترشيح نفسها، دون وزن جماهيري يذكر أو تاريخ سياسي يرصد، وكأن هذه الأسماء لم تتفهم بعد أن الدنيا تغيرت، ومصر لم تعد كسابقتها، وتغيرت معها المفاهيم والأعراف التقليدية في العملية الانتخابية، فلا يكفي أن ينخدع المرشح بحسن سيرته الشخصية في قريته

الصغيرة أو شعبيته العالية بين زملائه في العمل، أو الترشح لمجرد الدعاية والشهرة، أو ممارسة الفكر الانتخابي العتيق في أن كثرة الترشيحات دورة انتخابية تلو الأخرى سيكتب لها النجاح يوما ما.

بل أسخف من هذا الحدث، ترشيح فلول الحزب الوطني السابق أنفسهم، رغم أن الشعب يرفضهم، ولم ينجح منهم في المرحلة الأولى والثانية إلا عدد ضئيل لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة .. وأعود وأتساءل، لماذا يشتهي البعض الرسوب والفشل، ولماذا يصبر آخرون أن يخرجوا أنفسهم، لدرجة أن أحد المرشحين لم يحصل إلا على صوت واحد هو صوته نفسه، حتى زوجته المطلقة رفضت التصويت له؟! ومن السخافات: تلك الفوضى الإعلامية التي عاشتها مصر طيلة فترة الانتخابات، فلقد تكاثرت الملصقات على الحوائط بصورة همجية وغوغائية غاية في الابتذال، وشوهت واجهات المحلات، وضج الناس بالشكوى، حيث يفاجأ صاحب البيت أو الدكان في الصباح بكم رهيب من الملصقات، وضعت جلسة في جوف الليل أو بعد الفجر، ولم يكتف أنصار المرشح بملصق واحد على الحائط، بل لابد من عدة ملصقات متجاورة، حتى وصل الأمر أن المرشحين صاروا يضعون ملصقاتهم فوق ملصقات بعضهم البعض، وتحولت الجدران بعد الانتخابات إلى واجهات شوها من الورق المتقطع والمتعفن، في منظر مقذذ، يعكس مدى الهمجية التي انتابتنا، واختفاء اللمسات الحضارية والجمالية عن حياتنا.

ومن السخافات: ما أعلنه الائتلاف العام لشباب الصوفية ورابطة شباب الصوفية في مصر عن تقديم الدعم لقوائم «الكتلة المصرية» في المرحلتين الثانية والثالثة من الانتخابات البرلمانية، وكذلك دعم مرشحي الكتلة على النظام الفردي بكافة محافظات مصر في المرحلتين الثانية والثالثة.

وجاء ذلك الموقف بعد الاستفتاء الذي طرحه محمد سليم توفيق الأشعري، عضو الهيئة العليا لأئتلاف شباب الصوفية بمصر. وذكر الأشعري أن الاستفتاء جاء بناء على رغبات شباب الطرق الصوفية، وذلك لدعم أحد الأحزاب في المرحلتين

القادمتين بعد فترة انعزال طويلة للصوفيين بمصر عن العمل السياسي، وذلك للمشاركة في بناء الحياة السياسية في مصر بعد الثورة.

أليس هذا غريباً وعجيباً أن تدعم الصوفية ذات التوجه الديني حزب ليبرالي أسقطه الكثيرون من حساباتهم بعد انكشافه مصادر تمويله، مما أدى لتراجعته إلى المرتبة الرابعة وصعود حزب الوفد، بعدما كان متصدراً في المرحلة الأولى المرتبة الثالثة، الأمر الذي جعله يستبدل شعاراته الانتخابية قبيل المرحلة الثانية بعد اكتساح الإسلاميين للمرحلة الأولى وحصولهم على أغلب المقاعد، ونهج نهج الإسلاميين في دعايتهم الانتخابية، واستبدلوا شعارهم الانتخابي من «لا علمانية ولا دينية مصر مدنية ديمقراطية» إلى «مع بقاء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع»، وكتب على إعلان آخر «القرآن .. دستورنا» فيما اعتبره البعض ارتداء لعباءة الدين لخداع المصريين.

فهل هذا هو مفهوم الولاء والبراء الذي تعلمناه من ديننا وعلى أيدي مشايخنا، خاصة وأن التيارات الإسلامية كانت أولى من غيرها بالدعم والتأييد. ومن طريف المواقف أن أحد مرشحي «الكتلة المصرية» لما عاين سقوط حزبه من أعين الجماهير، أعلن البراءة من الحزب، وأجرى في شوارع دائرته الانتخابية سيارات بمكبرات صوت تعلن هذا الموقف، وكأنه بهذا الأمر سيكتسح نتائج الفوز، لكنها كانت حيلة ساذجة لم تقنع طفل صغير ولا رجل كبير.

أما الفجيرة العظمى فهي تلك المناوشات التي حدثت بين أكبر تيارين إسلاميين، وأقصد تحديداً أنصار مرشحي حزب الحرية والعدالة وحزب النور، وأشهد الله أن هذه المشاكسات كانت من فعل الصغار، وتبرأ منها الكبار من مشايخ وقيادات من كلا الجانبين.

وإن كان قصدنا التحذير لا التشهير، خاصة وأن هذه المناوشات رصدتها بعض القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت، فلا يسعني سوى التذليل ببعض المواقف التي كان أبرزها في محافظة الغربية بمدرسة السادات الثانوية بنات بالدائرة الثانية بلجان

(٤١٧-٤١٩) حيث رصد المراقبون حدوث مشاجرات بين مندوبي مرشحي الحرية والعدالة والنور السلفي بسبب التواجد داخل اللجان والتأثير على الناخبين.

وفي محافظة شمال سيناء بلجنة مدرسة أبو نحيلة الابتدائية بدائرة العريش بلجان (٦٥-٦٩) حدثت اشتباكات بالأيدي بين أنصار حزب النور السلفي وأنصار حزب الحرية والعدالة داخل اللجان بسبب الدعاية الانتخابية.

وأنا في أشد العجب والدهشة .. لماذا يدمن البعض الفرقة، وتصعب عليهم الوحدة والألفة، رغم أن الهدف واحد والقصد نبيل، ولماذا لا تتسع الصدور للفروق بين البشر، خاصة وأن الناس لا تستوعب ولا تقبل أبداً أي تجاوز من الذين يحملون شعار الدين، لأنهم بأعينهم النموذج والقذوة والمثل.

ولقد وصف الكاتب البريطاني الكبير (روبرت فيسك) الانتخابات المصرية بأنها لمحة من لمحات الديمقراطية الحقيقية، ولكن يبقى التحدي القائم - بحسب الكاتب - : هل ستكون تلك الانتخابات مدخلا لديمقراطية حقيقية؟ وهذا كلام يضع الأمور على المحك الحقيقي.

إن الواجب والعقل والمنطق والدين يرفض أي تفرق بين الكتل الإسلامية داخل البرلمان الجديد، لأنه ليس من صالح أحد، ولن يقبل به أحد، وما حدث في هذه الانتخابات من تجاوزات ربما يهونها أنها حدثت من شباب صغار أخذتهم الحمية العصبية، لكن لو حدث هذا بين الكبار تحت قبة البرلمان، فلا أقل من أن تنهار القيمة السامقة لهذا الدين في مخيلة الناس، وقدرته على سياسة الدنيا، فضلاً عن أن أعداءه كثر، والغيط يملأ صدورهم على هذا الاكتساح الرائع للتيار الإسلامي، وهم يتربصون أي «هفوة» لكي يتخذونها ذريعة لصب جام غضبهم، وهذا معلوم ومعروف للجميع، لكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل سننجح كتيارات إسلامية في أن نتجاوز خلافاتنا الشكلية وأن نكون لحمة واحدة، أم يصير حظنا من كل هذا المشوار الطويل، الشعارات الجوفاء والسجلات الكلامية. وهذا ما لا يقبله أحد.

بسم الله الرحمن الرحيم

محافظتي محافظة فلول

طبعاً بعد الفوز التاريخي لأستاذنا (د. محمد مرسى) تلاشت كلمة «الفلول» إلى غير رجعة، وصار نسيج المجتمع المصري لحمة واحدة، والمفروض من كل الإخوة أن لا يعير المنتصر منهم المهزوم، لأننا بواقع الحال بلد واحد وشعب واحد وقضية واحدة ومصير واحد.

لكن اسمحو لي أن أستخدم تعبير «فلول» لآخر مرة في حياتي، ليس لتبكي أتباع شفيق، ولكن لرصد المعاناة التي لاقيناها من أبناء محافظتنا «الغربية» في المناقشة والإقناع، وسرد فتوى العلماء وآراء الساسة المنصفين، من أجل تطويع طوفان بشري عارم من المحيطين بنا للحيلولة دون إجهاض الثورة وضياع مكتسباتها واستنساخ نظام الطاغية من جديد على يد أحمد شفيق.

هذا الرصد اعتبره من وجهة نظري مهم جداً في أي مرحلة تمر بها أمتنا، ويتلخص في عجالة في النقاط التالية:

- هذه الثورة ثورة مباركة، تتلمس في كل أحداثها لطف الله الخفي بهذه الأمة المطحونة، فمن أول يوم بدأت وحتى نهايتها -إن شاء الله- يرى كل منصف أنها ثورة تربي في كنف الله عز وجل، ولذلك عندما تشتد الأمور وتعظم المكائد والدسائس كان المخلصون يعتصمون بلطف الله ويستضيئون بالآمارات الربانية التي ترعى هذه الثورة المصرية، قال تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥-١٦].

- مصر أمة كبيرة، ليس تحيزاً لبلدي ولكنه واقع صمد أمام كل محاولات التشويه الضارية، حيث غلب صوت الإيمان والحكمة والعقل كل صوت، رغم ضجيج الأبواق الإعلامية المغرضة الذي لم ينقطع صباح مساء، ورغم حجم الأموال التي أنفقها المغرضون والمخربون، وهذا الرصد إنما هو أولاً شكراً لله تعالى، وثانياً تبكيتاً لكل فكر أو يد تحاول عبثاً أن تدمر هذا البلد «مصر المحروسة» كما يسميها أهلها، قال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا

يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ { [الرعد: ١٧]

- محافظتي «الغربية» كانت من المحافظات الرائدة في التصويت لمرشح
الفلول أحمد شفيق، رغم أنها محافظة ريفية الطابع، وهذا التأييد أرجعه بعض
المحللين إلى التيار الصوفي الذي ينتشر فيها بقوة لوجود ضريح السيد البدوي، لكن
أنا بتقديري أن التراجع الثقافي والفكري كان هو السبب، فالمحافظة من المحافظات
الفقيرة، ونسبة البطالة والأمية الثقافية فيها عالية، وهذا ما جعل أبنائها لقمة سائغة في
فك الإعلام المغرض التخريبي، لكن لا أستطيع أن أصف لكم حجم المحنة وأنت
تعایش جيش بشري جرار يختلف معك بعنف وفظاظة، وينجرف نحو حتفه وهو لا
يشعر، فإذا انضاف إلى هؤلاء العدد الكلي الذي صوت لشفيق على مستوى مصر
كلها والذي كاد يقارب نسبة د. محمد مرسي يتضح لكل ذي عين حجم التخريب
الفكري الذي أحدثته الأنظمة السابقة في العقول، فضلا عن التخريب الاقتصادي ..
لقد تفشت فينا العلمنة بصورة لافتة، وتبجح الكثيرون في الجهر بمعاداة الدين،
وأعجب كل ذي رأي برأيه في غياب المعايير والمرجعيات السوية التي يرجع الكل
إليها، قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: ٨٣].

- دور الإعلام الفلولي التحريضي كان له أثرا ملموسا وواضحا جدا في توجيه
الرأي العام، وخير مثال قناة الفراعين بقيادة المدعو توفيق عكاشة التي استطاع بإفكه
استمالة أعداد لا يستهان بها من البسطاء، وصدق من قال: «أعطني شاشة أغير بها
وجه العالم»، ولذلك العتب كل العتب على القنوات الإسلامية التي تقاعست في أداء
دورها، وأفضلها دخل مضمار السباق الرأسي متأخرا، لذلك كان الاستهان بدور
الإعلام خطأ حركي ينبغي أن نتفطن له في المراحل القادمة.

- أيضا تقاعس مشايخنا ونخبنا عن التواجد بقوة وسط الجموع كان خطأ فادحا، حيث أن مسألة (عدم الزج بالدعاة والمشايخ في العملية السياسية) ليست صحيحة على الدوام، ولا بد أن تقدر كل حالة بقدرها، وطالما أن الإعلام الفلولي قد فتح النار بافتراءاته فكان يجب الدفع بقوة بجيوشنا الجرارة من الدعاة والنخب السياسية المخلصة لمواجهة الرأي بالرأي والحجة بالحجة.

- نجاح الثورة جماهيريا قد حسم وصار واقع لا ينكره أحد، لكن المعركة لم تنته بعد، ومازال للفلول نفس سيحاولون به عزل الدور الشعبي وتحييد نخب الشعب سياسيا، والالتفاف على الثورة عبر القوانين والتشريعات لتفريغ الثورة من محتواها وقيادتها الشعبية، ومن هذا المنطلق بدأ حل مجلس الشعب، رغم أنه المجلس النيابي الوحيد في تاريخ مصر الذي يتمتع بالنزاهة والكفاءة، وحدث ولا حرج عن منظومة التشريعات الخاصة برئيس الجمهورية -حفظه الله- التي أفرغته من كل الصلاحيات وجعلته كخيال المآته، جسد بلا روح، وقائد بلا سلطة، وهذه لعبة ساذجة لا تنطلي على أحد، ومن شأنها أن تنقلب على لا عبيها، خاصة وأن تأييد الله لهذا الشعب ورموزه لا ينكره حكيم، فمن وجد الله ماذا فقد، ومن فقد الله فماذا وجد، قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطأ التاريخي

بضعة أيام وينطلق سباق الرئاسة المصري، وقد تكشفت الرؤية - كما هو متوقع - عن تيار إسلامي وتيار ليبرالي وبعض الفلول، لكن ما يشير الاستغراب والدهشة هو تمخض التيار الإسلامي عن مرشحين اثنين، مرشح لجماعة الإخوان المسلمين (د. محمد مرسى)، ومرشح ذو مرجعية إسلامية (د. عبد المنعم أبو الفتوح)، مما يضع الصوت الإسلامي على مشارف التلاشي وغياب التأثير نتيجة تشتت الأصوات الانتخابية، خاصة وأن الكتلة التصويتية الإسلامية ليست بالضخامة التي تستوعب التشرذم والتفرق.

بحث أصوات النخبة في توضيح خطورة الأمر، وبذلت محاولات مضنية لتوحيد الصف الإسلامي تحت مرشح واحد، لكن كل الجهود ضاعت سدى .. فمؤيدي أبو الفتوح يرون أنه الأجدر لهذا المنصب، بحكم مواهبه الحوارية، وتاريخه النضالي المشرف، فضلا عن شعبيته الجيدة لدى الإسلاميين وطائفة من الليبراليين، ووقوفه على مسافة متساوية من كافة القوى الوطنية، خاصة وأن مرشح الإخوان كان بالأساس في قائمة الاحتياط، وكان من المفروض الزج به في مضمار السباق الرئاسي إذا خلت الساحة من مرشح للتيار الإسلامي، فضلا عن تدني شعبيته، ولن يقف ورائه سوى صوت الإخوان فقط، وهم بالطبع ليسوا بالكثرة التي تضمن نجاح مرشحهم.

أما الإخوان فيرون أنهم الأولى بأن يكون مرشح الرئاسة منهم، بحكم تواجدهم بكثافة في العملية الانتخابية لشعبيتهم العالية، رغم وعودهم السابقة بعدم تقديمهم مرشح رئاسي، ويرون أن د. محمد مرسى صاحب مشروع نهضة جدير بالتبني، وأن مرشح رئاسي يدعمه حزب كبير مثل الحرية والعدالة أولى أن تتكاتف ورائه كل القوى الإسلامية.

والمحصلة أن جمهور التيار الإسلامي أصيب بحيرة، ففي حين أيد طائفة من العلماء الأجلاء مرشح الإخوان، على العكس أيد السلفيون د. أبو الفتوح، وبالتالي تفرق العلماء كما تفرق الساسة.

وبعيدا عن استطلاعات الرأي التي يشكك بها البعض، وجدت كل من حاورتهم لم يحسموا أمرهم بعد، من المثقف إلى رجل الشارع البسيط، فما إن يجمعني المجلس بأحد إلا وسألته عن نيته في اختيار مرشحه: الأقارب والأصدقاء ورفقاء الطريق حتى سائق التاكسي الذي أركب معه، وبائع الفول الذي أبتاع منه، والصيدلي الذي أشتري منه الدواء .. الكل تقريبا في حيرة.

ربما يحكم اختلاف المترشحين بعض الاعتبارات الخاصة، والتي أولى بهما أن يتعالا عليها لتغليب مصلحة الوطن، خاصة وأن التشرذم يصب في مصلحة الطرف الآخر، وأخشى ما يخشاه الجميع أن نجد واحدا من الفلول قد قفز على الكرسي وساعتها ستضيع الثورة بسوء صنيعنا.

ربما كان كل ما ذكرنا واضحا وجليا لكل المتابعين والمنخرطين في الشأن المصري، لكن الذي لا أستطيع أن أفهمه تشرذم العلماء وتفرقهم وراء مترشحا الرئاسة، ولا يفوتني أن أذكر أن طائفة منهم مازالت في فكرها القديم الذي يرى أن الثورة المصرية مخالفة شرعية وأنها خروج على الحاكم، وأن الصبر على جوره أولى .. وهنا نجد علمائنا الأجلاء على ثلاث طوائف لا اثنتين.

إنني طيلة عهدي مع التيار الإسلامي منذ قرابة ٢٥ سنة وأنا أسمع علمائنا أنفسهم يحذروننا من مغبة الفرقة والاختلاف، وتنوعت أحاديثهم عن عاقبة الخلاف والتشرذم، والفرق بين الخلاف المعتبر والغير معتبر، وأخلاقيات الإسلام في التعامل مع المخالفين، وضرورة الحوار وفنونه وآدابه .. في منظومة إنشائية ضاعت سدى على أرض الواقع عند أول محك مصيري.

أما كان أولى بالعلماء أن يتكاتفوا صفا واحدا في قرار الأمة المصيري، ويجمعوا مرشحي الرئاسة في مجلس واحد ويحسموا معهم الأمر، ولو بتنظيم وترتيب من يكون الرئيس ومن يكون نائبه، وإن حاد المرشحان أقرعوا بينهما، وإلا هددوهما بالتبرؤ

منهما وإجهاض شعبيتهما، أو غيرها من المقترحات العديدة وأوراق الضغط التي من شأنها أن توحد الصف، وتنقذ الأمة من الضياع.

لكن الحقيقة أن الكدر كان من رأس العين، من العلماء أنفسهم الذين فشلوا في التغلب على الخلاف، وتغليب مصلحة الوطن.

منذ بدأت الحملة الانتخابية وأنا آليت على نفسي أن ألتزم موضوعا واحدا لخطبة الجمعة عن مقومات اختيار الحاكم المسلم، أذكر الناس فيها بعظم المسؤولية وخطورة الأمانة، وأن الموضوع أكبر من ترف سياسي ورؤية خاصة، بل هي قضية سنسأل عنها يوم الدين، وفي أعناقنا تجاه هذا الوطن العظيم .. وما إن أنزل من على المنبر وانتهى من الصلاة حتى تتكاثر علي الحشود سائلين: من ننتخب؟ محمد مرسي أم أبو الفتوح؟ .. حينها أحس بالضعف، والفشل، وما أقساها من أحاسيس .. فأنا نفسي لا أعرف من سأنتخب، والأمر جل خطير.

إن هذا العبث كنا في غنى عنه، وهذه الفرقة كان أولى بها غيرنا من أصحاب الأهواء والأغراض الذين يرون الرئاسة مغنما لا رسالة ومسئولية.

إن الخاسر الرئيس في هذا الموضوع هو علمائنا ونخبتنا الدينية التي كسدت في سوق الواقع، وكشفت الحقائق عن مهاراتهم الوعظية والكلامية لا العملية، ورسوموا لأنفسهم بهذا الموقف المتشردم صورة باهتة في النفوس بعدما كانوا يتبوءون منزلة سامية، الأمر الذي حدى بأحد رموزهم أن يقول في أحد الفضائيات أنه قادر على جمع المعونة الأمريكية لمصر في ساعة زمن.

النخب الدينية هي المتهم الأول، تليها النخب السياسية التي أعلنت خلافاتها الشخصية على مصلحة الوطن، وربما نحن الآن في سكرة لا ندرك حجم الخطر الحقيقي المترص بنا، أو ربما يحدونا الأمل في فوز أحد الإسلاميين وتحل القضية بلطف المولى العلي القدير.. لكن لو قفز أحد الفلول على السلطة سيظهر جليا عوار المشروع الإسلامي، لا لخلل فيه -حاشا وكلا- ولكن لخلل في القائمين عليه، وساعتها عليهم أن يتحملوا تبعات القاسية التي سيلاقونها، وما أشدها من محنة عليهم.

فأللهم أطف بمصر وأهلها .. ووحد شمل علمائها وقادتها.. أنت الولي والقادر
عليه .. وأنت حسينا ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر تسترد هويتها الإسلامية

مشهد فريد لم تتعوده الحياة النيابية والسياسية في مصر.. إنها المرحلة الأولى من الانتخابات البرلمانية بعد قيام ثورة يناير ٢٠١١ المباركة .. شفافية وحيادية منقطعة النظير .. جموع غفيرة من المواطنين على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم في طوابير طوال أمام صناديق الاقتراع .. قمة الوعي السياسي والإحساس بالمسئولية وسعة الصدر في تقبل الآخر .. انتخابات نزيهة تليق بمصر العظيمة.

تتمخض النتائج عن فوز الإسلاميين بنسب باهرة، ونصر ساحق، رغم خوضهم الانتخابات بصورة مستقلة لأول مرة في حياتهم .. الأغلبية موزعة بين حزب الحرية والعدالة (إخوان مسلمين) وحزب النور (السلفيين) الأمر الذي دعا أحد المحللين بالقول: وكأن الانتخابات بين هاذين الحزبين، رغم تكاثر عدد الأحزاب لرقم فلكي يقترب من الخمسين حزبا.

ومع أن النتائج كانت متوقعة، إلا أن الحقائق نزلت كالصاعقة على القوى الليبرالية والعلمانية، ولم يخف بعضهم حنقه الدفين على شاشات الفضائيات وراح يشكك في نتائج بعض الدوائر ورصد مخالفات جسيمة من قبل الأحزاب الفائزة، في محاولة يائسة لتشويه الفوز، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى كيل الاتهامات للناخبين ووصفهم بالسذاجة وقلة الوعي وحسن استغلال الإسلاميين لفقرهم وجهلهم السياسي. كان رد كل النخب الإسلامية على أمثال هؤلاء في غاية التعقل، بل أشاروا بنصحهم لكل من رصد مخالفات بأن يتوجه للقضاء، وحرصوا على أن تكون ردودهم متحفظة في كل الملتقيات الحوارية، خاصة وأن الخصوم كثر، وهم يشاقون لأي كلمة عن الخلافة الإسلامية أو الشريعة الغراء لكي يستغلوها أسوأ استغلال، وما بتصريحات رئيس وزراء تونس عن (الخلافة الراشدة) منا ببعيد، فلقد أقامت القوى العلمانية الدنيا وأقعدتها على ذكر هذه العبارة التي قالها صاحبها بعفوية مطلقة، لكن هاجت الدنيا

وماجت حتى اضطر رئيس الوزراء لتصحيح الموقف، والتصريح بأن عبارة (الخلافة الراشدة) حملوها أكثر مما تحتمل.

أما كاتب هذه السطور فليس من صناع السياسة ولا من كوادر الفائزين في الانتخابات الأخيرة، وحق علينا أن نرصد الواقع بكل شفافية دون مواربة ولا مDAHنة لأحد، من منطلق إسلاميتنا ووطنيتنا.

إن الواقع في هذه الانتخابات لا يمثل فوزا للإسلاميين بقدر ما كشف عن المعدن الحقيقي للشعب المصري العظيم، هذا الشعب المتدين بالفطرة، المحب لشريعته ولدينه، الراغب في أن تسوسه القيادة بأعدل شرع وأقوم منهج.

إن من الوهم - كما يرى بعض المحللين - أن نعتبر هذا الفوز انتصارا للتيار الإسلامي السياسي، وكأنه أحد التيارات السياسية على الساحة، والتي كسبت صولة وفازت بجولة بحسن تنظيمها وعراقة تاريخها كما يدعي البعض.

بل إن ما حدث إنما هو ارتقاء حقيقي في أحضان الفطرة المتدينة بدواخلنا، ورضا بشريعة الله تعالى أن تعود وتسود .. لقد كتب هذا الشعب العظيم في هذه الانتخابات سطورا من نور مفادها تلك المقولة العظيمة: «رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسولا»، خاصة بعدما ذاق المر ممن لا يتقون الله تعالى فيه.

من الخطأ أن نعتبر هذا الفوز جولة من الجولات السياسية، وأن نصفق له ونطبل كما فعل الأتراك عندما أسقطوا الخلافة وعلمنوا الدولة، أو عندما قامت الثورات العربية على أيدي العسكر، أو غيرها من الأحداث السياسية الجسام .. كلا وألف كلا، إنه نداء الفطرة، وبواعث الإيمان التي بدأت تدب في أوصال الأمة فابتعثتها من سباتها بل من مواتها .. إنه العودة للمسار الصحيح الذي يليق بشعوب رضعت رحيق الإسلام أبا عن جد، ونبتت قلوبها ومشاعرها في كنفه وتحت لوائه. شعوب تعرف لدينها قدره وقدرته على سياسة الحياة بجدارة واستحقاق، قال تعالى:

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

[الجاثية: ١٨]

- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} {٦٠} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا {٦١} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} {٦٢} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} {٦٣} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} {٦٤} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} {٦٥} [سورة النساء]

وفي الختام نهيب بكل مرشحي التيار الإسلامي أن يكونوا على مستوى الحدث، وأن يبذلوا قصار جهدهم في حسن سياسة الأمور، لأن الآمال عليهم معقودة، والأنظار إليهم موجه، ولا نملك إلا الدعاء لهم بالتوفيق والسداد، وأن نكون أفراداً تحت لوائهم لخدمة هذا الوطن، وتطبيق رسالة هذا الدين على أرض الواقع، فإن حدث خلل فمننا ومن الشيطان، والإسلام منه برئ، فهو المعصوم بعصمة رب العالمين، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤١-٤٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

سر النجاح الانتخابي للتيارات الإسلامية

من واقع تجربة شخصية

في بواكير الصبا كنت طالبا متفوقا دراسيا، وكانت حياتي كلها للتحصيل والمذاكرة والنجاح، وكان الوالد -رحمه الله- لا يكف في كل حواراته معي عن الحديث عن آماله في أن يراني دكتورا عظيما أخرج من الجامعة بتفوق وأنضم إلى سلك المدرسين الجامعيين وتحضير الماجستير ثم الدكتوراه.

بلغ الهوس الدراسي عندي أنني كنت أدرس مواد العام القادم فترة الإجازة الصيفية المخصصة أصلا للاستجمام والراحة، وكانت أحلامي في اليقظة والنمام لا يغيب عنها منظر الرداء الأبيض الذي يرتديه الأطباء، لكن بعد حصولي على المركز الأول في الشهادة الابتدائية أصبت في حادثة فقدت فيها الرؤية بعيني اليمنى، مما أثر على تحصيلي الدراسي، وفاتتني كلية الصيدلة بفارق نصف درجة فقط، فالتحقت بكلية الطب البيطري، مما سبب لي أزمة نفسية، خاصة وأنا شخصيا كنت أجهل أنه يوجد طبيب يعالج الحيوانات والمواشي.

في أوج أزمتي النفسية المنهارة، اتجهت -كعادة أي إنسان مأزوم- إلى رحاب الله، فواظبت على الصلاة وكنت لا أصلي إلا نادرا، ووقعت عيني على كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق، فبدأت أتصفح وورقات المجلد الأول منه «باب الطهارة» فتفتحت مداركي لأول مرة في حياتي على دنيا جديدة وجميلة كنت أجهلها كما يجهلها ملايين غيري تربوي في مدارس حكومية علمانية حتى النخاع .. قرأت عن المياه والنجاسات والمذي والمني وكيفية الاستنجاء والغسل وكيف كان يصلي النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وهدى الإسلام في المنام والمأكل والمشرب والمنكح، وفقه الأيمان والبيوع والندور....

عالم معرفي غريب شدني إليه ووجدت نفسي فيه، وجدت طريقي الذي كنت أجهله، وتعلمت كيف أعيش إنسانا وأموت إنسانا .. يا إلهي، ماذا فعلوا بنا في

المدارس النظامية، لقد أضاعونا في أتون الكيمياء والفيزياء والأحياء والرياضيات والفلسفات واللغات .. لم نتعلم شيئاً يذكر عن إدارة ذاتنا وهدفنا ورسالتنا في هذه الحياة، لقد صنعوا منا في المدارس والجامعات مسوخاً تتقن فن التلقين، تحفظ طيلة العام وتلقي بحفظها في ورقة الامتحان ثم تخرج من اللجنة وقد طرحت من ذاكرتها كل هذا الكم الثقيل من المعرفة النظرية العقيمة.

قررت بعد هذا الانبهار المعرفي الديني أن أتجه للمسجد، مساجد الدعوة الإسلامية المباركة، وليست المساجد الوقفية الحكومية .. هناك رأيت الأخوة الملتحين ورأيت قارئ القرآن المحترفين والعلماء المتطوعين، وسمعت عن التوحيد والإخلاص واليقين والتوكل والإخبات والخشية والخشوع ...

في المسجد تعلمت أن زكاة العلم العمل به، فسمعت -مثلاً- عن «باب وجوب الصلاة في جماعة» فحبب إلينا ارتياد المساجد، وتعلمنا الانتصار على كسلنا وتلبية النداء فور سماعه، وسمعت عن السواك واشتريته لأول مرة في حياتي، وأنا الذي لم أراه في عمري في بلدنا، وسمعت عن الاستحداد ونتف الإبط وصيام يوم عرفة وعاشوراء وصوم الاثنين والخميس، وعلموني الإخوة في المسجد تجويد القرآن وصبروا أشد الصبر علي حتى أتقنت هذا الفن، وصار صوتي الجميل يشدو بالقرآن .. المحصلة أنني تجاوزت في رحاب الدعوة الإسلامية حدود الكلمات ومارست فقه الأعمال، انتصرنا على رغبات الجسد في الدعة والاسترخاء.

وفي رحاب الجماعات الإسلامية اتسعت رؤيتي للحياة، وكبر حلم تطبيق الشريعة في مخيلتي يوماً بعد يوم، ولما لا وقد أبصرت بهذا الدين، وفهمت أن الحياة ليست فقط في حفظ المقررات الدراسية، ونيل أكبر الشهادات العلمية، بل للحياة وجهها موازياً ومواكباً للطبيب الماهر والصانع الحاذق والمدرس الفذ، ألا وهو وجه الإيمان، الذي يجعل من كل عنصر في المجتمع عنصراً إيجابياً إيمانياً، فما أجمل أن تبني في مجتمعك، لكن الأجمل منه أن تبني ابتغاء مرضاة الله تعالى.

هذا ولا يفوتني أن أذكر الوجه المشرق للصحة الإسلامية المعاصرة في صعيد الخدمات الاجتماعية رغم التضيق الأمني الشديد في عهود الدكتاتوريات السابقة قبل

ربيع الثورات العربية، وأخص بالذكر المستوصفات الخيرية والحضانات والمدارس الإسلامية الخاصة، وجمعيات تغسيل الموتى التطوعية، وجمعيات التكافل الاجتماعي

إن عملية التربية التي تبنتها الصحوة الإسلامية المعاصرة عملية طويلة وشاقة، قام عليها أجيال وعلماء ومتطوعين بجهدهم وعلمهم وأموالهم بل وبأعمارهم في بعض الأحيان، عملية تربوية كانت منطلقة من عقيدة إيمانية صافية لا تبتغي غير العز للأمة بهذا الدين.

ولذلك لما قامت موجة ربيع الثورات العربية، كانت للتيارات الإسلامية قاعدة عظيمة وعتيقة، سهرت عليها جهود من عشرات السنين، وأنتجت أجيال وأجيال تنشد النصر بهذا الدين، فكان من الطبيعي أن تحصد أصوات أبنائها ومحبيها في صناديق الانتخابات. فبالله عليكم من أنتخب غير أساتذتي الذين علموني وأخرجوني بفضل الله من الظلمات إلى النور.

أضف إلى ذلك أن سر تقهقر هذه الأمة كان «الفساد» الذي استشرى في كل أرجائها، والفساد قرين المعصية وضعف الإيمان والبعد عن منهج الرحمن وسنة النبي العدنان، ولذلك لما اختارت الشعوب العربية في تلك الانتخابات النزيهة اختارت من يتقي الله فيها، واختارت من قدم لها الكلمة النقية واللمسة الحانية والعطف والبر في سنوات المحنة.

إن السياسة الناجحة لا تعني أن تفهم القيادة في كل شيء، فهذا عين المحال، ولكنها تعني قيادة نظيف تتقي الله في شعوبها، وتفهم دورها جيدا في خدمة الجماهير والسهر على راحتهم، ومن هذا المنطلق تستدعي الأكفاء المتخصصين في كافة القطاعات، والمشهود لهم بالأمانة ونظافة اليد، من أجل رسم وتحقيق سياسة رشيدة في كافة المجالات .. تلك هي الحلقة التي كانت مفقودة في الدكتاتوريات السابقة، وتلك هي الأمنية الغالية التي يتوسمها الشعب العربي المسلم في التيارات الإسلامية، ولذلك لم يخل عليها بصوته الانتخابي واختياره الواعي رغم كل حملات التشكيك والطعن والهمز واللمز التي تقودها فضائيات مدعومة بأموال قوى ليبرالية حاقدة.

هذا هو السر الذي غاب عن النخبة العلمانية، والتي كانت تتعامل مع الشعوب بتعالي وتجافي، بوصفها النخبة المثقفة -برأيها الشخصي- التي تملك مفاتيح التقدم السحرية .. نخبة رأت منها الشعوب أقوال لا أفعال، ولم تشاهدها بين البسطاء إلا أوقات الانتخابات فقط، تخطب وتنفق بسخاء وتسمع للصغير قبل الكبير، حتى إذا ما كتب لها الفوز، توارت من جديد في مكاتبها الأنيقة وسياراتها الفارهة، وسعت باستثمار الحصانة البرلمانية في عقد صفقات مشبوهة وغير مشبوهة تدر من ورائها آلاف الملايين.

فرق بين من يعمل بعقيدة، ويواجه متاعب القيادة باحتساب عند الكريم الوهاب، ويرى أن هذا دوره الذي كتبه الله عليه في سياسة الدنيا بالدين .. فرق بين هذا وبين من يرى المنصب مغنما لا مغرماً، وإنما استحققه لأنه أجدر به، فهو الكبير ابن الأكابر .. فرق بين النائحة الشكلى والنائحة الأجير.

إن البلاد العربية المحررة في ربيع الثورات من بطش الدكتاتوريات قد خرجت بحريتها مثقلة بأزمات في كافة القطاعات، أزمات اقتصادية وسياسية وتعليمية وصحية وبيئية ... ولا يقدم على تحمل تلك المسؤولية إلا رجل رضي بهذا الهم الثقيل لأن عقيدته الإسلامية تحتم عليه ذلك، أو رجل يراها ثروة مستباحة لا صاحب لها، فنرجو من الله تعالى أن تكون كافة القوى الإسلامية على قدر المسؤولية وعلى قدر حسن الظن بهم، ونضرع إلى الله تعالى أن يعينهم على تحمل هذا العبء الثقيل الذي تنوء به الجبال الرواسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

أزمة رئيس مصر القادم

مع بداية فتح باب الترشح لانتخابات رئيس مصر القادم تطل على مصر أزمة من نوع جديد تضاف إلى كم أزماتها الرهيب من سياسية واجتماعية واقتصادية. وجوهر الأزمة ينحصر في عدم ظهور الشخصية التي تجتمع عليها غالبية الآراء وتستحوذ على القلوب، رغم أن موعد الانتخابات الرئاسية على الأبواب، ويفصلها عن أيامنا أشهر قليلة، بل إن الأحداث المأساوية الأخيرة في مجزرة بورسعيد، واستمرار أزمات الغاز والبنزين وتدني مستوى الخدمات رغم مرور أكثر من عام على الثورة .. كل هذا جعل المواطن المصري البسيط يعزف عن السياسة والحديث عنها، خاصة وأن القنوات المحلية الإخبارية صار شغلها الشاغل إحداث الزوابع السياسية وتهيج الرأي العام ببرامج حوارية لا عمل لها إلا التحليلات والانتقادات والتوقعات ولا شيء يتغير على أرض الواقع، حتى ترسخ في حس غالبية المصريين البسطاء أن السياسة مجرد كلام في كلام.

ومما زاد الطين بلة «حكومة الجنزوري» الضعيفة، والتي برهنت الأحداث المتعاقبة أنها لا تختلف كثيرا عن حكومة عصام شرف سابقتها، وصار الطابور الخامس والذي يسميه المصريون «اللهو الخفي» أكثر حركة وإفسادا وتخريبا دون أن ينجح أحد في تحديده ماهيته بالضبط، أو القبض على عناصره المفسدين، لدرجة أن لجنة تقصي الحقائق التي أرسلها مجلس الشعب لبورسعيد لم تأت بجديد عما ذكره الإعلام، والكل أجمع على تورط الأمن وعناصر من فلول الحزب الوطني في التخطيط والتحريض والتمويل لهذه المجزرة الكروية التي راح ضحيتها ٧٥ من شباب مصر، لكن وللأسف لم يحدد أحد الفاعلين الحقيقيين، وما زالت النيابة تتولى التحقيقات كالعادة، الأمر الذي جعل أحد المحللين السياسيين يصف مجلس الشعب بمجلس الخطباء.

مسألة ضعف حكومة الجنزوري المتراخية داهية كبرى أصابت المواطن المصري بالإحباط رغم أنه جاء لإنقاذ حكومة شرف الضعيفة، ومعه كل الصلاحيات لترتيب الأوضاع كما يحلو له، لكن أثبتت الأشهر الماضية أن هناك نوعا من الوهن الخفي يصيب مفاصل تلك الحكومات بالعرج، والغريب في القضية أن هذا الوهن لا يعرف أحد أسبابه ولا مبرراته، وبات مقفرا في حس الناس أن يد تخريبية تعمل في الخفاء، وهي يد قوية وذات نفوذ، والبعض يرجعها للمجلس العسكري والآخر يحيلها إلى لواءات وزارة الداخلية من الموالين لمبارك ووزيره العدلي، لكن تبقى الحقيقة غائبة.

وعموما الإنجازات التي تحققت انحصرت في تفريق سجناء سجن طره من أزام النظام السابق في مختلف سجون مصر، وتجهيز مستشفى طره لنقل المخلوع إليها، وهذه الإنجازات رغم أنها لا تعني المواطن الكادح في شيء، إلا أن ثمنها كان فادحا من دماء ٧٥ شاب قتيل.

خلاصة الأمر أنه بعد مرور عام من الثورة المصرية بات المشهد السياسي باهتا، والأزمات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية في تصاعد، وما يحاك في الخفاء أكبر مما هو باديا في الواقع، وكلها أمور محصلتها فتور الحس السياسي عند المواطن المصري، وكل هذا صب بدوره في موضوع المرشح الرئاسي القادم، فباتت غالبية الجماهير غير معنية بهذا الأمر.

وفي مجمل المشهد يبقى اللاعب الرئيس محصورا في الناخب الإسلامي سواء من حزب الحرية والعدالة أو حزب النور السلفي، لأنه ناخب صاحب قضية تاريخية مفادها أن الخير في سياسة الدنيا بالدين، ولذلك اقتضت مشاركة التصويت في انتخابات مجلس الشورى الأخيرة على هذا الناخب، لأن المواطن العادي غير مقتنع إطلاقا بجدوى هذا المجلس، إلا أن هذا الناخب الإسلامي أيضا مشتبك، فالنور السلفي يدعم المرشح الإسلامي حازم صلاح أبو إسماعيل، في حين يرفض الإخوان تماما أي مرشح إسلامي تجنبنا للصدام مع القوى الغربية المتربصة أساسا بمصر، وهذا من شأنه أن يفتت الأصوات الرئيسية في هذا الموضوع.

أما آخر الأزمات فتكمن في عدم نجاح الإخوان شعبيا وحدهم في دعم المرشح الذي يقترحون لرئاسة مصر، لأن المصريين ليسوا كلهم من جماعة الإخوان المسلمين، وهذا الاكتساح الانتخابي الذي حققه حزب الحرية والعدالة لا يعني بالضرورة أن غير الإخوان لم يشاركوا في هذا النجاح، وهذا أمر معلوم جيدا، فالإخوان لا يملكون تنظيميا هذا الكم الهائل الذي اختارهم، وإنما تركز النجاح بالأساس على تدين الشعب المصري وحرصه على أن يتولى زمام أموره من يتقي الله تعالى فيه، وإن كان البعض أعرض عن السلفيين لتشددهم كما يرى من وجهة نظره، فهو بالتالي انتخب الإخوان الأكثر مرونة كما يحلو أن يصفهم البعض، إلا أن كل هذا لا يصب بالضرورة في مصلحة من يزيه الإخوان لمنصب الرئاسة، لأن الفتور السياسي السالف الذكر سيؤثر سلبا على العدد الذي انتخب الإخوان في مجلس الشعب.

الخلاصة أن موضوع الرئاسة فقد زخمه المطلوب، وأطراف العملية الانتخابية لا يملكون حسم الأمر وحدهم، فإذا أضفنا إليه غياب الشخصية المتألقة التي تبهر العقول والقلوب، صارت كلها أزمات بعضها فوق بعض تزيد من صعوبة اختيار رئيس قادم لمصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى فخامة الرئيس «محمد مرسي»

أخي وسيدي الدكتور / محمد مرسي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

لا أكتب إلى جنابكم من أحياء القاهرة الراقية، ولا من شاليهات شواطئها الخلابة، ولكن أكتب إليكم من وسط طبقة الكادحين الذين يأكلون الفول والطعمية، ويركبون المواصلات العامة المزدحمة، ويقضون ثلث أعمارهم في طابور الخبز المدعم، ويتناولون في مرضهم أدوية التأمين الصحي وهم يعلمون جيدا أنها شبه خالية من فاعليتها.

أكتب إليك مصورا للمزاج الشعبي العام الذي بدأ يتململ من رتابة حكومتكم وكسل وزرائكم حيث يجمع كل الكادحين بأنه لا شيئا ملموسا قد تغير ولا إنجازا فعليا قد تحقق سوى ما يراه البسطاء على شاشات التلفاز من إنجازات عامة بالقبض على تشكيل عصابي أو مهرب مواد بترولية أو أسلحة .. أو غير ذلك.

أكتب لك وقد بدأت قناعات سلبية تتسرب إلى نفوس المواطنين بأن الثورة لم تؤت أكلها وأن حكومة قنديل ضعيفة وأن جنابكم ليس برجل الدولة المنشود ولا بفارس المرحلة المطلوب.

أكتب إليكم بقلب صاف ونصيحة لوجه الله تعالى وحب دفين لشخصكم ولهذا البلد الطيب، ولي عدة وقفات أعرضها على فضيلتكم بهدوء، بعيدا عن صخب الفضائيات وبريق الكاميرات وفلسفات النخبة التي ملئت الدنيا ضجيجا ولم تعمل سوا عدها يوما في رحلة بناء هذا الوطن العتيد.

(أولا): أنت تمثل لنا مشروعا إسلاميا بتنا سنوات طوال نحلم به في أن نرى شريعتنا واقعا يدير مجتمعنا المسلم لا مجرد نظريات على الورق لا تراوح مكانها ..

لقد تربينا على أن الإسلام عقيدة وشريعة وأن حكمه أفضل الأحكام والعيش في كنفه جنة الرضوان في الدنيا والآخرة، لكن حالت أنظمة علمانية دون تحقق هذه الأمنية عقودا عديدة وسنوات مديدة، وها هي اليوم الفرصة مواتية، والشعب قد اختارك بدافع من إيمانه وإسلامه، فأنت تمثل مشروعا إسلاميا أكثر منه تنمويا، ولو فشل فسيكون فشل لا كأي فشل، خاصة وأن الشامتين كثر والحاquدين أكثر.

(ثانيا): كلنا يدرك حجم المحنة التي ألقىت على عاتقكم، وأتون الفساد الذي وقعت فيه بلا ماء ولا زاد، وتشعب الفاسدين في كل مفاصل الدولة ممن تسممت دمائهم بالحرام ولا خلاص لتطهيره إلا بالتخلص منهم بالكلية وتنحيتهم جانبا عن موقع المسؤولية .. كل هذا واضح ومفهوم لدى العامة قبل الخاصة، ولكن المرحلة تحتاج لبصيص من النور ولو ضئيل، ومسحة من الإنجازات ولو خفيفة باهتة، وخطوة للأمام ولو خطوة بسيطة متعثرة، حتى يطمئن المواطن أن الثورة أشرق بصيص نورها، وأن عجلة العمل بدأت تدور ولو على وجل.

(ثالثا): أي إنجاز ولو متواضع لن يتحقق إلا من وزارة قوية ووزراء أكفاء يفهمون المطلوب منهم جيدا، وهذا مكن الخلل، ولب الداء، والفتح الذي نصبه لنا الليبراليون والمغرضون، ووقعنا فيه للأسف، ففي بداية توليكم لم يجد الشائتون سبيلا للهجوم إلا التشديق بمفاهيم «أخونة الدولة» و «سيطرة فصيل واحد على الحكم» وأنكم -أعزكم الله- ألعوبة في يد المرشد، وكأن فضيلة المرشد هو العدو الخفي للأمة الذي يناصبها العداء .. كل هذا اضطرركم لاختيار فريق العمل الرئاسي من كافة أطراف المجتمع والبعد الضمني عن رموز مشاهير، فقدمنا ترضية الأعداء على اختيار الأكفاء، فغابت الإنجازات وحلت الإخفاقات، حتى إذا مرت الأشهر سراعا، بدأ الجميع من محب وكاره يبحث عن الثمرة التي لم تظهر حتى الآن، بل وجد الحاقدون السبيل للهجوم المبرر والمقنع لدى العامة والخاصة.

(رابعا): مصر الآن وبعد أشهر من توليكم تحتاج خطة إنقاذ فورية وعاجلة، خطة سريعة يقوم عليها فريق عمل من نوع خاص وفريد، بصرف النظر إلى انتماءاتهم، فريق كوماندوز يشق عباب الظلام ويرسل لملايين هذا الشعب الخفير بصيص من

الإنجازات الفورية، ولو حتى الإنجازات التي لا تحتاج إلى ميزانيات ضخمة بل إلى ترتيب أوضاع واجتثاث جذور الفساد وتيسير الممكن من أمور المواطنين الحياتية، وإليكم بعض الأمثلة:

تغيير المحافظين ورؤساء الأحياء فوراً واختيار نخب ثورية تتبنى مشاكل الجماهير.

تشكيل فريق استشاري في كل وزارة يعمل على تخفيف الإجراءات الروتينية وحذف الرسوم المبالغ فيها من رواسب العهد البائد.

إلزام أساتذة الطب والاستشاريين بالتواجد الدائم في المستشفيات للكشف على الجماهير الغفيرة وعدم ترك المرضى الغلبة نهبا لتجربة وتعليم صغار الأطباء، مع نشر كبار الأطباء في الوحدات الصحية بالقرى لتخفيف العبء على المستشفيات المركزية.

تجريم التلاعب بدقيق الخبز بعقوبات رادعة والإشراف على الشروط الصحية للمخابز، والبدء بإنشاء مخابز مركزية عملاقة بأحدث التقنيات لإنتاج رغيف آدمي بشكل مكثف.

إصدار مرسوم رئاسي بالبت في القضايا خلال عام واحد فقط، وزيادة عدد القضاة بتعيين أوائل دفعات كلية الحقوق وليس التعيين بالوساطة أو المحسوبة أو أبناء العاملين كما كان من قبل. وتوفير رواتب القضاة الجدد بتخفيض رواتب مافيا القضاة الحاليين التي أثقلت كاهل ميزانية الدولة، فليس من المعقول أن قاض من خريج كلية الحقوق وهي آخر الكليات في السلم الجامعي يتقاضى مرتب مائة طبيب من زبدة المجتمع وأوائل الطلبة وصفوة العقول. وفي حال رفض القضاة للعدالة الاجتماعية يفصل المعارض ويعين آخر من المحامين الأكفاء ممن مارس المهنة لعشر سنوات على الأقل مع اجتياز امتحان متخصص للتعين.

بيع الكتاب الجامعي للطلبة بسعر التكلفة وعدم تركه نهبا للصوص الأساتذة الذين يتاجرون به على أبناء الغلبة.

والنماذج عديدة وبسيطة ولا تنتهي، أشرنا لبعضها ليس من واقع تخصصنا، بل من واقع معاناتنا اليومية ومن نبض وفكر أبناء الشارع الذي لا يعنيه التأسيسية والدستورية ولا المهلبية، إنما يعنيه من يحتضنهم ويترفق بهم ويحنو عليهم بعدما أكلهم الظلم الجور أكلا.
فخامة الرئيس ..

شعبك هم ذخيرتك الفعلية، وهم رصيدك الذي سينفك وقت الشدائد وأمام الله تعالى يوم العرض عليه، وهو القانون والدستور والحكم والحق الذي لا حق غيره. شعبك أولى أن تأخذه في كنفك وأن يكونوا عصاتك التي تضرب بها كل مظاهر الفساد.

وصدقني لو أحبك الشعب بعطفك عليه سيكون قوته أكبر من قوة جيشك وحرصك، وسيكون سهما ضاربا تقذف به من شئت ممن يعرقل مسيرة البناء. فهل من قطرات إنجازات فورية تبل بها عطش هؤلاء الظمأى الذين أضناهم طول العطش.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى القيادة الجديدة ..

لا تغردوا خارج السرب الجماهيري

تتوالى الأحداث سراعاً بعد انطلاق ثورة يناير المصرية المباركة، وتأبى الإرادة الشعبية أن تعود لحظيرة القهر مرة أخرى، وتصر في نضوج ووعي منقطع النظير على أن لا تنكسر إدارتها أمام سياسات التمييع والخنوع، أو أن يسرق أحد منهم صرح ثورتهم الذي شيدوه بدماء أبنائهم الذكية.

ففي مساء يوم الجمعة ٢٠١١/٩/٩ اقتحمت جماهير المتظاهرين الغفيرة السفارة الإسرائيلية وحطموا الجدار العازل الذي أنشأته حكومة المجلس العسكري!! إثر مقتل ستة جنود مصريين على الحدود الإسرائيلية بديران الغدر الصهيوني، وتقاعس القيادة المصرية عن اتخاذ قرار حازم يصون كرامة الشعب ويكرم الشهداء البواسل من أبنائه.

لقد انتهكت القوات الإسرائيلية السيادة المصرية مرتين، الأولى عندما دخلت أرض سيناء تحت ذريعة مطاردة بعض المتورطين في عملية إيلات، والثانية عندما قتلت ستة جنود مصريين وهي تعلم مسبقاً أنهم ليس لهم أي علاقة بهذه العملية، وكانوا يؤدون واجبهم في حفظ الأمن وحراسة بيضة الوطن.. هذا الانتهاك كان يتطلب موقفاً مصرياً قوياً أقله طرد السفير الإسرائيلي من القاهرة، وتخفيض التمثيل الدبلوماسي لإسرائيل في مصر.

حادثة الاقتحام أرسلت رسالة قوية وواضحة لكل المتآمرين على الثورة من الداخل والخارج .. رسالة مفادها أن هذا الشعب له من الوعي السياسي والنضج الفكري ما لا يقبل التشكيك في قدراته وتهميش رأيه وإرادته أمام آراء الخبراء الاستراتيجيين والمفكرين السياسيين والمحللين المخضرمين.

لقد حاولت كل هذه القوى آنفة الذكر تجاهل مشعر الشعب، وكرهه الدفين والمنطقي تجاه هذا الورم السرطاني الذي نبت في منطقة الشرق الإسلامي، هذا

الكيان الصهيوني الغادر، الذي حاولت سياسات التمييز وجهود فقهاء القانون الدولي وخبراء العلاقات الدولية من رضاء ألبان الغرب وممن يدينون بالولاء للبيت الأبيض أو الأحمر .. حاولوا تجريعنا هذه الغصة المرة الكريهة على غير رغبة منا، وتوطيد العلاقة بهم عن طريق التبادل الدبلوماسي، ورفع علم الكيان الصهيوني في قلب القاهرة المعز على سفارتهم، متجاهلين مشاعر الجماهير المسلمة الصادقة ضد لصوص المسجد الأقصى، وقتلة أبنائنا في غزة وفلسطين ورفع.

ومما زاد الطين بلة أن يُقتل جنودنا البواسل بغير جرم ارتكبوا، وتنتكر القيادة المصرية الجديدة لهذه الفعلة النكراء، ويأتي الرد باهتا لا يشفي غليلا ولا يبرأ مكلوما، في نفس الوقت الذي تتخذ فيه القيادة التركية الواعية تصرفا يحافظ على شموخها ويصون كرامه أمتها.

لم تعي القيادة الجديدة الدرس، وأصغت لآراء الانهزاميين من خبائها، وتجاهلت مشاعر الأغلبية الساحقة من الجماهير، ووقعت في نفس الخطأ التاريخي من تمجيد لآرائها وتسفيه للرأي الشعبي العارم، واحتكرت لنفسها حق فهم الأحداث والحكم عليها وإصدار القرارات بشأنها، وكأنها هي الأعلم والأفهم والأكثر دراية بمجريات الأمور ودهاليز السياسة، وهذه الشعوب غوغائية ساذجة تحكمها عواطفها أكثر من عقولها، وأنها لم تصل إلى مستوى من الرقي الفكري السياسي كما كان يزعم النظام السابق.

ومما يثبت سذاجة هذه القيادة بعد ردها الباهت -أو قل المشين- على حادثة الاغتيالات الصهيونية، أن رئيس الوزراء المصري استقبل مهنئا الشاب الذي تسلق بناية السفارة الإسرائيلية ومزق العلم الإسرائيلي، وأعطاه محافظ الشرقية شقة، وكأنها أرادت أن تستخف بالشعب عامة، وأسر الشهداء خاصة، وتعطيهم مساحة من التنفيس لا تتجاوز المساحة المعطاة لطفل صغير من قبل والديه، مساحة «الإدانة» و «الاستنكار» و «الشجب» التي عودتنا عليها القيادة العربية طيلة عقود مضت في تعاملها مع الأحداث الجسام، خاصة مع الكيان الصهيوني المدلل.

وأعجب من هذا التصرف الرسمي، خروج طغمة من خبراءنا القانونيين الدوليين والمحللين -زعموا- على كثير من الفضائيات يندروننا بأشد العواقب، ويخوفوننا جرأتنا على قانونهم الدولي المقدس، وأن إسرائيل سوف تنتهز هذه الفرصة لتركيع مصر وإذلال شعبها.

يبدأ أحدهم بعبارة مشينة قائلا: «بغض الطرف عما حدث» فإن هذا الاقتحام جريمة دولية لا تغتفر، ومخالفة صريحة لمواثيق «فيينا» الدولية، وانتهاك لجزء من الأراضي الإسرائيلية الاعتبارية، وإجهاض لهيئة الدولة المصرية .. وغيرها من العبارات التي تحمل مرارة وحزن دفين على من يدينون لهم بالولاء من أبناء القردة والخنازير.

«بغض الطرف عما حدث» .. تلك العبارة المفتاحية التي تلغي الجرم الصهيوني على حدود مصر، والتجسس على شعبها، والتلاعب بمقدراتها.. تلك العبارة السحرية التي تهون جرائم الاحتلال في الماضي والحاضر، وتلغي أي مناقشة أو حصر لهذه التصرفات اليهودية الحقيرة.

«بغض الطرف عما حدث» ... يرى الخبراء المغاوير أن هذا الاقتحام يضر بمصر وبسمعة مصر.. لكن الشعب -راجع الرأي- يرى غير هذا: يرى دماء أبنائه أغلى من هذه المجادلات الجافة التي تنضح بالعمالة والخيانة.

الآن صار هناك قانونا دوليا، واستحضروا معاهدة «فيينا»، واستنجدت إسرائيل بأمريكا لإنقاذ سفارتها .. الآن يتحرك العالم، ويستنجد بالقانون الدولي. فأين هذا القانون يوم احترقت غزة وسلب المسجد الأقصى؟! بل أين هذا القانون الدولي أمام الفيتو الأمريكي الذي سوف تستخدمه لاحقا ضد إعلان الدولة الفلسطينية.

لقد أثبت هذا الشعب المصري الطيب الطاهر الواعي أن له من الحنكة السياسية ما ليس لهؤلاء الفقهاء الدوليين من أبناء جلدتنا، وله من الكرامة ما لا يقبل الضيم، وهذا هو الذي يخيف أعدائه منه، وأنه لن يعود بعد اليوم لحظيرة التطبيع وليكن ما يكون.

لقد أثبت هذا الشعب للقيادة الجديدة أنه جدير بالمشورة، وحساب ألف حساب لمشاعره ورغباته الصادقة والشريفة، وأن من الخطأ لهذه القيادة التغريد خارج

السرب الجماهيري، وإلا سيقع ما لا يكن في الحسبان.. فاللهم أبرم لهذه الأمة أمر
رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه
عن المنكر، ويحكم فيه كتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين .. اللهم آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن أولاً

في الصباح الباكر دخلت عربة القطار كعادتي اليومية في طريقي إلى العمل.. أخذت مقعدي المعتاد .. كان الوقت مبكراً، وبدأ الركاب يتوافدون على المقاعد من حولي، والغالبية منهم ما إن تأخذ مقعدها حتى تبدأ في فتح الجرائد الصباحية وتقليب صفحاتها بشغف منقطع النظير .. كنت أتأمل العناوين العريضة في الصحف من حولي، وجميعها لا شغل لها ولا هم إلا متابعة أخبار الثورة المصرية وآخر مستجداتها وأحداثها الملتهبة.

محاكمات ومراجعات ومناقشات وصولات وجولات وتقنيات وتعديلات، بل ونوادير من أحداث الثورة وتبعاتها .. كان الغليان هو السمة الغالبة على الأحداث والإعلام وحتى الأحاديث الجانبية بين الناس.

وفي خضم هذه المعمة أدت بصري فإذا بشاب يجلس بجواري -لم أتفطن له من قبل- وكان مستغرقاً في القراءة في المصحف، فانتابني شعور بالسكينة والمهابة والقناعة أن هذا الشاب الحدث قد وجد طريقه الصحيح من دون الجالسين المطالعين لموجات الصحف الهادرة.

نعم «القرآن» هو البداية الفعلية والمنطلق لأي تغيير نحو الأفضل، وهذا ليس تحيزاً أعمى للقرآن أو عصية لديني، بل إنها قناعة تؤيدها قواعد المنطق وشواهد التاريخ على مر العصور

لماذا القرآن أولاً؟

لأن القرآن وحده هو القادر على تأليف القلوب وتجميع الكل في البوتقة الإيمانية الغالية، يقول ابن خلدون -رحمه الله- عن الطبيعة العربية: «العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان

الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك. وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهى لقبول الخير، ببقائه على الفطرة الأولى، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة، كما ورد في الحديث» [مقدمة ابن خلدون]

ولا يخفى على أي لبيب أن التشرذم والتفرق المخيم على كل أطراف الأمة هو الذي أوردتها موارد الضعف والهوان .. حتى بتنا نسمع في رحاب أمتنا الإسلامية التليدة عن يساريين وشيوعيين وعلمانيين وليبراليين، والكل يجهر بمعاداة الله تعالى وشرعه جهاراً نهاراً دون أدنى استحياء أو خوف أو مهابة، تحت مظلة حرية التعبير، والرأي والرأي الآخر .. وغيرها من الشعارات التي أسيئ استخدامها، حتى بدت غريبة على أسماعنا وأعرافنا وتقاليدنا وأحكامنا، بل لا يجد فريق منهم أي غضاضة من التصريح بالتخوف من قفز الإسلاميين على السلطة ورفضهم الصريح لحكومة دينية تحكم بشرع رب البرية.

وأذكر على سبيل المثال تأكيد دار الإفتاء المصرية على موقعها على الإنترنت بفتوى رقم ٢٩٢٣٩٩ .. بأن التشريع الإسلامي يصلح للحكم بين البشر وأن قول خالد منتصر «إيه دخل الله في السياسة» بأنه سوء أدب مع الله ولو كان يقصد أن التشريع الإسلامي لا يصلح للحكم بين البشر فهو يكفر بذلك.

يأتي هذا حيث أرسل أحد المسلمين سؤالاً لدار الإفتاء المصرية، حيث أرسل لهم حلقة مع العلماني (خالد منتصر) والدكتور صبحي صالح حيث قام خالد منتصر بالهجوم وسوء الأدب، وقال: «إيه دخل الله في السياسة» مما اعتبره المشاهدون هجوماً وسوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فأرسل سؤالاً بحكم ذلك، فكان رد دار

الإفتاء المصرية هو: «هذه المقولة خطأ وهى من سوء الأدب من صاحبها، ويجب أن يعلم قائلها أنه إذا كان يقصد أن التشريع الرباني لا يصلح للحكم بين البشر فهو يكفر بذلك».

إننا بدون القرآن لن نجتمع، وإن لم نجتمع فلن نقوم لنا قائمة، قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون} [آل عمران: ١٠٣]

أي: وتمسكوا جميعاً بكتاب ربكم وهدى نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم -أيها المؤمنون- قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم -بفضله- إخواناً متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجّاكم من النار. وكما بين الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك يبين لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتتهدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها [التفسير الميسر]

القرآن يقدم العلاج الرباني الفريد لإصلاح النفوس وتزكيته بما يمثل تربة نقية طاهرة وقاعدة صلبة راسخة تتفاعل بإيجابية وحب وشغف مع أي إنجازات مستقبلية. قال قتادة: (إن هذا القرآن يدلكم على دلائكم ودوائكم، فأما دوائكم فالذنوب، وأما دوائكم فالاستغفار).

فبدون تربية قلوب طاهرة ونفوس مؤمنة لن نتمكن من تشيد صروح الإنجازات، لأن أي عملية بناء تحتاج ابتداء إلى من يتعامل معها بفطرة نقية وضمائر حية ويعطيها من إخلاصه ما يهون عليها العقبات والكبوات.

القرآن يمتلك خطة إصلاحية فريدة منقطعة النظير، تتميز بربانية المصدر الله وثبات المنهج ومسيرة الواقع وشمولية الأحكام، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] أي لا

يجد الطعن سبيلاً إليه من جهة من الجهات فيتعلق به، متلبساً بالحجج التي تدفع كل باطل، وبالعادل حتى ينتفي به جُور كل مائل.

يقول ابن القيم: «الكتاب المبين الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبراً، ونأمله تبصراً، ونسعد به تذكراً، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجتنى ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه من أشجاره ورياحين الحكم من بين رياضه وأزهاره، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرق له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عبادته إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول فلا يغلق إذا غلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيع به الأهواء، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه ولا تقلع سحائبه ولا تنقضي آياته ولا تختلف دلالاته، كلما ازدادت البصائر فيه تأملاً وتفكيراً زادها هداية وتبصيراً، وكلما بجست معينه فجر لها ينابيع الحكمة تفجيراً، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، وحياة القلوب، ولذة النفوس، ورياض القلوب، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بالمساء والصباح: يا أهل الفلاح حي على الفلاح، نادى منادى الإيمان على رأس الصراط المستقيم {يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم}

أسمع والله لو صادف آذانا واعية، وبصر لو صادف قلوباً من الفساد خالية، لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها آراء الرجال فأغلقت أبوابها، وأضاعت مفاتيحها وران عليها كسبها فلم تجد حقائق القرآن إليها منفذاً، وتحكمت فيها أسقام الجهل فلم تنتفع معها بصالح العمل، واعجبا لها كيف جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الإغذاء بكلام رب العالمين ونصوص حديث نبيه المرفوع أم كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب وخفى عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب،

واعجبا كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها، ومقبولها ومردودها، وراجحها ومرجوحها، وأقرت على أنفسها بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من كلام من كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان وكلام من أوتي جوامع الكلم واستولى كلامه على الأقصى من البيان.

كلا بل هي والله فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدتها، وحيرت العقول عن طرائق قصدتها، يربى فيها الصغير ويهرم فيها الكبير.

وظنت خفافيش البصائر أنها الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون، والنهاية التي تنافس فيها المنافسون، وتزاحموا عليها وهيهات، أين السهى من شمس الضحى، وأين الثرى من كواكب الجوزاء، وأين الكلام الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم من النقل المصدق عن القائل المعصوم، وأين الأقوال التي أعلا درجاتها أن تكون سائغة الإتياع من النصوص الواجب على كل مسلم تقديمها وتحكيمها والتحاكم إليها في محل النزاع، وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحذر من النصوص التي فرض على كل عبد أن يهتدي بها» [التفسير القيم لابن القيم]

القرآن يقدم للأمة أحكاما وتشريعات ربانية تختلف عن التشريعات الوضعية بقدسيته التي تأخذ بشغاف القلوب فتعلم يقينا باطلاع الله عليها ومراقبته في السر والعلن، وهذا ما لا يتوفر في القوانين البشرية.

ولذلك لا غرابة أن نسمع عن: أعداء الثورة، والثورة المضادة، والالتفاف على الثورة، والتهجم الصريح على الإسلاميين، ومحاولة جرهم إلى أتون الفتنة الطائفية، والحقدهم عليهم لأنهم أكثر شعبية وتنظيما وامتلاكا للقلوب .. نسمع عن الفلتان الأمني، والاعتصامات الفئوية، والفساد الإعلامي الذي لا يتقي الله في الخبر ولا التحليل .. نسمع عن الكثير من إفرازات غياب التربية الإيمانية.

إنه من السهل جدا صياغة قوانين تنظم المرور والبناء والصناعة والزراعة .. ولكن من الصعب صياغة قطاعات بشرية تمارس هذه القوانين بدون عملية تربية إيمانية. إن خلق القانون أيسر بكثير من خلق شعب واعي.

إذن منطلقنا لابد أن يكون تربوي، إيماني، رباني، وهذا ما يقدمه القرآن ولا يقدمه
ما سواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحى التي لا تطحن شيئاً

قال الرئيس التونسي السابق ورئيس حزب «حراك تونس الإرادة» المعارض محمد المنصف المرزوقي إنّ "ديمقراطية بلاده مغشوشة ومهددة"، منتقداً بشدة أداء الأحزاب الحاكمة التي تولت السلطة عقب الانتخابات التشريعية والرئاسية أواخر عام ٢٠١٤.

وأكد المرزوقي أنّ "الديمقراطية مهددة بتوافق سياسي مغشوش" في إشارة لحكومة الوحدة التي تشكلت قبل أيام بمبادرة من الرئيس الباجي قائد السبسي خلفاً لحكومة الصيد.

وأضاف أنّ "هناك محاولة لتسويق صورة خاطئة عن تونس في الخارج بكونها الاستثناء، لكن الحقيقة غير ذلك، فالثورة قد أجهضت بشكل ناعم"، على حد تعبيره. وتابع: "أنا كمعارض سياسي أنبه العالم الخارجي بأن الصورة التي يسوقونها على تونس خاطئة فالديمقراطية مغشوشة ومهددة".

وانتقد المرزوقي بشدة تعاطي الأحزاب الحاكمة مع الأوضاع الاقتصادية التي زادت تدهوراً بسبب "تفاقم المديونية وغياب التنمية وانتشار الفساد"، على حد تعبيره. وكلام المرزوقي واقع متوقع .. أما توقعه لأن تونس لم تأخذ بمقومات النهضة التي تقوم عليها الدول، وبالأخص المعايير الدينية والأخلاقية، تزامنا مع المعايير السياسية والاقتصادية، وهذا الذي تعمد المرزوقي غض الطرف عنه بحكم ليبراليته المفرطة، حيث ينادي المرزوقي -مثل سائر الليبراليين- "بضرورة فصل الدين عن الدولة لأن كل تجربة تاريخية لكل الشعوب تثبت أن المزج بينهما دوما يقع لصالح الدولة التي تستعمل الدين كغطاء للاستبداد، فالدولة بطبيعتها سياسية والسياسة صراع مصالح، والدين داخل هذه المنظومة ليس سوى ورقة في يد الفرق السياسية".

وإذا تطرقنا لحالة المجتمع التونسي نجد العجب العجاب لبلد المفترض أنه عربي مسلم، لكنه في حضيض المنظومة الدينية وأخلاقية -إلا من رحم الله- مما

جعلها في جفوة بينها وبين السماء، وسلبت التوفيق الذي لن تناله إلا برضا العزيز الرحيم، مدبر الأمر، وموفق أهل طاعته، ومذل أهل معصيته.

لقد كانت السنوات الأخيرة التي تلت ثورة يناير ٢٠١١ في تونس، أصعب فترة على المستوى الاقتصادي، إذ تدهورت مؤشرات الاستهلاك والإنتاج في كل القطاعات، نتيجة ارتفاع الأسعار وتآكل القدرة الشرائية للمواطن. غير أن الكحول والسجائر حصراً حافظت على عرشها في سلم الاستهلاك، وهو ما أثبتته منشورات حكومية ودولية كان آخرها التقرير الصادر عن منظمة الصحة العالمية. فقد رصد نسق استهلاك الجعة والخمور في مختلف دول العالم، حيث جاءت تونس في صدارة الدول العربية بمعدل استهلاك سنويّ تجاوز ٢٦ لتراً للفرد الواحد، بل تفوّقت على دول أوروبية، كفرنسا وألمانيا وإيطاليا.

وبعكس جيرانها الأوروبيين، لم تفرط الدولة في هذا القطاع، بل تمسكت باحتكار إنتاجه وتوزيعه ليتحوّل إلى أحد أهمّ موارد الدولة وآلية أساسية في تعديل عجز الموازنات العمومية.

كما أكدت «الغرفة الوطنية التونسية، لمنتجي وموزعي المواد الكحولية» أن مليوني تونسي من بين "سكان تونس البالغ تعدادهم ١١ مليون نسمة" يستهلكون ٢٠٠ مليون قارورة خمر، و ٣٠٠ مليون علبة وقارورة جعة سنوياً.

وفي تونس الدعارة ليست من المحرمات، فالقبالات والمداعبات بين الجنسين متاحة في شوارع العاصمة دون خجل، وفي أزقة المدينة العتيقة بالعاصمة تونس، وبالقرب من جامع الزيتونة، محلات بغاء رسمية تحتل زقاق «عبد الله قش» .. وظاهرة الدعارة بشكل علني ظاهرة نادرة في بلد عربي.

لقد ألهم محل البغاء السينما التونسية أفلاماً جعلت منه مكاناً مميزاً مفعماً بالأحلام .. وفي السابق حين لم تكن الحريات الجنسية متوفرة بقدر كبير، كان المكان مثالياً للتجارب الجنسية الأولى للشبان، لكنه اليوم صار معظم رواده من الطبقة الكادحة .. ممارسة البغاء قانونية في عبد الله قش، وفرق صحية تعتني بالمومسات.

مهنة المومس في بطاقة الهوية الوطنية «موظفة في وزارة الداخلية»، وأغلبتهن في الأربعين من العمر تقريبا، فقراء المنشأ. تعرفهم المصالح البلدية جيدا، وتوفر لهن بانتظام مراقبة وخدمات صحية.

ولعل أكثر ما يثير الدهشة هو مهنة «موظفات في وزارة الداخلية» التي تحملها بطاقات هويتهن لتفادي تعرضهن للمضايقة، ولتسهيل أمورهن الإدارية. ويقال أنهن في المقابل مصدر وشاية للشرطة، كما تدفع المومسات ضرائب، وهذا النظام فريد من نوعه في العالم العربي.

وبعض الفتيات التونسيات وجدن في ما يعرف بـ «رتق العذرية» أحد الحلول لتجاوز الممارسة الجنسية قبل الزواج وللتفاف على رغبة الرج التونسي في الزواج من شابة بكر، وهله من أن يتفطن بعيد الزواج بأن قريته ليست عذراء.. ولا تتطلب عملية زرع البكارة الاصطناعية في تونس مالا كبيرا، إذ تتراوح بين ٤٠٠ إلى ٧٠٠ دينار.

المرزوقي وسائر الليبراليين والعلمانيين لا يستسيغون مثل هذا اللون من النقد، خاصة وأن الرجل ربيب فرنسا طيلة ١٥ سنة، حيث تقدس العلمانية الغربية الحريات لدرجة الجنون، وبلا ضابط ولا حد، وترى أن المنظومة الأخلاقية والدينية عفا عليها الزمن، وأنها نوعا من القيود والرجعية.

فمتى يفهم هؤلاء أننا أمة لا قوام لها إلا بالدين، ولا وحدة لها إلا باليقين بشرع رب العالمين، وأن نهضتها معقودة بأخلاقها، وأن بهرج الحضارة الغربية يحمل في طياته عوامل فناء وانهاره.

إن التجربة التاريخية -التي يغالط حولها المرزوقي- لخير شاهد على حيوية الدين الإسلامي في تجميع المفترق، وتوحيد المتنافر، ورفع المتهاوي، وعصر سليمان القانوني ومحمد الفاتح، وصلاح الدين، ويوسف بن تاشفين، ونصر عين جالوت، وأكتوبر ٧٣ وغيرها وغيرها من المفاخر التي تناسها الليبراليون.

وهل تجربة أردوغان الفريدة بتركيا اليوم إلا تجربة إسلامية بامتياز، وتفرد في زمن الانبطاح العربي، وهل الدين إلا مراعاة الحقوق وأداء الواجبات، وبسط العدل على

الكبير والصغير والغني والفقير، ومجافاة الفساد والرشوة والمحسوبية واحتكار السلطة، ونبد الظلم بكافة أنواعه حتى ولو من قبل الطوائف والأقليات الأخرى.

إن الفكر الليبرالي يتجاهل عن قصد قوة التيار الإسلامي بالشارع العربي، وقدرته من منطلق عقيدته الراسخة في حكم شرع الله على تجاوز كبوات الأمة، وإلا فمن كان يملأ ميدان التحرير بمصر بملايين من أنصاره سوى التيار الديني، وحدث عن حشود رابعة، واكتساح الإسلاميين للانتخابات في الجزائر ومصر ولكن يد البطش لم تسلم لهم سلطة ولم تعط لهم فرصة.

لاشك أن هناك معركة شرسة على التيار الإسلامي، لكن المؤسف أن الليبراليين العرب طرفا فيها، في وقت نحن في أمس الحاجة للوحدة والتآلف، والمرزوقي نفسه لما سجن أربعة أشهر أفرج عنه بوساطة وتدخل من مانديلا الذي لم يتحرك للوساطة للإفراج عن الشيخ الفاضل «علي القطان» الذي قال لمبارك اتق الله فسجنه الطاغية ١٥ سنة ظلما وعدوانا .. لم يتحرك مانديلا لأن السجين مسلم محسوب على التيار الإسلامي، ولم يتحرك العالم تجاه مذابح بورما لأن الضحايا مسلمين، ولم يتحرك العالم لإنقاذ سوريا خشية وصول الإسلاميين للحكم وتهديد أمن إسرائيل، ولم يتحرك العالم لاستقرار ليبيا خوفا من الإسلاميين.

تونس لن تتقدم، شاء من شاء وأبى من أبى، وتونس عليها مراجعة هويتها وقيمها، والعزم على توبة أخلاقية تتم بها مصالحة مع السماء، وساعتها أبشروا بالنصر والظفر. هذا الكلام أعرف جيدا أن الساسة لا يفهمونه، وأن البعض لا يستسيغونه، وأنه ربما يكون نشازا في عالم السياسة الذي لا يفهم غير لغة المصالح، بل سيقول عني البعض أنني مغيب مجنون، ولكني مجنون -بزعمكم- تربى على قول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ... فقوم النفس بالأخلاق تستقم

إذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

بسم الله الرحمن الرحيم

المواطن كفر بالساسة وبالسياسة

المعاش للواقع الحياتي المصري في كافة شوارع وقرى ونجوع مصر، يدرك صورة مغايرة تماما عن الصورة التي يعرضها الإعلام وتشغل باله وتستحوذ على برامجه، حيث تفاقمت هموم المواطن على كافة الأصعدة وبات الوضع المعيشي مأساوي لدرجة لا تطاق، في بلد يقع ٤٠% من سكانه تحت خط الفقر.

فأبسط مقومات الحياة اليومية المتمثلة في «رغيف الخبز» صار معضلة ترهق الغني قبل الفقير، والمواطن يقضي ساعات كل صباح أمام المخبز، للحصول على رغيف أسود غير آدمي بالمرة، محشو بأرجل الصراصير أحيانا، وبالحصى أو الخيوط أو براز الفئران أحيانا أخرى، ويخبز في مخابز لا تتوفر فيها أدنى الشروط الصحية، هذا فضلا عن لهب الأسعار الذي طال كل شيء.

وحدث ولا حرج عن العملية التعليمية المنهارة، واعتماد رب المنزل على الدروس الخصوصية من أجل إتمام رسالته التعليمية مع أبنائه والتي تستنزف دخل الأسرة، أما المستشفيات الحكومية فلا تجد فيها إلا صغار الأطباء يجربون في الناس مختلف طرق العلاج، والأساتذة الكبار تواجدهم في عياداتهم الخاصة ذات الأجور المرتفعة، وإذا اضطرت لإجراء عملية جراحية وليست معك تكاليفها الفلكية في مستشفى خاص، فأنت مهدد في المستشفى الحكومي بالتلوث بفيروس C/سي الذي أصاب حتى الآن ٢٠ مليون مصري وشارف حد الوباء.

والحديث عن القضاء هو نوعا من الحديث عن المماطلات والتسويفات في قضايا تمكث في المحاكم سنوات مديدة دون الحصول على فصل فيها، والقائمون على المؤسسة القضائية والأمنية صفوة المجتمع الخبيثة المعينون بالرشاوى والمحسوبيات والأبواب الخلفية. وصار دعاء المصريين الغالب بأن يجنبهم الله الولايات الثلاث: «المدرس والمحامي والطبيب».

كل هذا الخضم من المعاناة جعل حياة المواطن العادي بعيدة كل البعد عن المهارات الإعلامية السياسية التي تثير الضجيج حول دولة الدستور والقانون، ودولة المؤسسات، ودور مصر الريادي في المنطقة، ومصر أم الدنيا، وعظمة مصر وجمال مصر وروعة مصر .. وغيرها من الشعارات الفضفاضة التي لا تجد لها صدى في وجدان المواطن المعدوم.

لقد كفر المواطن المصري بالساسة وبالسياسة، وعزف من قديم الأزل عن هذه الموضوعات السياسية لأنها في مخيلته نوعا من الترف الفكري والكلامي يقوم عليه شرذمة من إعلاميين ومحللين من أصحاب المنفعة الشخصية، والبطون المتخمة، والجيوب العامرة، والسترات الأنيقة، والسيارات الفارهة، حيث بلغ دخل أحد الإعلاميين السنوي من أحد القنوات ١٢ مليون جنيه، وما خفي كان أعظم.

خاصة وأن الواقع حول المواطن لا يتغير، فأيام السادات المأساوية لم تتغير كثيرا عن أيام جمال الذي كان يهمل بشعار «أرفع رأسك يا أخي فقد ولى عهد الاستعباد»، وأيام حسنى مبارك كانت أشد وأقسى من سابقتها، رغم الخطط الاقتصادية الخمسية، وتعاقب الوزارات، والخصخصة والكوزير والجات ... وغيرها من الأحلام التي عشناها عمرا مديدا يحدونا الأمل لغد مشرق لم يأت في يوم من الأيام.

كفر المواطن بالساسة وبالسياسة، وعزف عن المشاركة في الانتخابات، أو متابعة القنوات الإخبارية، أو الخوض في الأحاديث السياسية، لأنه يعرف دائما بأن الكلاب تنبح والقافلة تسير إلى وجهتها المظلمة.. من فقر إلى فقر، ومن أزمة إلى أزمة.

ثم قامت ثورة ٢٥ يناير المباركة، وانتفضت جموع الغلبة من فرط القهر والفقر والحرمان، وقدموا شهداء من خيرة إخوانهم وأبنائهم وسائر ذويهم، وتجدد الأمل في النفوس، وصار حديث الناس اليومي عن مسارات الأحداث .. الكل يتابع من الكبير حتى الصغير، ومن الغني حتى الفقير، والإحساس بنسيم الحرية بدأ يناسب إلى الصدور، وتخلص الناس من الخوف، وصاروا ينتقدون ويقترحون ويتجادلون ويحلمون.

لكن بات مترسحا في كافة أطراف المجتمع أن مصر ليست بحاجة إلى منظرين سياسيين أو مفكرين استراتيجيين أو محللين نابهين - كالذين تعج بهم الفضائيات

صباح مساء- بقدر ما هي في أشد الحاجة إلى من يتقي الله تعالى فيها، ويخاف الله تعالى في شعبها الكبير.

باتت السياسة في العرف الجماهيري هي مهارة وفن «محاربة الفساد» لا أكثر من هذا ولا أقل، خاصة وأن الكثير من دول العالم سبقتنا في التقدم، وما أكثر التجارب والنماذج الناجحة من حولنا لمواجهة مشاكلنا، لكن المعضلة فيمن يقتبس ويتبنى التنفيذ والإصلاح بشرف وأمانة ونزاهة ضمير وعفة يد.

ولذلك لم يكن غريبا ولا عجيبا على الشعب المصري المحافظ المتدين أن يركن إلى قادة ورموز التيار الإسلامي من أجل إدارة دفة البلاد، بحكم صبغتهم الدينية التي يعول عليها في أن تجنبهم الظلم والجور، وبحكم معاشتهم لواقع الناس في السراء والضراء، وبعدما ذاق الجميع من مرارة القادة العلمانيين ما يندى له الجبين طيلة عهود مظلمة مديدة، والتبعية المذلة للبيت الأبيض أو الأحمر.

كان الشعب المصري أعقل من كل الحملات الإعلامية المسعورة التي هيجها وقادها العلمانيون على مختلف قنواتهم الفضائية وصحفهم ومواقعهم الإلكترونية ضد التيار الإسلامي ورموزه .. تلك الحملات التي لا تعرف الكلل ولا الملل، وكلما خسرت جولة صارت أشد ضراوة وعداوة للدين وأهله، ولم تدع ساقطة ولا لاقطة إلا ضخمتها وشهرت بها في المحافل.

كان الشعب حكيما في استفتاء المبادئ الدستورية، وموفقا في اختيار أعضاء مجلس الشعب، مما أثار حنق العلمانيين، واتهموا الإسلاميين بالقفز على السلطة، وبين الهمز واللمز انهالت البرامج الحوارية لتتهم المصريين ضمنا بأنهم لا يفهمون في السياسة، وأنهم تحت تخدير الخطاب الديني، وتناولوا على رموز مصر من علماء الدين الأجلاء الذين هم نور مصر، بل ونور الدنيا كلها .. كل هذا الهجوم العلماني الشرس كان من برج عاجي ومن خلف الكاميرات وعلى كراسي الاستوديوهات المريحة، رغم غيابهم المشبوه عن واقع الناس وميدان التحرير، وإفلاسهم في تقديم شيء نافع يذكر للجموع الغفيرة.

إن العلمانيين يعلمون جيدا أنهم لا يملكون قاعدة شعبية، لأنهم أبعد الخلق عن هموم الناس، وأكثر الخلق جريا وراء مصالحهم الشخصية، وأن الضجيج الإعلامي حول لجنة تأسيس الدستور أو رئيس مصر القادم أو سابقها من الوثيقة الحاكمة للدستور .. كل هذا لا يمكن أن يغير وجهة الشعب المصري الحكيم، وأنه لن يرضى بغير قيادة إسلامية بديلا، وهذا ما يؤكد الحشد الكبير الذي كان وراء الشيخ حازم صلاح إسماعيل إبان تقديم أوراق ترشيحه، فالرجل قام بأكبر استعراض للعضلات مصطحبا عشرات الآلاف من الأنصار الذين سيطروا على القاهرة لعدة ساعات، وهم يحملون أكثر من ١٥٠ ألف توكيل -أي ما يعادل خمسة أضعاف الرقم المطلوب- مما حدى بالواشنطن بوسط أن تقول: (إن مرشحي الرئاسة المصرية تقدموا بالتوكيلات إلا أبو إسماعيل الذي قدم أصحاب التوكيلات أنفسهم). هذا بالإضافة إلى الانزعاج الفظيع من ترشيح الإخوان لأحد رموزهم في سباق الرئاسة.

لقد كفر المواطن بالساسة وبالسياسة، وصار لا يعنيه صياغة الدستور الذي ظل طيلة حياة مصر السياسية حبرا على ورق، والالتفاف عليه من قبل أي دكتاتور سهل ميسور .. صار المواطن لا يعنيه زواج النائب السلفي من إحدى الفنانات، ولا مرشح الرئاسة الإسلامي الذي تحمل أمه الجنسية الأمريكية، ولا أن الإخوان نقضوا العهد ورشحوا رئيس لمصر منهم .. وغيرها من المهاترات الشوهاء الفاضحة في كذبها وتلفيقها. فليرح العلمانيون أنفسهم ويكفوا عن الضجيج.

إن الناس لن يؤثرها بعد اليوم سوى النتائج الإيجابية على الأرض، ولن يستحوذ على وجدانهم سوى من يذل لهم الصعاب ويمسح دموع محنهم التي أثقلت كاهلهم، بصرف النظر عن هويته الإسلامية أو العلمانية .. دقت ساعة العمل والعطاء، ولن يحكم مصر إن شاء الله إلا من يخدم شعبها .. فليكف العلمانيون عن الصراخ والعيول، فإنها عاصفة في فئجان لن تنني المصريين عن رغبتهم في اختيار من يضمن لهم مستقبل أفضل بإذنه تعالى ممن يعرفون لله حرمة ولهذا الشعب التقدير.

{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: ١٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلاب تنبح والقافلة لا تسير

في سبعينيات القرن الماضي كنت في بواكير الصبا، وأذكر أنه في إحدى اجتماعات الرئيس «السادات» بأعضاء مجلس الشعب، قام أحد النواب واشتكى للرئيس ضيق الأحوال الاقتصادية بالبلد، وكان مما قال له: أن البيضة وصل سعرها خمسة قروش!! .. طبعاً كان هذا المبلغ فلجياً بالنسبة لبد زراعي إنتاجي مثل مصر، مع محدودية دخول الأسر المصرية في هذا العهد .. هاج السادات وماج، وتبعته كل الأبواق الإعلامية التي كانت ليس لها هم ولا وظيفة سوى الإشادة بالنظام وإنجازاته، وقامت الدنيا وقعدت، واختفى هذا النائب عن الأنظار، والله وحده العالم كيف سارت به الأمور، ألى الإقالة من مجلس الشعب فقط؟ أم إلى الحبس أو ربما التصفية الجسدية؟.

فالسادات - مثله مثل كل الفراعين الذين حكموا مصر - كان فوق النقد، ولو حتى النقد البناء، والحوار معه فقط عن الإشادة بالبطولات والإنجازات التي قدمها لهذا البلد التي سعدت بأيامه ورفعت رأسها في حكمه، والنشرات الإخبارية كانت لا بد أن تتصدر بخبر عن سيادة الرئيس، بل بعبارة «السيد الرئيس» قام بافتتاح أو ألقى خطاب أو التقى بفلان أو سافر ... وهكذا.

أما ما هو دون الحوارات، فلا يوجد سوى تبجيل كل إمامه وإشارة للغالي المفدى، والتصفيق الحار أثناء كلماته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ورجال مخابراته منتشرون في القاعات يلمحون من لا يصفق - بل ومن لا يصفق بحرارة - فيوضع تحت المجهر الأمني، والله أعلم ما تؤول به الأحوال بعد هذا. قامت الدنيا وقعدت لأن الرئيس راجعه النائب المغوار، حتى ولو كانت المراجعة واقع معاش لا لبس فيه ولا أي خيانة ولا عمالة ولا انتهازية ولا ولا ... من قائمة الألفاظ التي اعتاد أن يلصقها النظام بمعارضيه.

لكن تبدل الحال سريعاً في عهد الطاغية حسني مبارك، فلقد أصم آذاننا بريادته في حرية الصحافة والإعلام، وأطلق حريات وهمية، وسمح للبعض بأن ينتقد أو يشجب أو يستنكر أداء الحكومات والوزارات المتعاقبة، لكن كل هذه التسخطات كانت لا تجد لها صدى، لا من مسئول ولا من الرئيس المفدى!!، وكان لسان حالهم يقول للأمة قاطبة: «الكلاب تنبح والقافلة تسير».

إلا أن ربك دوماً كان بالمرصاد، وهو سبحانه وتعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وتدخلت العناية الإلهية في ثورة ٢٥ يناير العظيمة، فخلع الشعب الطاغية، وأثبتت الوقائع أن الكلاب ما كانوا إلا حاشية النظام ورأسه الغاشمين، وليس هذا الشعب العظيم الذي تحمّل الكثير، ونسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته.

لكن بعد الثورة تجددت المآسي، وظهر طوفان المطالب الفئوية، فكل يوم ثورة أو إضراب أو اعتصام من شريحة معينة من المجتمع المصري تطالب بحقوقها في تحسين ظروف معيشتها، وكان آخرها إضراب المعلمين الذين رفعوا إلى ولاية الأمر مطالب عادلة جداً تشمل تطوير قطاع التعليم وتحسين الأجور، لكن كل هذه الحركات قوبلت بنفس فتور وسلبية النظام الدكتاتوري السابق، إلا أن هذه المرة تغير الوضع، فبرغم سلبيتهم وتركهم الكلاب تنبح بزعمهم، إلا أن القافلة لا تسير!!، وتعطلت الكثير من المصانع وخطوط الإنتاج وتوقفت العملية التعليمية في قطاع كبير من المدارس.

ولم تنفع مسكنات وزير التعليم برفعه شعار أن مطالب المدرسين عادلة إلا أن ميزانية البلد لا تسمح، بل إنه رد على مطالبة المدرسين بإقالته بأن معاليه لا تخيفه الإقالة، وأن الأمر عنده سواء، وهذا رد غير مسئول من قيادي لا يدرك حقيقة ما يقول، ولا يفهم طبيعة المرحلة في أنه من تولى أمراً وليس في حساباته التغيير للأحسن فلا داعي للتسرع بتوليّه، لأن رقابة الشعب لن ترحمه، على عكس الأيام الخوالي التي نشرت في كافة ربوع مصر فراعين طغاة على تنوع سلطاتهم وأحجامهم.

والحقيقة أن هناك الآن في مصر الثورة تيارين متضادين في الرؤية الإصلاحية، التيار الأول يرى بضرورة ترتيب أوضاع مصر أولاً وتهيئة المناخ لانتخابات نزيهة

لتأسيس مجلسي الشعب والشورى وتعيين رئيس مدني منتخب يقود البلاد، أما التيار الآخر فهو لا يصبر على شظف العيش وتتعاضم كل يوم مطالبه الفتوية بتحسين أموره الحياتية. وقل -إن شئت- أن التيار الأول تيار المترفين، والتيار الثاني تيار المعدمين. ورغم أن ترتيب أوضاع مصر السياسية والإدارية له الأهمية البالغة والقصوى، إلا أنه لا يمكن أن نتجاوز «أزمة الثقة المزمنة» بين الشعوب المقهورة وقيادتها.. تلك الأزمة الضاربة في أعماق التاريخ العربي من سنوات سحيقة، فربيع الثورات العربية ليس غريبا عن المنطقة، وفي كل ثورة ومع تغير القيادة يحدثونا عن المستقبل المشرق والأوضاع البائدة التي تبخرت وحل محلها النور والعدالة والتغيير، ثم تمر الأيام ولا يتحقق شيء، بل القاطرة العربية تتراجع يوما بعد يوم، حتى خرجت عن القطبان بالكلية، وصرنا شعوبا مستهلكة تعيش عالة على منتجات الآخر.

لم يأتي الربيع العربي يوما رغم الخطب الثورية والأناشيد الحماسية والأبواق الإعلامية، بل بعد الثورة المصرية أو التونسية أو الليبية انكشفت ملفات الفساد في صورة لا تكاد أن تصدقها العقول، وتناثرت على صفحات الجرائد وشاشات التلفاز مليارات ومنهوبات بشكل مريع وفظيع، والشعوب المقهورة لا تجد ما يسد رمقها.

هذه التجارب المأساوية خلقت -كما ذكرنا- أزمة ثقة مزمنة، وصارت الشعوب لا تريد الحديث عن المستقبل، بل تريد إنجازات ولو محدودة أو متواضعة، فثارت كل فئة تطالب بحقوقها الشخصية غير عابئة بقضية ترتيب الأوضاع السياسية كما يدعون، وظهرت العديد من العوامل والسلوكيات التي رسخت هذه الثورات الفتوية، ومن أبرز هذه العوامل:

- التصرف العقيم للقيادة الجديدة بعد الثورة، والذي لم يختلف عن سابقتها قبل الثورة، وكأن النظام القديم يستنسخ نفسه، مع تغير الوجوه فقط لا غير، وهذه المواقف الهزيلة للقيادة الثورية الجديدة لا تعد ولا تحصى من أهمها: تعنتها في تولية محافظ نصراني للمنيا كما دأب النظام السابق رغم الرفض الجماهيري، وموقفها الباهت من مقتل الجنود على الحدود مع الكيان الصهيوني وحادثة السفارة الإسرائيلية بقلب العاصمة المصرية، وعدم تبني سياسة تنمية ولو جزئية تشعر المواطن ببعض

التغيير ولو طفيف، بل ظهر مصطلح «حكومة تسير أعمال» وادعت أن كل الأيدي مرتعشة ولا تريد أن توقع على أي قرار، في منطق غريب لا ينطلي على أحد إلا السذج.

- عدم اتخاذ أي موقف إيجابي فيما يعرف بالرسوب الوظيفي، فبعض القطاعات الوظيفية وبعض المناصب رواتبها فلكية في حين أن قريناتها بنفس المؤهل والأقدمية مرتبها في الحضيض، ويكفي أن نعرف أن موظف مؤهل متوسط يعمل في قطاع النفط يعادل مرتبه مرتب عشرة معلمين، كما أن دخل أحد مستشاري وزير التعليم يعادل مرتب مائة موظف، ناهيك عن الهدر الغير معقول في ميزانية وزارة التعليم بين الكنترولات والعمولات وغيرها.

إن موضوع حكومة تسير الأعمال عذر أقبح من ذنب، فكيف للمواطن الغلبان أن يقبل بوزير أو محافظ في حالة سكون، وراتبه يتجاوز العشرين ألف جنيها شهريا أو ربما يزيد، وقطاع عريض من الشعب الله تعالى وحده هو الأعلم بحالهم.

وهل يقبل الشعب من غير الموظفين كل هذه الحركات ويقف متفرجا، فقطاع الموظفين بالدولة لا يتجاوز السبعة ملايين، وسائر العمالة في القطاع الخاص والمهن الحرة، وليسوا بأسعد حظا من الموظفين، بل الوظيفة في بلد كمصر حلم يراود الجميع.

أزمة الثقة بين الشعب والنظام لن تحل لا بقوانين ولا حتى بالدعوات للصبر والتروي حتى تخرج مصر من محنتها وكبوتها، خاصة وأن مصر عاشت قرونا سحيقة تحت مظلة الدساتير والقوانين والمجالس النيابية ولم يتحقق شيء.

أزمة الثقة لن تحل إلا بمبادرة القيادة -مهما كانت- لتقديم تغيير حقيقي، حتى ولو مرحلي أو تدريجي أو بطيء، المهم أن يشعر المطحونون أن بريق أمل دخل إلى صدورهم، وعقب من الحرية شمته أنوفهم، تغيير ولو بتهدة طوفان الفواتير الشهرية أو الرسوم الحكومية أو تسهيل لبعض الإجراءات الروتينية.

أما الحديث عن أن البلد دخلت في مرحلة صعبة واحتياطي النقد قد تقلص والبورصة تخسر يوميا مليارات، وفي نفس الوقت يستمر تدفق المرتبات الفلكية

لمحظوظي الموظفين، مع تكرار الدعوات بالصبر من طائفة المترفين، فهذا لن ينطلي
على المعدمين، وسيكون شعارهم دوما كما يقول المثل المصري: «إن خرب بيت أبوك
فخذ منه قالب».

بسم الله الرحمن الرحيم

الجودة مطلبنا

تمر مصر بمرحلة فارقة في حياتها بعد ثورة ٢٥ يناير المباركة وتولي د. محمد مرسي تلك المسؤولية الصعبة، الأمر الذي يحلو للبعض أن يسميه «الجمهورية الثانية»، وهم يعنون بالجمهورية الأولى جمهورية ثورة يوليو ١٩٥٢، لكن في تقديري أن هذه التسمية مغايرة للحقيقية، فثورة يوليو أثبتت الأيام أنها كانت أكذوبة كبيرة تبدلت فيها وجوه الإقطاع بضباط فراعين، شهدت مصر في عهودهم انتكاسات على كافة الأصعدة، ولا أنسى الفرعون الأول الذي كان مريضاً بالزعامة العربية، وهزمت مصر في عهده في حرب ٦٧ حيث قتل خيرة جنودها ودمر الجيش المصري عن بكرة أبيه، هذا فضلاً عن استنزاف رصيد مصر الذهبي في حرب اليمن، ومسرحية التنحي الهذلية.

ثم تلاه فرعون آخر توج نصره في حرب أكتوبر باتفاقية كامب ديفيد المشبوهة، وتحول بعد النصر إلى دكتاتور لا يعبأ بأحد، حتى أنه كان يشرب الحشيش في غليونه الشهير أمام كاميرات التلفاز وهو يخاطب الشعب، وفي عهده انتشر الحشيش انتشاراً لم تعرفه مصر في تاريخها، حتى بات يباع في محلات البقالة، كل هذا لأن الرئيس المفدى حشاش وصاحب مزاج فيه.

أما الفرعون الثالث فهذا أتم عملية تدمير مصر بالكامل إلى أن وصل إجمالي الدين العام تريليون دولار.

مصر فعلاً لم تشهد ثورة حقيقية إلا ثورة ٢٥ يناير، ولم تعرف رئيساً منتخبا بإرادة شعبية كاملة سوى أخي وأستاذي د. محمد مرسي، وكفي أن الجميع يدعون له صباح مساء أن يعينه الله على حمله الثقيل.

إنه أول رئيس يحبنا ونحبه، وهذه سابقة لافتة وهامة، حيث كانت الفجوة النفسية دوماً كبيرة بين الشعب وبين الفراعين السابقين في ظل أزمت الاقتصاد والقيم والصحة والتعليم .. والكثير مما لا يجهله داني ولا قاصي.

لكن في خضم أنشودة الإصلاح، وفي معمعة مشاريع النهضة الطموحة ينبغي أن نذكر بأننا لا نريد إصلاحات شكلية، إصلاحات ورقية، إصلاحات إعلامية .. بل نريد إصلاحا فعليا، قائم على تنمية حقيقية.

إننا في حاجة لإصلاح جذري لمناهج التعليم قبل إصلاح المباني التعليمية وزيادة أعدادها، وإصلاح للكادر التعليمي من مدرس الابتدائي إلى دكتور الجامعة الذي هو الآن على غير المستوى المطلوب، إلا من رحم الله، بل مستوى خريجي الجامعة في الحضيض .. شهادات بلا كفاءات، ومظهر أقرب منه للجوهر.

ونحن في حاجة لرعاية صحية حقيقية لا رعاية كمية نزيد فيها عدد المتفعين من الخدمات الصحية العامة، دون أن نلتفت لتحسين مهارات الأطباء ومستويات جودة الأدوية، ولعلنا نتذكر الهيئة العامة للتأمين الصحي الحالية.. تلك الهيئة الفاشلة التي ينضوي تحت لوائها أطباء غالييتهم لا يعتنون بالمرضى إلا إذا زاروهم مسبقا في عياداتهم الخاصة، أما الأدوية فالكل يعلم -ويسكت- بأنها أدوية مغشوشة لا تحتوي إلا على النذر اليسير من المادة الفعالة، وبالتالي فنتائجها سرابية كارثية، حيث لا تعالج مريض ولا تبرئ علة، حتى صار المتعارف بين الناس أن المرضى الحقيقيون لا يذهبون للتأمين الصحي، بل هو ساحات للتمارض والحصول على إجازات وهمية من العمل.

ورغيف الخبز كما هو في أشد الحاجة للتوفير يحتاج أيضا لتحسين، فالمخابز في مصر أشبه بمراحيض المياه، لا تعرف أي شيء عن معايير النظافة الصحية، ولا أنسى أبد هذا المنظر اليومي المروع عند عودتي مساء إلى منزلي حيث أمر في طريقي على أحد المخابز وأشاهد أرتال الفئران التي تدخل من الشباك ذو السلك المتهالك إلى غرفة العجين، حيث تتجول على أحواض العجين الذي سوف يخبز أرغفة في الصباح الباكر، والناس تأكل وتغض الطرف عما تشاهد، وقاتل الله الفقر الذي أطعمنا رغيف خبز لا يناسب والله المواشي فضلا عن الإنسان.

والقائمة الإصلاحية والتحسينية تطول وتطول، لكن لا يفوتني أن أذكر بأن النظام السابق كان من أشد أعداء النجاح، فما إن يمتلك مواطن سيارة جديدة -مثلا- حتى يواجه شريحة عالية من الضرائب والرسوم بحجة أنه طالما قادر على شراء سيارة فهو

قادر على تسديد هذه الرسوم، وهكذا من يمتلك عقار، أو ينشئ مصنعا، متناسين أن هذه الشريحة من الناجحين أولى أن ندعمهم ونقف بجوارهم، لأن المصنع سيفتح بيوت آلاف من العمال الموردين والموزعين وما شابه ذلك، والعقار سيرزق بسببه عشرات العاملين في مجال التشييد والبناء .. وهكذا.

ولا أنسى أبدا فراعين مصر السابقين في عيد العمال وهم يقفون بين الجموع ليلقوا خطبا عصماء طويلة في الإنجازات التي حققتها، والمواطن المسكين لا يرى منها شيئا في شئونه الحياتية، ثم يختتم الحفل بصراخ الحاضرين «المنحة يا ريس» فيأمر جنابه بهذه الصدقة على موظفي شعبه، أما العامل الحر فلا يسعه إلا أن يتفرج على هذا المشهد المهين.

إننا في حاجة لعمل حقيقي لا عمل ديكوري نصفق له في المحافل وأمام الشاشات وهو خال من الثمرة الفعلية على أرض الواقع، نحتاج لحفنة من الصدق، والتطلع للأحسن، والانحياز لمصلحة المواطن، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم أن يتقنه».

بسم الله الرحمن الرحيم

سير السلحفاة عاقبته وخيمة

من أبرز سلبات النظام المصري السابق أنه أعرض عن تملل الجماهير، وأعطاهم (أذن من طين وأذن من عجين) كما يقول المصريون في لغتهم الدارجة .. لقد أصم نظام الطاغية مبارك الآذان عن أنات المعذيين الذين يمثلون الأغلبية الساحقة، ولم يترك إلا مساحة محدودة للنقد الإعلامي من أجل التنفيس عن الكبت العام، ولعل فيلم (طباخ الرئيس) من أبرز الأمثلة على هذا، حيث صور الفيلم الرئيس بالشخص النموذجي المحاط بمجموعة من الفاسدين المخادعين، وبالتالي برأ الرأس واتهم الجسد، في محاولة تضليلية إعلامية لم تقنع الجموع المعذبة أن تشور وتخلع النظام برمته.

أما الآن فالأجواء ثورية والرئيس منتخب بإرادة شعبية، والمجلس العسكري قد بات في طي النسيان، وقد كان يرى كثيرون أنه العقبة الكئود أمام الرئيس المبجل (محمد مرسي)، وأنه سلب من الرئيس صلاحياته، وصار في أيامه رئيسا مكبل اليدين. تهيأت الأمور، وتشكلت الوزارة، وفشلت مليونية الفلول الأخيرة جمعة ٢٤/٨/٢٠١٢، وصارت الأمور في يد حكومة تمثل التيار الإسلامي المشهود لرموزه بالنزاهة ونظافة اليد والتي كانت المعضلة الكبرى في رموز النظام السابق.

لكن الغريب في الأمر والعجيب في سير الأحداث أن مسيرة الإصلاح تسير ببطء غير مبرر، ورجل الشارع لا يدرك تغيرا حياتيا ملموسا، اللهم إلا إنجازات عامة لا يسمع عنها إلا من وسائل الإعلام .. إن زيارات رئيس الوزراء المفاجأة لبعض أقسام الشرطة عمل جميل وإنجاز لم نتعود عليه من مائة عام، ولكن كم قسم شرطه فاجأه رئيس الوزراء، في قطر كبير كمصر مكتظ بألوف الألوف من أقسام الشرطة في شتى ربوعه، فلماذا لم تتغير اللوائح التنظيمية التي تحكم مسيرة هذه الأقسام، ولماذا لم تتحسن مستوى الخدمات التي تقدم للجماهير الوافدين عليها.

رغيف الخبز من السوء والقذارة كما هو، وكل ما تحركت له هممة الوزير الجديد هو إنتاج رغيف محسن بعشرة قروش في بعض المناطق على سبيل التجربة، هذا في الوقت والعالم كله ينتج الخبز وفق خطط وتجارب ناجحة، ونحن مازلنا نجرب ونغض الطرف عن سرقة الدقيق المدعوم، وتجميع الخبز لعلف المواشي.

وأنا عن نفسي كموظف حكومي لم تصلنا حتى الآن أي تعليمات جديدة تريح المواطن، كتسهيل الإجراءات الروتينية أو تخفيض الرسوم أو تحسين مستوى التجهيزات الخدمية. رغم تعيين وزير جديد من المفروض أن يفهم دوره جيدا، وما هو قادم عليه.

وبالله عليكم ما الذي يعيق الوزراء الجدد عن البدء بهمة ونشاط في تغيير الأوضاع الأساسية الحياتية للجموع الغفيرة .. ما العائق الذي يمنع تنشيط دور الوحدات الصحية بكافة القرى وتدعيمها بكوادر طبية مكدسة في مستشفيات المدن التي كلت وملت من شدة الزحام .. ما العائق أمام تنظيم اللوائح البيروقراطية في كافة المصالح الحكومية لتحقيق خدمة للجمهور في سرعة وإتقان .. ما العائق الذي يمنع القضاة عن البت في ملايين القضايا المعلقة بالمحاكم منذ سنوات مديدة .. ما العائق الذي يحول دون وصول القطارات في مواعيدها، ووصول الدعم لمستحقه .. ما العوائق؟ رغم أن كثير من الإنجازات تنظيمية لا تحتاج لميزانيات ولا لقروض من البنك الدولي.

إن الحديث عن معوقات الفلول وفساد الطغمة الحاكمة المتغلغلة في مفاصل الدولة صار حديثا من الماضي، وصار منطق لن يقنع المواطن كثيرا في ظل إطلاق يد الحكومة الجديدة من كافة القيود والمعوقات.

أما إرسال وفد عال المستوى لحضور جنازة رئيس وزراء أثيوبيا، وإصدار مرسوم بإلغاء الحبس في قضايا النشر، والقبض على زعيم عصابات الإسكندرية الأكبر، والبحث عن توفيق عكاشة لمحاكمته .. وغيرها من الأحداث التي لها مردود عام، لكن الجزيئات الخاصة التي تمس حياة المواطن ما زالت مهمشة في مواقف غير مبررة تماما.

إن ساعة الحساب باتت قريبة وعسيرة في نفس الوقت، وهي ساعة ينبغي لصناع القرار في مصر أن لا يغفلوا عنها، خاصة وأن قطاع كبير من المصريين مترصد للمشروع الإسلامي، بل ويتمنى له الإخفاق، بل منهم من على استعداد للتكر للإسلام نفسه -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، ولا ننسى أن نصف المصريين قد انتخبوا شفيق أحد أقطاب الفلول، وأن كل المعارضين يتلعون ألسنتهم الآن ليس إلا انتظارا لبعض الوقت من أجل إتاحة الفرصة للحديث عن الإخفاقات دون اتهامهم بالعجلة والتسرع. إننا نريد حكومة تتغلغل سريعا في حياة المواطن لوقف نزيف عمره المتسارع، ونريد حكومة توحد الصفوف خلفها عبر إنجازات تزيد من قناعة الجماهير بها وبمشروع نهضتها، ونريد كوادِر وقيادات بلا مكاتب ولا حاشية يتجولون في حياة الناس إصلاحا وتوجيها.

قربت ساعات الحساب التي يعلو فيها صوت العمل على أي صوت .. فلماذا نسير سير السلحفاة ونحن نعلم يقينا أنه سير عاقبته وخيمة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

عفوًا .. المواطن لن ينتظر قدوم الإصلاحات

بعد مرور أكثر من خمسة أشهر على الثورة المصرية، فوجئ الجميع مؤخرًا بانتفاضة شبابية ثانية في ميدان التحرير حدثت خلالها مواجهات عنيفة بين المتظاهرين وأفراد الشرطة كان ضحيتها أكثر من ألف جريح منهم أربعين فردًا من الشرطة .. تعددت الروايات والتحليلات عن دوافع هذه الانتفاضة الصغرى، فالمتظاهرين يمثلون عائلات ضحايا ثورة ٢٥ يناير المباركة، ويقولون إن اعتصامهم مرة أخرى في ميدان التحرير للتعبير عن استيائهم من تأخر محاكمة أفراد الداخلية من ضباط وعساكر الذين أطلقوا النيران في ثورة التحرير على ذويهم، والبعض أعرب عن امتعاضه من بطئ الإصلاحات في كافة قطاعات الدولة، ولا يخفي البعض الآخر منهم وجود مندسين من بلطجية وأذئاب للنظام السابق حاولوا تركية الأحداث وإشعال نار الفتنة بين الشعب وبين الحكومة.

ورغم العديد من التحليلات والمعالجات لاحتواء الموقف إلا أنه لا بد أن نلفت النظر إلى أن «أزمة الثقة» بين الشعب والحكومة ما زالت قائمة ومترسخة في النفوس، رغم الثورة التي أزاحت النظام السابق وأذنبه .. هذه الأزمة ترسخت في النفوس نتيجة حوادث تاريخية عديدة ضاربة في أعماق التاريخ المصري، بل والكثير من الأنظمة العربية الحاكمة الآن.

ففي عهد الملك فاروق شهد المجتمع المصري تغيرات للوزارات بسرعة رهيبية، وما أن تسقط وزارة وتتولى أخرى حتى يحدو الجميع الأمل في غد جديد وعهد مجيد، ولكن الليل الذي أرخى سدوله لا يريد أن ينجلي، حتى قامت ثورة ١٩٥٢م وهلل الجميع فرحا وأملا، وكان شعار الثورة آنذاك: «أرفع رأسك يا أخي فقد ولى عصر الاستعباد»، وكان الزعيم الملهم يوجب المشاعر المتحمسة بخطبه الرنانة معلنا أنه سيلقى إسرائيل في البحر!!، رغم أنه ظل طيلة حكمه لم يطلق جيشه رصاصة واحدة على العدو الصهيوني، بل تسببت الإدارة الفاشلة والمستتهرة في نكسة ١٩٦٧م

وموت آلاف من خيرة جنودنا في صحراء سيناء، وتدمير الطيران المصري في أحداث معروفة للجميع.

ثم توالى حكومة أخرى قادت حرب أكتوبر المجيدة إلا أنه لم تمر أيام على النصر حتى بدأ «الزعيم المؤمن» - كما كانوا يسمونه- في المفاوضات مع الكيان الصهيوني، ونفض يده من الأمة العربية قاطبة وعقد الصلح المهين مع العدو في اتفاقية «كامب ديفيد» الشهيرة.

ثم توالى حكومة النظام السابق وصدعت رؤوسنا بشعار «صنع في مصر» واستبشر الجميع خيرا بفكرة تدعيم عجلة الإنتاج المحلي، لكن ما لبث هذا الشعار أن اختفى من الوجود، بل وتم بيع معظم المصانع والشركات الوطنية في عملية «الخصخصة» بغية إصلاح الاقتصاد المتعثر، وإن كان رئيس حرب أكتوبر قد أرانا شظف العيش بدعوى تجهيز الجيش المصري الذي انهار عن آخره في نكسة ٦٧م، فالرئيس المخلوع لم يحارب قط، بل كان «كنزا استراتيجيا» للعدو الصهيوني، وكل ما كان يملك من أمجاد هو الحديث عن الضربة الجوية الأولى التي ما كان يمل من حكاياتها والحديث عنها في كل مناسبة، من فرط إفلاسه من أي إنجازات.

عموما مسيرة الإنجازات كانت غائبة إلا من الخطب الرنانة للزعماء الملهمين وأبواق الإعلام الرسمي، والمواطن لا يشعر بأي تقدم ملموس في أي قطاع سواء التعليمي أو الاقتصادي أو الاجتماعي .. رغم الخطط الخمسية، وتعاقب الوزراء والخبراء .. ومن هنا نشأت هذه الأزمة المزمنة من عدم الثقة بين الشعوب والأنظمة التي كانت لا تحدثهم إلا عن المستقبل المشرق الذي لم يأتي في يوم من الأيام.

استلمت «حكومة ثورة يناير» الشعب وقد استفحلت عنده أزمة الثقة، بل فاض به الكيل ولم يعد له طاقة تستوعب الكلام عن الأمل الجديد، وصار لا يعرف غير أرض الواقع .. إن أي حديث مع الشعوب المقهورة عن أي خطة مستقبلية إصلاحية بات مرفوضا من الخاصة قبل العامة، وصارت لغة الحديث عن الإنجازات القادمة لا تستهوي الجماهير الغفيرة، وسواء شرع (زويل) في بناء مدينة العلوم أو لم يشرع، أو زادت عائدات الدخل القومي أو لم تزد، كل هذا لا يساوي عند المواطن شيئا ما دام

يحصل على رغيف الخبز اليومي بشق الأنفس، وما زالت أكوام الزبالة مكدسة في الشوارع، وما دام يرى الإهانة اليومية في المواصلات وكافة دواوين الحكومة ...

ثم أن أزمة الثقة تلك لها ما يرسخها ويدعم تواجدتها في النفوس حتى بعد الثورة، خاصة وأن الجماهير ترى بأم عينها رموز النظام السابق يتواجدون وبكثافة بأدوار مشبوهة حتى المحبوس منهم، فالرئيس المخلوع لا يقدر عليه أحد، ويصر على الإقامة في مستشفى شرم الشيخ، متحديا مشاعر العامة والخاصة، وصار الحديث عن مرضه أو عدم مرضه سخافة لا تقنع طفل، خاصة وأن من هو أشد مرضا منه قابع في زنزانته من سنين لا يأبه به أحد، ومن طريف المواقف أن أحد المساجين أضرب عن الطعام مطالبة بمساواته بحسنى مبارك في المعاملة.

أضف أن موضوع المحاكمات صار لعبة سخيفة لا تنطلي على أبله فما بالك بالعقلاء، فالآن يحدثونا عن سيادة القانون، رغم أننا عشنا عهدا بقانون طوارئ كان عمليا لا يعمل به، وكانوا من أرادوا أن يأخذوه للجحيم أخذوه وألقوا به في غياهب السجون بدون محاكمة أصلا .. الآن يحاكم رموز النظام السابق بالقانون الذي ظهر بقدرة قادر، وبين مداولات ومرافعات ضاعت حقوق الناس الغلبة رغم أن الكل يعرف أن هؤلاء الطغمة المحبوسة غارق في الفساد ولا تحتاج لمثل هذه الأحداث السينمائية لإثبات إدانتها، وهل من المعضلة أن يتم احتجاز زوجاتهم وأبنائهم كأمانة ويطلق سراحهم فيسافروا ويحضروا أموالهم من بنوك الغرب والتي نهبها من الشعب المسكين، وذلك بمعاونة المخابرات المصرية.

وهل من المعضلة أن يتبنى الوزراء والمحافظون الجدد سياسة تخفيف المعاناة عن كاهل المواطنين ويتم فورا تخفيض فواتير المياه والكهرباء والتليفونات ولو بنسبة ١٠%.

وهل من المعضلة أن تتبنى الحكومة مشروع رفع الزبالة من الشوارع أو تيسير الحصول على رغيف الخبز بكرامة، أو تحسين مستوى الخدمات الإجرائية بالدواوين الحكومية.

هذا غيض من فيض، وربما هي أفكار في نظر البعض ساذجة، لكنها لن تكلف الحكومة دينارا ولا درهما، خاصة وأن الاقتصاد متعثر، لكنها ستشعر المواطن ولو مبدئيا أن هناك ثورة، وهناك بدايات جيدة.

لكن أن يظل إعلامنا من صحافة وفصائيات لا هم وشغل لهم إلا عرض الفرقعات الإعلامية من أخبار المحاكمات والتجاوزات للنظام السابق فهذا -وللأسف- لن يجدي شيئا.. بالله عليكم ما العائد الذي حصلته أنا كمواطن لما تم سجن وزير الداخلية السابق حبيب العدلي ١٢ سنة، وما العائد لو كان الدستور قبل الانتخابات البرلمانية أو العكس.

متى ندرك حقيقة معاناة المواطن في أزمة الثقة بينه وبين الأنظمة، ونداوي العلة بشيء من المكاسب العملية ولو قليلة بما يتناسب مع طبيعة المرحلة.
والله ولي التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أروع الأذان في مجالس الأعيان

صدع النائب ممدوح إسماعيل بالأذان في مجلس الشعب المصري في سابقة جديدة في تاريخ مجلس الأعيان، وقامت الدنيا وقعدت وكأن صوت الحق آلم الأذان وشوش الأسماع، وصارت بليلة غير مبررة في برلمان يصفه المحللون السياسيون بأنه «برلمان يميني» تسيطر عليه القوى الدينية فيما يعرف بظاهرة تصاعد تيار الإسلام السياسي.

برر النائب الفاضل تصرفه بقوله: «أنه تحدث من أول جلسة في البرلمان مع الدكتور محمد سعد الكتاتني عن ضرورة رفع الأذان في المجلس أو وضع إشارة خاصة بذلك».

وأشار العضو: «للعلم أن هناك ٥ ٪ من النواب من القاهرة والجيزة، والباقي من باقي المحافظات، وهذا سبب أن تضع علي الصلاة أكثر من مرة».

وأضاف إسماعيل: «أنه بالأمس قام بتذكير الكتاتني بصلاة المغرب، فقام الكتاتني بإرسال رسالة إلي قال فيها: أنه سيرفع الجلسة ولم يرفعها إلا بعد ٥ ٤ دقيقة، واليوم فوجئت بصلاة العصر بعد أن رُفعت الصلاة بكثير، ولم يرفع الجلسة، فقررت أن أضع حداً لذلك، وقمت برفع الأذان للإشارة على أن هناك صلاة».

لكن كل هذه المبررات لم تقنع البعض الذين هاجوا وماجوا، وقام شيخنا (السيد عسكر) فصال وجال وتشدق بأدلة في غير موضعها، حتى أن ممدوح إسماعيل نفسه قال مستغرباً: «فوجئت بكلام الشيخ سيد عسكر مفتي الإخوان داخل المجلس يتكلم بأن يجوز جمع الصلاة أثناء العمل، ولكن استعجب من ذلك وقد قال الله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}».

واستطرد النائب ممدوح قائلاً: «لو ترك الأستاذ الكتاتني التعقيب لكنت وضحت هذا، ولكن هو اتهمني زوراً بأني أقوم بعمل شو، وهذا ما لا اقبله، وللعلم هذه هي الجلسة الثالثة التي أ منع فيها من الكلمة».

لقد طلب الشيخ سيد عسكر رئيس اللجنة الدينية بالمجلس الكلمة، ووقف وأفتى، بعدم تعطيل الجلسات بسبب موعد الأذان والصلاة، أو حتى ترك الجلسة للذهاب للمسجد، وأنه قبل حضوره جمع بين صلاة الظهر والعصر. وهذه فتوى غريبة، وتساهل معروف عن الإخوان المولعون بالعمل السياسي والذين يهونون في سبيله الكثير من شعائر الدين، حيث يرونها برأيهم فرعيات لا تجور على أصول الدين. أما الدليل الذي تشدق به الشيخ سيد عسكر فهو حديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في صحيح مسلم قال: «جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر»، قيل لابن عباس: ما أراد إلى ذلك؟ قال أراد أن لا يخرج أمته.

قال الترمذي: أجمعت الأمة على ترك العمل بهذا الحديث، ورد النووي ذلك بأن جماعة قالوا به بشرط أن لا يتخذ ذلك عادة وعليه بن سيرين وأشهب وابن المنذر وجماعة من أصحاب الحديث واختاره أبو إسحاق المروزي والقفال الشاشي الكبير من أصحابنا، ومنهم من تأوله على أنه جمع بعذر المرض أو نحوه مما هو في معناه من الأعذار وعلى هذا أحمد بن حنبل واختاره من أصحابنا القاضي حسين والمتولي والرويانى والخطابي، قال النووي: وهو المختار المقوى في الدليل لظاهر الحديث ولفعل ابن عباس وموافقة أبي هريرة، ولأن المشقة فيه أشد من المطر. قلت: واختاره بعد النووي السبكي والإسنوي والبلقيني وهو الذي اختاره وأعتمده، ثم قال النووي: ومنهم من تأوله على أنه جمع بعذر [الديباج على صحيح مسلم ٣٣٤/٢]

وقال الحافظ في الفتح: وقد ذهب جماعة من الأئمة إلى الأخذ بظاهر هذا الحديث فجوز الجمع في الحضر للحاجة مطلقا لكن بشرط أن لا يتخذ ذلك عادة، وممن قال به ابن سيرين وربيعه وأشهب وابن المنذر والقفال الكبير، وحكاه الخطابي عن جماعة من أهل الحديث انتهى، وذهب الجمهور إلى أن الجمع لغير عذر لا يجوز وأجابوا عن حديث الباب بأجوبة.

قلت: فمن اشترط من الفقهاء أن لا يتخذ الجمع عادة ماذا سيقول لهم الشيخ سيد عسكر في مسيرة الدورة البرلمانية الممتدة لخمس سنوات مقبلة، وما بعدها وهكذا!!!.

يقول الشيخ ابن عثيمين في معرض الحديث عن هذا الأثر: من أسباب الجمع أيضا إذا كان هناك شغل يشغل الإنسان بحيث يكون مثلاً في دراسة والحصّة تكون في وقت الصلاة ويشق عليه أن يدعها ويذهب إلى المسجد أو يبقى يصلي فله أن يجمع، وهذا يحتاج إليه الناس في غير هذه البلاد لأن هذه البلاد وله الحمد إذا آذن خرج الناس يصلون لكن في بلاد أخرى في بلاد الكفر.

وهذا نظر ثاقب من الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-، وتجسيد للواقع، فديار الإسلام يصدع بها الأذان خمس مرات يومياً، والمساجد عامرة بالمؤمنين عكس ديار الغرب، فلا أدري والله ماذا سيقول الشيخ سيد عسكر عن مصر، أهى ديار إسلام أم ديار كفر!! لكي يترخص بمثل هذا الدليل الذي ساقه؟

قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢] أي فقد حلت التقوى قلبه بتعظيم الشعائر لأنها من تقوى القلوب. أي لأن تعظيمها من تقوى القلوب. [التحرير والتنوير ١٧/١٨٦] وإنما ذكرت القلوب، لأن المنافق قد يظهر التقوى من نفسه وقلبه خال عنها، فلهذا لا يكون مجداً في الطاعات، وأما المخلص الذي تمكنت التقوى من قلبه فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص. [الباب في علوم الكتاب ١١/٤١٦] فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله. [تفسير السعدي ١/٥٣٨]

والشيخ سيد عسكر يعلم جيداً أن الصلاة من أعظم شعائر الله، فما الذي يحول بين المجلس وبينها، ولماذا لا يعطل جلساته لنصف ساعة بعد كل أذان، خاصة وأنه لا يمنعه ضرورة ملحة ولا هلكة محققة، وأن هذا سنة متبعة في كافة المصالح الحكومية بمصر، حيث يذهب من شاء من الموظفين للصلاة دون حرج، أليس أولى بقيادة

الجموع أن يكونوا قدوة، ولا يقيموا الدنيا ويقعدوها على أمر هو معلوم من الدين وأشهر من أن نذكر به.

إنها مصيبة غير مبررة على الإطلاق، وأزمة كان العقلاء من نواب الأمة في غنى عنها، وجدال أضاع أوقاتنا التي نحن في أمس الحاجة إليها للخروج من المأزق الراهن، لكن على ماذا تساوون.. على الصلاة لرب الأرباب؟! سبحانه وتعالى، فلا توفيق إلا توفيقه، ولا مدد إلا من عنده، ومن يظن غير هذا فهو واهم.

إن الانجراف في العملية السياسية أتاح للكثير في مهاجمة السنن، وهذا منطق غير صائب، فالدين كتلة واحدة لا يمنعنا عن شموليته إلا ضرورة ملجئة أو مضرة محقق، وإلا فإطلاق اللحي والسواك والثوب القصير والشرب ثلاث مرات من الإناء ... وغيرها من معالم الهدى المحمدي لن تكون أبدا عقبة في وجه تقدم أمة الإسلام، فلا داعي أن ننحيا جانبا ونقدم التنازل تلو الآخر حتى تضيع هويتنا بالكلية.

يذكر فضيلة الشيخ القرضاوي عن الأستاذ حسن البنا هذا الموقف فيقول:

فقد كانت هناك زاوية يلقي فيها الأستاذ دروسه .. ويقول الأستاذ البنا: وفي إحدى الليالي شعرت بروح غريبة، روح تحفز وفرقة، ورأيت المستمعين قد تميز بعضهم من بعض، حتى في الأماكن، ولم أكد أبدأ حتى فوجئت بسؤال: ما رأي الأستاذ في مسألة التوسل؟ فقلت يا أخي، أظنك لا تريد أن تسألني عن هذه المسألة وحدها، ولكنك تريد أن تسألني كذلك في الصلاة والسلام بعد الآذان، وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وفي لفظ السيادة للرسول -صلى الله عليه وسلم- في التشهد، وفي أبوي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأين مقرهما؟ وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها إلى الميت أو لا يصل؟ وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطرق وهل هي معصية أو قرينة إلى الله؟ وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعها التي كانت مسار فتنة سابقة وخلاف شديد فيما بينهم، فاستغرب الرجل، وقال: نعم أريد الجواب على هذا كله!

فقلت له -والكلام للأستاذ البنا-: يا أخي، إني لست بعالم، ولكني مدرس مدني أحفظ بعض الآيات، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الأحكام الدينية من

المطالعة في الكتب، وأتطوع بتدريسها للناس. فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أخرجتني، ومن قال لا أدري فقد أفتى، فإذا أعجبك ما أقول، ورأيت فيه خيرا فاسمع مشكورا، وإذا أردت التوسع في المعرفة فسل غيري من العلماء والفضلاء والمختصين.. ثم التفت الأستاذ للحاضرين قائلا: ... هذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين، ولا زالوا مختلفين، والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة، ويكره منا الخلاف والفرقة، فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الأمور الآن، وتجتهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده، ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وإرشاداته المجمع عليها، ونؤدي الفرائض والسنن وندع التكلف والتعمق، حتى تصفو النفوس، ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأي، وحينئذ نتدارس هذه الشؤون كلها معا. [في فقه الأولويات، القرضاوي، ٢٢٧-٢٢٨]

معنى هذا أن الأستاذ البنا -رحمه الله- والإخوان من بعده يرون مسألة الشريكات بالتوسل بالرسول أو البدع من زيادة ألفاظ في الآذان وشطط المتصوفة وغيرها من الأمور من التكلف والتعمق الذي لا طائل منه، لكن العمل السياسي والانتخابات النقابية والشعبية هي بيت القصيد، وهذا أوقعهم في أمية دينية اشتهروا بها في غالب أحوالهم، حتى باتوا لا يفرقون بين الخلاف المعتبر والغير معتبر أو ثوابت هذا الدين الذي لا يمكن التغاضي عنها.

عموما أنا أحيل الشيخ سيد عسكر لأي كتاب فقه إسلامي ليطالع أبواب «تعظيم قدر الصلاة» لكي يعرف أن الصلاة خط أحمر لا يمكن تجاوزه.

يذكر أن هذه المواقف الإبداعية الراقية ليست غريبة على النائب ممدوح إسماعيل حيث أصر إضافة جملة لنص اليمين الدستوري، ففيما يقول نص القسم: (أقسم بالله لعظيم أن أحافظ على سلامة الوطن والنظام الجمهوري وأرعى مصالح الشعب وأن أحترم الدستور والقانون)، فأصر المحامي ممدوح إسماعيل بأن يضيف عبارة: «في ما لا يخالف شرع الله» فأبشره بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

أما الإحراج الذي سببه ممدوح إسماعيل لجميع الإسلاميين فهذا شرف له، وهذا ما يتخوف منه الإخوان من السلفيين بالمجلس برأي أحد المحللين، أما الدكتور الكتاتني فنطق بما يخالف الواقع، فالحقيقة أن ممدوح إسماعيل كان أكثر إسلاما من الجميع، شاء من شاء وأبى من أبى.

حزين أن أخذنا هذا الموضوع منا كل هذا الجدل والوقت، ولكن الخطوط الحمراء -ومنها الصلاة- لا يجب تجاوزها أو السكوت عنها.. إنها الأمانة التي في أعناقنا، ورغم أن الشيخ سيد عسكر أستاذنا جميعا إلا أن الحق أحب إلينا منه، والله الموفق إلى سواء السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر والأمل السياسي



من العجيب في مصر -وما أكثر عجائبها- أن الساسة والمسؤولين فيها لا يملكون إلا الحديث عن المستقبل، فما إن تستضيف أحد المسارات الإعلامية من فضائيات أو صحف أو مجلات أو حتى ندوات .. تستضيف مسئول رفيع المستوى بالدولة لمناقشة الأوضاع والمشكلات في محيط مسؤوليته وولايته إلا وتجد معاليه يسير على نبرة واحدة لا تتغير ولا تتبدل.

فأي مشكلة تطرح على جناب المسئول يرد بأنه بصدد عقد لجنة متخصصة تخرج بتوصيات في هذا الأمر، أو أنه يجري التحضير لمؤتمر عالي المستوى للوقوف على أبعاد هذه المشكلة، أو أنه خاطب رؤسائه ويجري التفاوض على رصد ميزانيه لتذليلها، أو أنه سيتم إرسال وفد مرموق من نخب الوزارة إلى أحد الدول المتقدمة للاستفادة من خبرتها في هذا المجال، أو أنه بصدد استقدام خبراء أجانب متخصصين لبحث الأمر ... إلخ

والبعض قد يضيف إلى هذه النبرة اعتذار ضمني بأننا في ثورة، وأن حجم الفساد أكبر من كل توقع، وأن الاقتصاد مترد، والأمن مخلخل .. وغيرها من الأعذار التي طال أمدها وتسربت الأشهر من بين يدي هؤلاء المسؤولين الثوريين، والثورة على قرابة إتمام عامها الثاني ولم يتحقق شيء يذكر.

لكن هل يجزئ أي مسئول على أن يقدم إنجازات تم استحداثها على أرض الواقع .. كلا وألف كلا.

هل يجزئ وزير ومن دونه على أن يواجه أي مشكلة تطرح عليه بإحصاءات وأرقام
أكلت هذه المشكلة أكلا وجعلتها أثرا بعد عين .. كلا وألف كلا.

بل إن بعض المسؤولين السذج إذا طرحت عليه كارثة من الكوارث الحياتية في
حياة المواطن المسكين يرد جنابه بأنه من (المفروض) معالجة الأمر وأنه (ينبغي) عدم
التهاون مع المتسببين .. وغيرها من الردود الإرشادية عن مشاكل هي محض مسئوليته،
فمن يغير إذن والوزير أو المدير لا يملك غير التوصيات والمقترحات والفرضيات.

وزير التعليم الجديد في حكومة د. محمد مرسى جاب البلاد في طولها وعرضها
ليتفقد الأحوال التعليمية، وزار مدينتي (طنطا) ومدرسة فنية يعمل بها أحد أصدقائي
مدرسا، واجتمع الوزير المغوار بهيئة التدريس، وأخبرني صديقي المدرس أن موضوع
الاجتماع انصب على سؤال الوزير عن مشاكل التعليم في المدرسة والمعوقات التي
يجدها المدرسين في مجال عملهم!

وشر البلية ما يضحك .. فالوزير الأكاديمي المتخصص يجوب النجوع والمدن
ليتعرف على مشاكل التعليم المصري التي لا يجهلها بائع الليمون والعرقسوس
والخضار في الشارع ممن لا يعرفون كتابة أسمائهم. ثم ماذا حدث بعد هذه الجولات
والصولات، هل تغير شيء ولو نسبي، هل تم تطوير منهج دراسي واحد لأي صف
دراسي، هل تحسنت نسبة حضور الطلاب التي قاربت على الصفر، هل تم بيع
الكتاب الجامعي بسعر التكلفة والقضاء على مافيا الدكتوراة الجامعيين التي تبتز
الطلاب .. كلا وألف كلا.

ومن طريف المواقف أنني مررت اليوم على مبنى جامعة طنطا الزجاجي الفندقية
الفاخر فشاهدت لوحة إعلانية كبيرة على سور المبنى بعنوان: «المؤتمر الثالث لتطوير
البحث العلمي»!! فتعجب عن أي بحث علمي سيتحدث هذا المؤتمر في مصر (بلد
الجوع) التي تستورد حتى الآن فانوس رمضان وعلب الثقاب من الصين.

لكنها دولة اللصوص، الذين رصدوا ميزانيات لمؤتمرات وهمية وأنفقوا عليها
بدلات وحوافز وإقامات بالفنادق وبوفيهات مفتوحة بها ما لذ وطاب من الأطعمة ..
من أجل الخروج بأمل وهمي عن تطوير مصر المستقبل.

ولا أنسى البرنامج الحوارى مع مساعد وزير التعليم حيث اتصل أحد المستمعين ليستغيث بأنه يملك مشروع متكامل عن النهوض بالتعليم الفنى بمصر، وأنه بح صوته ولم يستمع إليه أحد، وأرسل صيغة المشروع على موقع الوزارة لكن لا حياة لمن تنادى .. فما كان من مساعد الوزير أن طلب منه أن يرسله بالفاكس ووعدته بأنه سوف يعرضه شخصيا على معالى الوزير، وانتهى الأمر، وتجاوز المسئول المغوار شلة المستهترين القائمين على موقع الوزارة، وتجاوز هذا الإهمال في التفاعل مع قضايا الناس، وكأن مشكلة وزارة التربية والتعليم هي مشكلة واحدة مع هذا المواطن وأن جنابه قد عالجها وهو على كرسي البرنامج ولم يتحرك.

ثم هل الوزارت المصرية فعلا بحاجة إلى برامج تطويرية من متبرعين، إن كل دول العالم المتحضر تجاوزت مشاكل التعليم والصحة والصناعة .. وغيرها من المجالات، وتمتلك الآن برامج وخبرات واقعية جدير أن نقتبس منها ونستفيد من حيثياتها، لكن وزراء مصر الثوريين مازالوا يبحثون عن حلول وكأنه لا تعليم إلا في مصر ولا صناعة إلا في أم الدنيا ولا خبز إلا عندنا ولا مواصلات ومرور إلا لدينا ... وعلينا بتفردنا أن نبتكر لها حلولاً في القريب العاجل.

يذكر أن مصر احتلت المركز ال ١٠٠ من اجمالي ١٤٤ دولة في الفساد، والمرتبة ال ١١٣ على مستوى اهدار النفقات الحكومية، بينما حلت فى المركز ١١٣ فى عدم شفافية السياسات الحكومية.

إن هذه الثورة أطالت مخالبا الجياح وفتحت شهيتهم لالتهام كل شيء، وبين الانتفاضة شعرة لا يراها إلا المخلصون الخائفون على مستقبل هذه الثورة وهذه البلد العريقة.

وانتفاضة الجياح التي سيقودها أصحاب البطون الخاوية ستحقق بلا شك العدالة الاجتماعية المنشودة، حيث تستحوذ على أموال النخب وقصورهم، وتجردهم من أموال طالما انتهبوا بغير حق، لكن في المقابل سيترافق مع هذه الانتفاضة انقلات سلوكي همجي سىأكل الأخضر واليابس ويفنى الجميع، فاحذروا يا ساسة مصر فإنني أنا لكم النذير العريان.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمريكا فوق كل المصريين

في خمس سيارات تابعة للسفارة الأمريكية بالقاهرة، وصل مطار القاهرة بعد ظهر الخميس (٢٠١٢/٣/١) سبعة عشر أجنبيا متهمين في قضية إدارة منظمات حقوقية وتلقي أموال من الخارج بدون تصريح من السلطات المصرية، وضمت المجموعة متهمين أجانب آخرين من جنسيات غير أمريكية من النرويج وصربيا وألمانيا (٩ أمريكيين، ٨ أوروبيين)، وبرفقة مسئولين من السفارة الأمريكية لمساعدتهم في إنهاء إجراءات سفرهم تمت مغادرتهم على متن طائرة عسكرية وصلت مساء الأربعاء قادمة من قبرص، بإشراف إحدى الجهات الأمنية السيادية وبتوجيهات من المجلس الأعلى للقوات المسلحة مباشرة.

يأتي ذلك بعد أن رفعت محكمة مصرية قرار المنع من السفر الذي كان مفروضا على النشطاء، في القضية التي اتهم فيها ٤٣ ناشطا مصرية وأجنبيا بتلقي تمويل أجنبي لأنشطتهم دون الحصول على ترخيص حكومي لعملهم.

وبدوره قال رئيس محكمة استئناف القاهرة المستشار (عبد المعز إبراهيم) لوسائل إعلام محلية إن القضية نقلت من محكمة الجنايات إلى محكمة جناح، وبالتالي فالحد الأقصى للعقوبة عن التهم الموجهة للنشطاء هي الغرامة وليس السجن، وأن كل متهم أراد رفع حظر السفر عنه دفع مبلغ مليوني جنيه كفالة، مما أفاد خزينة الدولة بـ ٣٢ مليون جنيه!! .. وكأن الكرامة الوطنية يمكن أن تقايس بالأموال.

وكان المستشار (محمد محمود شكري) رئيس دائرة محكمة جنايات شمال القاهرة التي تنظر القضية، قد أعلن مؤخراً تنحي الدائرة عن نظر القضية لاستشعارها الحرج، وأشار إلى أنه سيتقدم وعضو الدائرة المستشار عصام يماني والمستشار أشرف النمساوي، إلى مجلس القضاء الأعلى بمذكرة شارحة توضح الأسباب الكاملة التي دفعت الدائرة للتنحي عن نظر القضية.

ونقلت تقارير صحفية عن شكري قوله إن من أسباب تنحي دائرة المحكمة أنها فوجئت بطلبين مقدمين لها لإلغاء حظر السفر عن المتهمين الأميركيين والأجانب، وأن هذين الطلبين شملا طلب إلغاء المنع من السفر عن أشخاص لم يشملهم أصلاً قرار الإحالة في القضية، ووردت أسماؤهم فقط على سبيل الاستدلال في التحقيقات، كما يشمل أحد الطلبين المطالبة بإلغاء ترقب الوصول لمتهمين أجانب هاربين. وأدت إحالة المتهمين إلى المحاكمة توتراً في العلاقات المصرية الأمريكية، خاصة عقب تهديد نواب بارز في الكونغرس الأمريكي بوقف برنامج المساعدات المقدمة لمصر.

لقد كان الحدث مفاجئاً، وفوق كل التوقعات، وصادماً لكرامة الشعب المصري كله، الذي اعتبر ذلك مهانة له، وانتهاكاً للسيادة الوطنية المصرية، وانتقاصاً من استقلالية القضاء المصري وهيبته، وجراً متهورة من المجلس العسكري الذي خضع بمذلة لا تليق به لضغوط الأميركيين، خاصة وأن المؤامرة التي تم اكتشافها كانت تستهدف مصر وتقسيمها وإشاعة الفوضى بها.

كما أثار الموقف ردود فعل غاضبة من قبل أعضاء بمجلس الشعب المصري وأحزاب سياسية وتطتلات إعلامية وقضائية، حيث تقدم نواب برلمانيون بطلبات إحاطة عاجلة إلى البرلمان لاستجواب رئيس الوزراء ووزير العدل والخارجية والرد على أسئلة الأعضاء حول مبررات سفر المتهمين.

أما الجماعة الإسلامية، فقد أدانت في بيان الخميس ما وصفته بـ «تجاهل المجلس العسكري المطالبة بتبادل خمسين مواطناً مصرياً في السجون الأمريكية من بينهم الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن بالمتهمين الأمريكيين في قضية التمويل الأجنبي».

وقال (البدوي) رئيس حزب الوفد إن «العودة لنفس الحيل القديمة هو ما يجعل دولاً كالولايات المتحدة تشكك وتبتز وتضغط، ويدركوا أن التغيير الذي ننشده مازال وليداً، وأن حجم المناورة مازال موجوداً ومتاحاً، وأن القرار المصري لا يزال تابعا وخانعا وذليلاً، فوصلوا لقرار رفع حظر السفر عن المتهمين»

سردنا هذه الأحداث على سبيل التأريخ لهذه المهزلة، لكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن: لماذا أقدم المجلس العسكري على هذه الخطوة متحديا كل التيارات الشعبية والقانونية والإعلامية؟!

هذا بتقديري له دافعان لا ثالث لهما:

(الأول): أن الأمريكان لديهم من المعلومات الاستخباراتية والأسرار الأمنية والعسكرية ما يدين قادة كبار في المجلس العسكري.

(الثاني): أن مؤامرة تلقيم الثورة المصرية حقيقة واقعية، وتشرف عليها جهات داخلية وخارجية.

فالدافع الأول ليس ببعيد عن مجلس عسكري ربيب العهد المبارك المشؤم، وكان دوره في الحياة السياسية المصرية ليس بعيدا عن السياسة العامة لمبارك وحاشيته، خاصة وأن عدم فرار المخلوع إبان ثورة يناير ارتكز على ضمانات من المجلس العسكري، بل يرى بعض المحللين ما هو أبعد من هذا، حيث يفسر انحياز المجلس العسكري للثورة ليس لوطنية أعضائه، وإنما لوطنية الجيش المصري الذي كان من المرجح جدا أن ينحاز للشعب ويرفض أوامر إطلاق النار على المتظاهرين.

إضافة إلى هذا ما يتسرب من أخبار في كواليس السياسة المصرية حول طلب حصانة للقيادة العسكرية أو ضمانات بعدم المساءلة، أو ما يسمى بالخروج الآمن من الحياة السياسية، مما يؤكد أنه كان له دورا يخاف من مساءلته، وأن لقادة المجلس العسكري مثالب والأمريكان أعلم بها بحكم الصلات التاريخية بين الإدارات الأمريكية والمؤسسة العسكرية المصرية، ولقد استخدم الأمريكان هذه السقطات كورقة ضغط قوية كانت كفيلة بأن تتجاهل قيادة المجلس العسكري كل موجات الاعتراضات التي سوف تواجهها من جراء هذا الموقف المشبوه، وترضخ بمذلة لأوامر الأمريكان.

أما مؤامرة تلقيم الثورة المصرية، فترجع بالأساس إلى نظرية «التلقيم قبل التسليم» التي أطلقها فضيلة الشيخ (رفاعي سرور) رحمه الله في تقييمه لدور الحكومة المصرية الحالية المسماة «حكومة الإنقاذ الوطني»، وجاءت التسمية أثناء اجتماع

لمتدى أهل الرأي؛ الذي يضم في عضويته علماء وأكاديميين وباحثين وناشطين في المجالات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

ويقصد بنظرية التلغيم وضع عدة قرارات يكون تنفيذها عبأ على الحكومات المنتخبة المقبلة، لتخريب المراحل القادمة، وصنع عقبات في طريق النهضة الثورية، مثل زيادة الرواتب والمعاشات وتعيين المؤقتين مما يمثل عبأ على الميزانية المستقبلية، وتقنين مسألة أراضي وضع اليد، وهو ما سيضيع على الحكومة القادمة فرصة كبيرة في الاستفادة من العديد من الأراضي المصرية في فرص استثمارية تنهض بالوطن، ومنها أيضا تلويث سمعة القضاء وزرع نوعا من البلبلة داخل منظومته، فضلا عن فقد ثقة المواطن فيه بهذه الحادثة الفريدة في وقاحتها.

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها .. فكيف إذا الرعاة لها الذئاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر بلد المحظوظين

مصر بلد العجائب والغرائب، ففي مصر كل شيء في أزمة، التعليم والصحة والمرافق، وحتى رغيف الخبز اليومي، والزبالة والمرور والبلطجة .. كلها مشاكل تؤرقك صباح مساء، لكن من الغريب الفريد في مصر أن العيش فيها لطيفة المحظوظين، فأنت في مصر لكي تعيش عيشة الكرام لا تحتاج -في الغالب- لبذل جهد ولا عرق جبين ولا شهادة مرموقة .. أي لا تحتاج إطلاقاً لأي نوع من التميز الفكري أو الثقافي أو البدني، كل ما تحتاجه حفنة من الحظ لا أكثر ولا أقل، هذا الحظ كفيل بأن يلقي بك في وظيفة مرموقة كوزارة البترول أو الخارجية أو سلك القضاء أو الإعلام .. وحينها تتدفق عليك الرواتب المجزية والحوافز والبدايات والمتغيرات وإعانات الغلاء والزواج والإنجاب .. والكثير الكثير من الامتيازات المادية والأدبية التي لا تحصى ولا تعد.

حينها تستطيع أن تسكن في شقة فاخرة وتركب سيارة فاخرة وتدخل أولادك في مدارس أجنبية، وتعالج أهل بيتك في المستشفيات الخاصة .. كل هذا لأن الحظ حالفك وأخذك من بين أقرانك وأدخلك روضة المنعمين.

ففي مصر يتخرج -مثلاً- من كلية الحقوق وحدها آلاف الألوف من الطلبة، يختار الحظ عشرات منهم فقط ليدخلوا سلك القضاء، سواء من الأبواب الخلفية بالرشوة أو من الأبواب الأمامية لأن الأب مستشار «وجحا أولى بلحم ثوره» كما يقولون، أما باقي الألوف فهم من الخريجين التعساء الذين لا يجدون أمامهم فرص عمل سوى تسليك المجاري أو خباز أو حمال أو امتهان مهنة المحاماة السيئة السمعة.

وخريجي التجارة لو فاتهم العمل في البنوك فمهنة الباعة الجائلين على الأرصفة تنتظرهم، أما كليات العلوم والألسن والسياسة والاقتصاد والإعلام فالمشهور بين طلبة

الثانوية العامة أنها كليات مرموقة لكنها فعليا كليات ديكرورية يدخلونها من أجل
الوجاهة الاجتماعية لا أكثر ولا أقل .. والعتب على الحظ!!

وفي مصر لا تسمع ولا ترى مواطن قد تم تعيينه -مثلا- في وزارة الخارجية أو
السياحة حتى ولو كان أول دفعته في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية أو كلية السياحة
والفنادق، لأنها -وببساطة- وزارات الصفوة التي أغلقوها على أنفسهم واحتكروا
وظائفها لذويهم وأبنائهم.

ومن العجيب في مصر أنه لو فاتك قطار المحظوظين فليس هناك بديل أو قطار
آخر ولو حتى قطار درجة ثالثة، لأن معدلات البطالة رهيبة، وسوق العمل في كساد،
حتى بات القطاع الوظيفي ولو في نهاية السلم الوظيفي أمل يراود كل المصريين،
ويبدلون فيه الغالي والنفيس.

وفي المفارقات العجيبة بمصر أن عامل بسيط في قطاع البترول يتجاوز راتبه
راتب وكيل وزارة في قطاع التربية والتعليم أو الصحة، وأن راتب موظف في مصلحة
الضرائب العامة يوازي عشرة أضعاف راتب زميلة في مصلحة الضرائب العقارية، لأن
هذا يخضع إداريا لجهة محظوظة ومغايرة للتي تتبعها الضرائب العقارية.

إنه الحظ الذي يفعل في المواطنين الأفاعيل، وعلى أعتابه تنهار الكفاءات
والمواهب والكوادر، ويدخل لرحابه فقط من تتصالح الأيام معه.

حتى الحظ صار مادة إعلامية مرموقة وجذابة يسيل لها لعاب المشاهدين، فكم
هي البرامج الإعلامية والمسابقات المارثونية التي تعتمد على الحظ -والحظ وحده-
لكي تصبح مليونيرا في ضربة حظ، وحدث ولا حرج عن البرامج الشهيرة من قبيل
«من سيربح المليون» وغيرها من البرامج التي يعتمد بعضها على مجرد اختيار صناديق
الأموال التي يتراوح محتواها من جنيه واحد إلى مليون جنيه.

أما إن كنت ممن فاتهم الاستضافة في أحد هذه البرامج الشهيرة، فحسبك من
الحظ تلك البرامج التجارية التي تعرض سؤالا ساذجا وثلاث إجابات سهلة جدا، وما
عليك إلا أن تتصل وتذكر الإجابة الصحيحة لتكون من المرشحين بالفوز بجنيهاات
ذهبية أو سيارة فخمة أو حتى رحلة عمرة أو حج.

أما محصلة الحظ فهي مأساوية بل وكارثية أحيانا، فكثيرا ما تصادف طبيبا لا يصل مستواه المهني لمستوى ممرض، إلا أن الحظ لعب لعبته معه، وكان والده عميد كلية الطب أو رئيس لأحد أقسامها، فسرب له الامتحانات، وصار طبيا على غير رغبة منه ولا قدرات تؤهله لذلك.

أذكر أنني كنت يوما في مصلحة الشهر العقاري ودار حديث بيني وبين عامل النظافة الذي كان شابا جامعا حاصل على ليسانس لغة عربية بتقدير ممتاز، وقبل التعيين كعامل نظافة بعقد مؤقت من أجل لقمة العيش، ولما علم أنني صحفي طلب مني أن أتوسط له بأحد المجلات الخليجية لكي يعمل بها مدقق لغوي، فقلت له أن حدود معرفتي بخريجي الجامعة أن مستواهم الفني ضحل للغاية، فما كان منه إلا أن جذب كتابا كان بجواره وفتح أحد صفحاته وأخذ يعرب سطرا كاملا إعرابا نحويا ببراعة منقطعة النظير، رغم أن رئيسه في العمل يحمل مؤهل متوسط، ويكاد يكتب اسمه بشق الأنف ويخط رديء.. ولكنه الحظ!!.

وركبت يوما مع رئيس نيابة في سيارته الأنيقة، وكان شابا يعاني من أمية ثقافية وسياسية مزمنة، لكن والده المستشار زج به في سلك القضاء، وضمن له السلطة والحظوة والشراء.. وكله بالخط.

وأخيرا جرحنا الحظ في كوادنا الشرفاء ومواهبنا وأفذاذنا، فهربوا إلى الخارج مع أول فرصة، ليعطوا ثمرة قدراتهم لغير بلدهم التي ربتهم واحتضنتهم، وحدث ولا حرج عن المعدلات الفلكية لهجرة العقول العربية.

إن الحظ الذي لم يترك لنا في مصر غير الكلام، فالكل يتحدث فيما يعرف وما لا يعرف، فمن السهل أن تجد على أي قهوة بمصر أساطين يحدثونك في السياسة والطب والاجتماع والاقتصاد.. إنهم الموسوعيون الجهلاء، الذين يتقنون الكلام ولا يحسنون الفعال.

غاب العمل الذي هو روح الأمم ودعامة وجودها، وكثر اللدد، وصدق فينا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل».

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر وصراع الامتيازات

حالة من الغليان السياسي تنتاب الشارع المصري بعد قرار الرئيس د. محمد مرسي بعودة مجلس الشعب، تمثلت في هجمة شرسة من بعض القضاة والقنوات الإعلامية الفلولية لهذا القرار، والمجلس العسكري يلتزم الحياد، أو قل إن شئت يُؤجج النار في الخفاء، في حين أن الملايين من الجموع الشعبية في ميدان التحرير هبت لتأييد القرار.

وإن كان بعض المحللين يرى أن هذا طبيعياً في ظل الأجواء الثورية التي تنتاب الشارع المصري بعد ثورة ٢٥ يناير المباركة، إلا أن الجموع الغفيرة ترى أن هذا الغليان غير طبيعي وغير منطقي في بلد هي في أشد الحاجة لبرامج تنمية أشد من حاجتها للماء والهواء.

فالمواطن المصري أكله الفقر والمرض في بلد يقع ٤٠% من شعبها تحت خط الفقر (دخل يومي أقل من دولار) والفساد ضارب بأطنابه لدرجة أن ديوان المظالم الجديد استقبل ١٠ آلاف مظلمة في أول خمسة أيام فقط، والجموع الغفيرة غير معنية باللعبة السياسية التي تتطلع لثمرتها لا إلى تفاصيلها وأحداثها.

إذا .. يبقى السؤال قائماً عن السر وراء فورة أقطاب القضاء والإعلام؟ وهل فعلاً مصلحة مصر هي الهم الأكبر الذي يؤرق هذه النخب، وهل الدافع الأعظم هو إنقاذ الوطن وأبنائه من الضياع كما يتشدقون، أم أن هناك أجندات خفية يعمل لها التيار المضاد لفريق الرئاسة بقيادة د. محمد المرسي الذي يواجه حملة شرسة غير مفهومة ولا مبررة، رغم أن بقائه على كرسي السلطة لم يتجاوز أيام معدودة.

لكن الواضح للعيان لكل مراقب للشأن المصري ولكل جموعه الشعبية الغفيرة أن هناك جولة أخيرة للثورة مع فلول الثورة المضادة من فئة المنتفعين أصحاب الامتيازات الجبارة في عهد النظام السابق، الذين ينعمون ببريق صلاحيات أسطورية وعوائد مالية شهرية فلكية، في غير كفاءة تذكر ولا موهبة تعرف إلا النذر اليسير منهم.

إن المواطن المصري على تنوع ثقافته لا يعرف شيئا عن «المحكمة الدستورية» ولم يسمع عنها في حياته سوى مرات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، بل الكل يعرف من المصريين وغيرهم أن مصر بلد لا وجود للقانون بها، وأن الأمور تسير فيها إما بالرشوة أو المحسوبية، وأن قسم الشرطة لا ينصف مظلوما، والقضايا المكدسة في المحاكم سنوات وسنوات لا تجلب حقا.

إذا ما المبرر والداعي لأن نتقمص دور لا نعرفه ولم نمارسه، ونسمع عبارات عريضة عن المؤسسة القضائية المصرية العتيدة، وفقهاء القانون الدستوري، ورصيد مصر من قضاة أجلاء تفخر بهم، وسيادة القانون .. وغيرها من شعارات فضفاضة لا تنبت في أرض الواقع، ولا مكان لها في حياة المصريين.

وإن كنت جائرا في تحليلي هذا فليحدثني قضاة مصر كلهم عن الطريقة التي تم تعيينهم بها، وليحدثني رجال القضاء عن سر الاسترخاء الغريب في حسم ملايين القضايا المكدسة في أروقة المحاكم، وليحدثني رجال القضاء عن نضالهم الدستوري أيام رؤساء مصر السابقين، حيث يعلم الجميع أنهم على تنوع مناصبهم كان لا يجرؤ واحد منهم على أن يبوح بعشر ما يبوح به الآن، وإلا انقطع نهر الفيوضات الرئاسية والمنح السيادية.

وما يقال على القضاء يقال عن باقي النخب التي ترفل في النعيم الإداري، وتجنبي من وراء مناصبها من أبهة السلطة وصنوف النعمة ما لا يحده وصف ولا يصدق عقل، في بلد صار للفقير فيها فنونا وألوانا.

إن الصراع الدائر اليوم صراع خفي على «امتيازات وصلاحيات» موروثه من نظام غاشم، يعلم أصحابها جيدا أنهم في ظل الأجواء الثورية وخضم تيار العدالة الاجتماعية سوف يسحب البساط من تحت أرجلهم.

إن مصر تعاني من طابور خامس من نخب رجال الإقطاع الإداريين الذين توحشوا في الفترة الأخيرة من حكم المخلوع، وحصلوا على امتيازات رسمية لا توصف، وكي لا يتهمني أحد بالحق أو التحريض فأنا أدعو هذه النخب لأن تكشف عن مدخولاتها الشهرية الوظيفية في بلد يعاني من فساد إداري منقطع النظير، فهل من المعقول أن

يصل راتب مستشار الشهري لعدة آلاف من الجنيهاً والمحاكم في نفس الوقت لا تسمن ولا تغني من جوع، وقل هذا أيضاً على عمداء جامعات تخرج سنوياً آلاف الجامعيين العاطلين عن العمل، وعن إعلاميين لا يحسنون قراءة سطر من كتاب قراءة عربية صحيحة.

إن مصر تعاني فعلاً من مافيا من نوع غريب .. مافيا بثوب رسمي وصيغة قانونية، تضر ولا تنفع، وتعرقل ولا تدفع، قد أغلقت على أنفسها أبواب الامتيازات وصارت إرث لهم ولأبنائهم من بعدهم حتى لو كانوا جامعيًا راسبين أو مظهرياً غير لائقين، لكن ابن السفير لابد أن يعين في الخارجية وابن المستشار أبواب النيابة له مفتوحة، وفي رحاب قانون «أبناء العاملين» ورثت أبناء النخبة ساحات القضاء والخارجية والإعلام والشرطة وسائر المواقع المتميزة في إقطاع من نوع عصري جديد .. فهل ترى هذه النخبة تتنازل عن جنتها ببساطة، كلا وألف كلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

قضاء مصر الشامخ!!

«قضاء مصر الشامخ» .. شعار رفعه قضاء مصر بعد الثورة ولم يكن متداولاً من قبل، فالمصريون لا يعلمون أن هناك قطاعات تذكي نفسها رغم فشلها سوى قطاعات يسيرة من المجتمع المصري مثل تعريف الأزهريين لأنفسهم بقوله: «من علماء الأزهر الشريف» ولا أعلم من الذي خص الشرف بالأزهر من الأصل دون دليل يذكر ولا سند شرعي يؤثر، اللهم إلا شرفه أنه بيت من بيوت الله، كما لا أعلم دوراً للمؤسسة الرسمية الدينية بمصر الممثلة بالأزهر في انتشار الصحوة الإسلامية في مصر وغيرها، وكم سب صحابة وأهين القرآن واستباح المغرضون بيضة الدين وشربت الخمر وانتشر العهر باسم الفن ولا يذكر أحد للأزهر صولة ولا جولة ولا خطة في التصدي لهذا الطوفان الأثيم.

ثم كيف يذكر المرء نفسه بقوله من العلماء، وتلك رتبة يمكن أن تنسب إليه لا أن ينسبها هو لنفسه، قال تعالى: {فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: ٣٢]

ومن الشعارات الوطنية المتداولة أيضاً «مصر أم الدنيا» ولا أعلم هل هي الدنيا الضيقة أم الواسعة في بلد يسكن ٥ مليون من سكانه المقابر، ويتصدر العالم في نسبة العنوسة والإصابة بفيروس س والسرطانات وسرقة الآثار .. والقائمة تطول.

ولا يفوتني شعار «مصر هبة النيل» في الوقت الذي يحرص كل مصري ميسور أن يركب فلتر على صنوبر المياه بمنزله لتجنب الفشل الكلوي من مياه اقترن مجراها بمياه الصرف الصحي، أما الغلابة فيعتمدون على شراء الماء النقي من محطات التنقية.

كم فيك يا بلادي من شعارات رنانة وأنت في ذيل الأمم، لكن الجديد والمضحك في الموضوع شعار «قضاء مصر الشامخ».

ولمن لا يعرف من غير المصريين فمنصب القضاء المصري ضربا من ضروب الحظ على غير ما يحمله تراثنا الإسلامي عن صفات القاضي الذي كان جديرا بهذه المكانة لما تحلى به من غزارة علم وحفظ للقرآن وإلمام منقطع النظير بأحكام وقواعد الشريعة الإسلامية مع نباهة في الاستدلال وحسن سيرة بين الأنام.

أما القاضي المصري اليوم فهو خريج كلية الحقوق التي تحتل ذيل القائمة في الجامعة المصرية ولا يدخلها إلا من فاتهم قطار التميز العلمي والنباهة الفكرية فهم يلتحقون بها من قلة الحيلة وكي يدركون شهادة جامعية وفقط.

حتى التعيين في سلك القضاء فهو قائم على الرشوة أو المحسوبية وليس على أكفاء الدفعات الجامعية من أوائل الدفعات ذوي التقديرات المرموقة .. لقد صار مجتمع القضاء المصري أشبه بالعائلة الواحدة التي تحتكر هذا المنصب، فابن المستشار يصير بالنيابة حتى ولو تقديراته الجامعية ضعيفة، ومن أراد الانضمام إلى هذه العائلة المرموقة عليه أن يبحث فيها عن عم أو خال أو أي قريب قاض أو مستشار ليمرر له الانتساب المشبوه وإلا فالمال عوضا عن القرابة.

ولقد جالست كثيرا من القضاة والمستشارين ووكلاء النيابة فما وجدت فيهم نابها صاحب علم يعتد به، بل ثقافة ضحلة وكبر منقطع النظير إلا النذر اليسير جدا جدا ممن عافاهم الله.

وتاريخ القضاء المصري المعاصر يشهد أنه كان ألغوبة في يد الحكام، وكان أبرز الرعاة للانتخابات البرلمانية الفاسدة في ٢٠١٠ والتي كانت أحد أسباب اندلاع الثورة المصرية.

وبعد الثورة استشعر هذا الكيان الفاسد الخطر في ظل سريان روح العدالة الاجتماعية والمطالبة بإقصاء كل أفراد منظومة الفساد السابقة، فبدأت معركة المصالح والامتيازات، وأخذ رجال القضاء يتصرفون باندفاع مجنون أبرز عوراتهم دون أدنى تعقل أو حرج.

وكشفت الأحداث عن قضاة متهمين في قضية تهريب المتهمين الأجانب في قضية التمويل الأجنبي، وما زالت التحقيقات المتتالية مع المستشار وليد شرابي

المتحدث باسم حركة قضاة من أجل مصر من جهة التفتيش القضائي، وفي الوقت نفسه، لم نسمع عن تحقيقات في فساد من وُجهت لهم جرائم استيلاء على أراض، أو من أضرب عن العمل وعرقل سير العدالة، أو من احتجز النائب العام في مكتبه، أو من تلقى أموالاً من المؤسسات الصحفية أثناء شغله منصبا رفيعا في السلطة القضائية.

يذكر أن رئيس المجلس الأعلى للقضاء يعكف حالياً -ولن ينتهي- على فحص البلاغات المقدمة ضد المستشار عبد المجيد محمود، التي أحالها له النائب العام المستشار طلعت عبد الله باتهامه بتلقيه رشاوى وتستتر على قضايا فساد، في بلاغ حمل رقم ٤٣٠٩ بلاغات النائب العام، والذي كشف أن رئيس مجلس إدارة البنك المصري للتنمية سابقاً كان يرسل رشاوى في صورة هدايا من أموال البنك إلى المستشار عبد المجيد محمود النائب العام السابق، وسامح فهمي وزير البترول الأسبق، وأمين أباطة وزير الزراعة الأسبق، وفايزة أبو النجا وزيرة التعاون الدولي سابقا.

أما المستشار أحمد الزند وصهره فمتهم بالاستيلاء على مساحة ٢٥٠ فداناً بأراضي منطقة الحمام بمدينة مرسى مطروح بالتواطؤ مع عبد المجيد محمود في تلك القضية، والذي قام بتبديد المستندات بعد أن عكف المكتب الفني للنائب العام على دراستها وثبت إدانته واستغلاله للنفوذ هو وصهره عادل عبد الرؤوف السيد، وموظفي الهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية الزراعية.

وأكدت بلاغات قدمت ضد "الزند" وصهره أنهما قاما بالاستيلاء على أراضي مدينة الحمام عن طريق التزوير واستغلال النفوذ وأن إجراءات المزاد تمت بالمخالفة لأحكام القانون حيث صدر قرار رئيس مجلس الوزراء بشأن القواعد المنظمة للإدارة والتصرف بأراضي الهيئة العامة؛ وبناء على ذلك فقد تربح الزند من وراء تلك الأراضي ملايين الجنيهات إذ حصل من الهيئة على ٢٥٠ فدانا بواقع ١١ ألف جنيه للفدان مع أن قيمة الفدان في ذلك الوقت كانت تساوى ١٠٠ ألف جنيه، مما ربحه ١٠ أضعاف قيمة الفدان الواحد، وبالرغم من أن الإجراءات شابهها البطلان المطلق والتزوير إلا أن الهيئة العامة للتعمير سارعت بتحرير محضر لتسليم الزند الأراضي بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٠٦ أثبتت فيه قيام لجنة مكونة من ٦ موظفين بتسليم الزند تلك

الأراضي وأن ذلك جرى وتم تنفيذه بسرعة فائقة نظرًا لتسهيل كل الأجهزة لتنفيذ القرارات وهدم المنازل وأن من اعترضوا على قرارات الهدم والإزالة صدر بحقهم اعتقالات وصدرت ضدهم أحكام بالحبس.

هذا طرف من فساد الرؤوس وما خفي كان أعظم، والكل يعرف أن من لم يلحقه الفساد من القضاة أدركته الامتيازات الجبارة التي يتمتع بها القضاة من أول لوحة أرقام سياراتهم المكتوب عليها «هيئة قضائية» كي لا تلاحقهم مخالفات مرورية ولا تغلق أمامهم بوابات الأماكن الفارهة مرورًا بالرواتب الفلكية والحصانات القضائية والرعاية الصحية والاجتماعية المميزة وبالمقابل يقدمون للشعب بطء إجراءات التقاضي التي وصل عدد القضايا المتأخرة فيها إلى ٢٥ مليون قضية، فالمحاكم المصرية كما هو معروف عنها تسير سير السلحفاة ولا تنصف مظلوما ولا تردع ظالما إلا بعد أعوام مديدة وعقود من الأزمان السحيقة.

روى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لا تكلم، فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجت مصمتة. قال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال امرؤ من المهاجرين. قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسئول، أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم. قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رءوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى. قال: فهم أولئك على الناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

قضاة مصر .. أباطرة الظل

تصاعدت الأزمة مؤخرا بين المحامين المصريين والسلطة القضائية، حيث وصل الأمر إلى منع القضاة وأعضاء النيابة من دخول مقار عملهم في عدة محافظات مصرية، وذلك على خلفية اعتراض المحامين على مشروع «قانون السلطة القضائية» الجديد، الذي يضم مادة تجردهم من أي حصانة خلال أدائهم لعملهم في جلسات المحاكمات، وأعني تحديدا المادة (١٨) التي تعطي القاضي الحق في حبس المحامي إذا اعتبر أنه أخل بنظام الجلسات.

ويرى المحللون أن السلطة القضائية تبدو ناقمة على المحامين الذين ركزوا في الفترة الأخيرة على المطالبة بتطهير القضاء، وانتقدوا تجاهل تعيين عدد من أوائل الخريجين في النيابة العامة، مقابل الإصرار على تعيين أبناء القضاة رغم تخرجهم من كليات الحقوق بتقديرات متواضعة.

والواقع أن قطاع القضاء في مصر لم ينجو من توسع الفساد الذي استشرى في عهد الطاغية المخلوع، رغم تصريحات المسؤولين المتكررة -قبل وبعد الثورة- عن استقلالية القضاء ونزاهته. ومن واقع تجربتي الشخصية والحياتية مع القضاء في مصر تأكدت لي حقيقة عن طائفة من الأباطرة المتغلغلين في المجتمع المصري والمتمتعين بامتيازات رهيبة جعلتهم سادة من الطبقة فوق الممتازة.

بدأت قصتي مع رجال القضاء المصري في بدايات حياتي الزوجية حين انشغلت زوجتي مدرسة اللغة العربية هي وصديقة عمرها في تجهيز أوراق التعيين بالوظيفة الحكومية، وفوجئنا يا سادة أن زوجتي ألقوا بها في مدرسة تقع مجاهل المحافظة، وتحتاج إلى أكثر من ثلاث ساعات سفر يومي ذهابا ومثلها إيابا، متنقلة في هذه الرحلة اليومية بين الباصات والعربات النصف نقل، هذا في الوقت الذي تم تعيين صديقة عمرها في قلب عاصمة المحافظة، وفي مدرسة بالقرب من سكنها، والسبب بسيط جدا، ألا وهو أن الصديقة المصونة تزوجت من وكيل نيابة، أما زوجتي تعيش

الحظ تزوجت العبد الفقير الطبيب المسكين الذي حصل في الثانوية العامة على مجموع فلكي ألحقني بكلية الطب، وهذا المجموع يكفي لدخول اثنين كلية الحقوق المتدنية المجموع جدا جدا.

لكنها السلطة، تلك التي دفعت بالكثير من رجال الأعمال في مصر لأن يرغموا أبنائهم على دخول كلية الحقوق التي لا يرغب فيها الطالب المتميز، وهذا لأن بمقدور أولياء الأمور أن يدفعوا الرشاوى الباهظة لإلحاق أبنائهم بسلوك القضاء، ويقولون دوماً: إن المال يحتاج لسلطة تحميه.

ولا أنسى هذا المنظر اليومي في محطة القطر، وأنا أشق صفوف الزحام من أجل الحصول على تذكرة سفر لعملي، وبجواني شبك تذاكر خال تماماً، مكتوب عليه «خاص بالسادة القضاة والمستشارين» حيث يأتي سيادته ويحصل على دفتر تذاكر مجاني في يسر وسهولة، ذاك لأنه ابن البطة البيضاء، ونحن العبيد أبناء البطة السوداء .. نفس المنظر يتكرر في طابور البنك حيث التعليمات مفهومة للجميع بأن سيادة المستشار مستثنى من أي طوابير، حتى ولو كانت طوابير الميسورين من رواد البنوك.

والمعانة الفعلية كانت عندما ساقنتي الأقدار لنزاع قضائي خاص بالميراث، ودخلت ورأيت بأم عيني مهزلة المحاكمات في مصر، فما هي بالمرافعات الرنانة التي نشاهدها في الأفلام السينمائية، بل هي أشبه ما يكون بالتهريج، ولكنه تهريج طويل ممل، يأخذ سنوات يمكن أن تتجاوز العشر وأكثر في غالبية القضايا، حتى أن بعض القضايا مات المدعي أو المدعى عليه والورثة يكملون المسيرة.

في المحكمة لا تبدأ القضاة عملها إلا بعد العاشرة صباحاً، في حين أن موظف مسكين مثلي لو تأخر في عمله لما بعد الثامنة والنصف يعتبر في أجازة هذا اليوم .. عموماً يدخل القاضي الأنيق المظهر القاعة يتقدمه الحاجب يحمل له حقيبته الخاصة وملفات القضايا، وهو يصرخ في جموع المواطنين ليمر الباشا في يسر وسهولة.

ثم يبدأ الحاجب في النداء على القضايا، وطبعاً القائمة طويلة جداً، فممكن أن تكون قضيتك رقم عشرين أو ثلاثين أو خمسين أو أكثر.. يمر الوقت ويحين دورك

فتدخل مع محاميك على قاض أمامه أكداً من القضايا التي من المفترض أن لا يقوم من مكانه حتى يبت فيها.

قاض لا ينظر إليك أبداً ولا إلى المحامي، ولا يسمح للمحامي إلا بكلمات معدودة جداً ليحدد فيها مطالبه، أما الخطب الإنشائية التي نراها في الأفلام (يا حضرات السادة المستشارين ..) فهي من وحي الخيال أو ربما للقضايا الجنائية الكبيرة.

قاض ليس عنده وقت لتفهم وجهة نظر أو استعراض أدلة أو حتى الرد عليك، وفي ذات الوقت يترك للخصمين كامل الراحة في المماطلة والتسويق، لا يرد طلب، ولا تعنيه مسألة إنجاز القضية في أقصر وقت لكي تصل الحقوق إلى أصحابها.

وأساليب المماطلة من محامي الخصم لا تعد ولا تحصى: من طعن بالتزوير أو طلب شهود أو سماع أقوال الرؤساء في العمل أو طلب حسابات بالبنوك ... وهلم جرا، والقاضي ما عليه إلا القول: تؤجل القضية لجلسة (بعد شهر تقريبا) لتقديم الطلبات بهذا الصدد، والجلسة تلو الجلسة، والشهر تلو الشهر، والسنة تلو السنة، حتى تحجز القضية للحكم، ويصدر الحكم فيكون الاستئناف عليه، ثم النقض، ثم تأخذ حكماً من الصعوبة تنفيذه في أحيان كثيرة.

وهكذا ضاعت الحقوق وأبقى القضاة على مميزاتهم من مرتبات فلكية وراحة سنوية شهرين (شهر ٨/٩) رغم أن الراحة الرسمية شهر واحد، ولكن من يرد رغبات السادة المستشارين، هذا فضلا عن جملة من الاستثناءات خصصوها لحراس العدالة، أشهرها لوحات أرقام السيارات المعدنية السوداء والتي كتب عليها «هيئة قضائية» .. إنها لوحات تفتح المغلق وتعصم صاحبها من تحرير أي مخالفة مرورية من أي نوع، لدرجة أن المصريين من غير العاملين في سلك القضاء أخذوا يبذلون الغالي والثمين من أجل الظفر بتلك اللوحات السحرية.

أما الانضمام لسلك النيابة والقضاء فلا يعوزه مهارات خاصة، لا أول الدفعة ولا اختبارات شخصية لهذا المنصب الحساس، كل ما في الأمر هو حفة من مهارات فتح الأبواب الخلفية، والخطوة تكون لمن يدفع أكثر، ثم تبدل الحال مع كثرة عدد

القضاة، وأغلق القضاء الباب على نفسه، واقتصر التعيين على أبناء القضاة أنفسهم، أسوة بما يحدث في وزارة الخارجية أو وزارة البترول وكلية الشرطة وغيرها من القطاعات الراقية التي حرمت على أبناء الشعب، حتى ولو كانوا أكفاء.

بالله عليكم كيف نطلب ممكن تولى بالظلم أن يقيم العدل؟! وكيف نقبل قول الانهزاميين بأن امتيازات القضاء لا بد منها لحساسية المنصب القائم على «حفظ العدالة» قيام الحياة.

بالله عليكم أليس الطبيب في غرفة عملياته بقائم على حياة مرضاه، والمدرس في مدرسته قائم على حياة العلم، وحتى العامل في مصنعه، والتاجر في متجره ... أين العدالة الاجتماعية التي صدعونا بالحديث عنها.

يا سادة فاقد الشيء لا يعطيه، ويبقى دوما الأمل في الإصلاح يتسرب إليك وأنت في باحة الانتظار في المحكمة حيث تمتد عينك على تلك اللوحة الجدارية الكبيرة، والتي كتبت عليها بخط عربي أنيق تلك الآية القرآنية الكريمة التي القضاة إليها أحوج من سائر الناس:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: ١٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

سجون مصر كما يصفها الرئيس خيشة

السبت ٢٠١٢/٦/٢ كان يوما تاريخيا في مصر خاصة والعالم العربي بل والدولي عامة، حيث تابع الجميع أمام شاشات التلفاز وقائع جلسة المحاكمة التاريخية للنطق بالحكم على الطاغية مبارك وأعوانه.. كان الحكم صادما للجميع، حيث حُكم على مبارك ووزير داخلته بالمؤبد، في حين نجا مساعدوا وزير الداخلية وابنا الطاغية من التبعات بحكم براءة تهريجي أقرب ما يكون للقضائي، وكأن مبارك ووزيره كانوا في قلب الحدث يمسكون ببنادق قتل الثوار ويسقطون الضحايا الواحد تلو الآخر، دون مساعدين ولا منفذين غيرهم.

كانت الأحكام لا تبدو مفاجأة للجنة داخل ققص الاتهام، وكأنهم كانوا يعلمون بها مسبقا، ومع إقرار كافة الجموع الشعبية بوجود ثورة مضادة، وأن أمور وأمور تدبر في الخفاء لإجهاض هذه الانتفاضة التاريخية، إلا أن الجميع أدرك بعد هذه المسرحية الهذلية أن المحاكمة تمت من قبل نخب فلول النظام السابق، لرؤساء نفس النظام، وبالطبع كان الربيب شفيقا بريبيه وولي نعمته.

المضحك في الأمر أن وكالات الأنباء أفادت أن الطاغية مبارك فور وصول طائرته الفارحة لأبواب سجن «طرة» الشهير، رفض النزول من الطائرة، وأصيب بأزمة صحية وعالجه فريقه الطبي المرافق، بل ذكرت أحد وكالات الأنباء أن جنرال كبير من المجلس العسكري تدخل على مدى ساعتين لإقناع مبارك بدخول السجن.

هذا الموقف مغاير تماما لما يحدث عادة في السجون المصرية، وهذا يذكرني بالرئيس (خيشة) الذي جلس بجواري يوما وقد قارب على الستين عاما، وخلال الحوار معه عرفت أنه خرج منذ أيام من السجن بعد قضاء محكومية بالمؤبد جراء اشتراكه في جناية قتل.

سألت خيشة عن أظرف موقف تعرض له في السجن، فأخبرني أنه فور وصوله السجن، قال له رفقاء السوء: إن حكمك مؤبد، وهي أقصى عقوبة، وليس بعد الكفر

ذنب، فينبغي عليك أن تكون لك شخصيتك الجسورة في السجن كي لا تضيع وسط الأوباش.

قال خيشة: فاقتنعت بالفكرة، وشاكت كل من قابلني في السجن لكي يحسبوا لي ألف حساب، وفي أيامي الأول عرضتنا إدارة السجن في طابور خاص ليعرفوا منا مهنة كل واحد من النزلاء الجدد، ولما سألني العسكري عن مهنتي، أجبت عليه بفظاظة وسبته، وتصادف مرور مدير السجن وسمعتني، فما كان منه إلا أن أصدر أوامره التأديبية لي، فأخذوني وأدخلوني زنزانة، وطلبوا مني أن أتجرد من ملابسي تماما كما ولدتني أمي، ثم أدخلوني في جوال من أجولة الدقيق - وكان صاحبنا نحيل الجسد قصير القامة - ثم ربطوا الجوال، وانهال العساكر علي بالعصي، ثم أخرجوني من الجوال كقطعة لحم متهتكة، وألقوني في زنزانة مغمورة بالماء، وكان البرد حينها على أشده، وفي الصباح أخرجوني وكأني متجمد، ووضعوني في الشمس لكي تفك أوصالي، ومن يومها استقام حالي في السجن.

المؤسف في الأمر أن الرئيس خيشة خرج بعد طول سجنه وهو على مشارف الشيخوخة، وقد تغيرت الدنيا، وتنكر له معارفه وأقربائه على قلة عددهم، ولم تستقيم له الأيام، فاشترك في جريمة قتل جديدة، وعاد إلى السجن وديناه الخاصة التي لا يعرف غيرها.

هذه هي سجون مصر يا سادة، تتحطم فيها شخصية الإنسان، وتنهار نفسيته ومعنوياته، ويخرج إلى الحياة مسخا لا هو إنسان ولا حيوان .. سجون مصر يا سادة ليس فيها إقناع ولا مفاوضات ولا محاورات، ولا رفض ولا اعتراض، وهي أشبه إلى المقابر منها إلى غرف الآدميين، ومعاناة المساجين مع البراغيث والجرب وسائر الأمراض الجلدية أشهر من أن تذكر.

لكن الطاغية يرفض النزول من الطائرة، وتقريبا هو أول سجين في تاريخ مصر يصل للسجن بطائرة، ثم هو يرفض دخول سجن غير تقليدي بالمرة، إنها مستشفى خاصة أعدت له بتكاليف باهظة وعناية فائقة، رغم أن آلاف المساجين بمصر حالتهم الصحية أسوأ بكثير من هذا الطاغية، وجريمتهم أقل بكثير من جرائمه البشعة، ولكنها

الثورة المضادة، وفلول النظام السابق الذين يعملون في الخفاء، ويطأطئون الرأس للموجة الشعبية العاتية ثم لا يلبثوا أن ينقضوا على هذا الشعب المسكين مرة أخرى. ومن السخرية في هذه المحاكمة أيضا أكذوبة «نزاهة القضاء المصري» رغم أن هذا القضاء طيلة عمره متلون، فهو الذي سجن الشرفاء والمشايخ والعلماء بأوامر من الطغاة السابقين، وهو الذي حاكم وسجن رموز النظام البائد بناء على رغبة الجماهير الثائرة، وهو على أتم استعداد لأن يسجن أعداء النظام القادم، وكله بالقانون والدستور، وهذا من عجائب القضاء المصري.

إن القضاء في مصر يا سادة هو أحد أركان الأنظمة الدكتاتورية الثلاثة في عالمنا العربي والمتمثلة في الجيش والشرطة وسلك القضاء، فهم صفوة النظام، ومحل رعايته وسخائه، فالكل يعرف أن القضاة كافة وبلا استثناء يعينون في مصر إما بالرشوة أو المحسوبية والوساطة، فكيف بالله عليكم أن يحكموا بالعدل وبدايااتهم مشبوهة، ثم حدث ولا حرج عن الامتيازات الرهيبة التي تتمتع بها سلطة القضاة، والرواتب الفلكية رغم أن معظمهم ضعيفي الثقافة، ولا أدل على هذا من هذا المستشار الذي ترأس محاكمة مبارك -وهو من المفروض أن يكون من صفوة رجال القضاء- لا يجيد قراءة الحكم قراءة عربية صحيحة، حتى الآيات القرآنية قرءها خطأ!!.. فما بالك بمن دونه، ولقد جالست بعضهم فوجدتهم متغطرسون وفي المعرفة سطحيون لا علم يؤثر ولا ثقافة تذكر.

مصر بلد عجيب، الأمور فيها قائمة على الحظ لا الكفاءة والموهبة، فرب صديقين خريجي كلية حقوق يخدم الحظ أحدهما ويدخل السلك القضائي من الأبواب الخلفية، والآخر لا طريق له سوى العمل في تسليك المجاري.. فحسرة عليك يا بلادي يا من يدعون عنك كذبا وزورا أنك أم الدنيا!!!

إن أكبر خطأ ارتكبته ثورة ٢٥ يناير المباركة أنها سمحت بلعبة تبدل الأدوار القيادية، ففي حين أقصت رموز النظام البائد، سمحت لرموز أخرى من نفس النظام كانت في الظل أن تتولى زمام الأمور، فصار جلادي الشعب وحامي الثورة هم نفس

القيادات في نفس الوقت، وفي حين يظهرون للجماهير الشائنة براعي الثورة المباركة،
يدبرون في ذات الوقت ما خفي، وما خفي كان أعظم.

بسم الله الرحمن الرحيم

في مصر كله بالقانون

القانون في مصر شأنه عجيب ووضعه غريب .. إنه منظومة متكاملة صيغت بحبكة وجودة منقطعة النظير، لكنها وضعت على الأرفف لاستخدامها وقت الحاجة، عكس كل قوانين الدنيا التي تُفعل وتنخرط في حياة الناس من أجل تنظيم حياتهم وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية المنشودة.

ففي مصر حكمنا فراعين منذ قيام ثورة ١٩٥٢ ولم يتزحزحوا عن كرسي الحكم إلا بالموت، رغم أن الدستور المصري نص على فترات حكم معينة، لكن لا ضير ما دام ترزية القوانين موجودون، حيث فصلوا قوانين تخدم فرعة الفرعون وثباته على كرسي السلطة، وفي استفتاء شعبي وهمي مررت الطغمة الحاكمة القوانين الجديدة .. وكله بالقانون!!

وحسني مبارك حكمنا طيلة عهده بالقانون! ولم يعين نائب له متحديا القانون، ولم يجد من يجزؤ على الطعن بدستورية هذا التصرف، بل كان يمهد لولاية ابنه كما فعل حافظ الأسد بسورية، فاخترع له القانونيون «لجنة السياسات بالحزب الحاكم» وتولى ولي العهد رئاستها تمهيدا لساعة التنصيب .. وكله بالقانون!!

ولقد صار راسخا في وجدان المصريين أن المباني الضخمة الأشبه بالقلاع والتي خُصصت للمحاكم، ما هي إلا مباني ديكورية لزوم السلطة القضائية، لكن الداخل مفقود والخارج مولود، فالبت في قضية ولو بسيطة يستغرق أعوام مديدة، والقضاة تسير في العملية القضائية سير السلحفاة، خاصة وأنهم لن يضرهم شيء فالرواتب مجزية والامتيازات راقية والإعلام يشيد صباح مساء بالمؤسسة القضائية المصرية العتيقة، أما الخاسر الوحيد هو المواطن الغلبان.. وكله بالقانون!!

وفي مخفر الشرطة الغلبة فيه لمن يدفع أكثر، حيث تحبك له الأدلة ويخرج من المشكلة خروج الشعرة من العجين .. وكله بالقانون.

حتى السجن يتميز فيه المساجين حسب سخائهم، بل سجن المزرعة الفاخر بليمان طرة خير شاهد، حيث يسجن فيها الصفوة من رجال المال والأعمال والساسة الكبار .. وكله بالقانون.

وأذكر أنني إبان تعيني في وظيفتي الحكومية ألقوا بي في مجاهل الأرياف وزميلي ابن الباشا عينوه في وسط العاصمة، ولما سألت عن هذا، قالوا لي إن وكيل الوزارة له ١٠% استثناءات، أي بصراحة مجاملات، وهكذا تنص اللوائح .. وكله بالقانون!! ومن طريف العملية الانتخابية الرئاسية الأخيرة بين د. محمد مرسي -حفظه الله- ، والفريق أحمد شفيق، برر أحد المحللين صعود شفيق إلى هذه النسبة التصويتية العالية بالدلتا بأن محافظات الدلتا ليس لها ظهير صحراوي، وبالتالي قام المزارعون فيها بالبناء فوق الأراضي الزراعية، مستغلين ظروف الانفلات الأمني بعد الثورة، ووجدها أحمد شفيق فرصة، وأصدر وعوده منذ بداية حملته بأنه سيتم التصالح معهم، وعدم مؤاخذتهم بما فعلوا، برغم أن ذلك مخالف لقانون، ويدمر ثروة مصر من الأراضي الزراعية، لكنه أمر مباشر من رئيس الجمهورية .. وكله بالقانون!!

وبالقانون أخرجت سوزان مبارك من أتون المسائلة الثورية، وأخرج مبارك نفسه من السجن بقصة لا يصدقها ساذج، وبالقانون حصل مساعد وزير الداخلية على البراءة، وبالقانون خرج مسؤولي المنظمات الغربية من مصر، وبالقانون وقف علاء وجمال مبارك في قفص الاتهام كالأسود ليمنعوا الكاميرات من تصوير أبيهم .. وكله بالقانون القوانين عندنا يا سادة لا يتم استدعائها إلا من أجل تمرير مصالح مشبوهة .. الآن في مصر صار عندنا مؤسسة قضائية ومحكمة دستورية تحل مجلس الشعب، بعدما أخذ تأسيسه جهد مضني، وتكلفة حوالي مليارين من الجنيهات، ووقتها كان قضاة المحكمة الدستورية في غفوة، ومرت الانتخابات بسلام ونزاهة لم تعرفها مصر من قبل، ثم استيقظ القضاة وحكموا بعدم دستوريته، ومن ثم حله، ومعاودة اللعبة مرة أخرى .. هكذا بكل ببساطة، دون النظر لمشاكل مصر السرطانية التي دخلت في مراحل متأخرة.

وأبواق الأعلام المشبوهة لا تكف عن المناداة باحترام أحكام القضاء، ورفض نظرية المؤامرة، وعدم التشكيك في قضاء مصر النزيه .. والمحصلة أننا نسير سياسيا في حلقة مفرغة، لا خروج لنا منها.

إن كنا سنستجيب لهذه التسالي السياسية، فمتى سننظر في أحوال المعدمين والمرضى والمهمشين، وأصحاب الإعاقات، وغيرها من المحن والإحزن .. متى سنعمل؟ ومتى سنتهضي يا مصر؟ ومتى يعلو صوت الإنجازات على صوت الدعايات والمجادلات؟

إن المواطن في مصر أكله المرض والفقر، وهو غير معني على الإطلاق بكل هذه المهازل السياسية، ولا يضيره وجود مجلس الشعب أو حله، أو دستورية إجراء ما أو عدم دستوريته .. هو لا يرى إلا الأمل في أن يعيش عيشة كريمة، ويتصالح مع الأيام التي سرقت عمره دون انجاز يذكر، فلتكف شريحة المترفين القابعة أمام الكاميرات عن هذا الهراء السياسي، وليعود مجلس الشعب بأي صيغة، لنبدا مسيرة العمل التي طال انتظارها، ونخربط مع الناس في همومهم وأتراحهم، ونعمل جاهدين على تذليل العقبات والمطبات، وإلا سيخرج الوضع عن السيطرة، وحينها سوف لا يبقى ولا يذر.

بسم الله الرحمن الرحيم

نادي الأغنياء .. قراءة نفسية وسياسية

قُدر لي أن أدخل عالم الأغنياء ردحا من الزمن، هذا العالم الفريد بمظاهره الخفية التي لا تبدوا عيانا لأول وهلة، كما أنه يحكمه العديد من البروتوكولات والعادات، خاصة في بلد مثل «مصر» التي يقع أكثر من نصف سكانها -البالغ تعدادهم تسعين نسمة- تحت خط الفقر.

وحين تكشف خفايا وأجواء هذا العالم لا نقف طويلا حول المظهر الأنيق والسيارة الفارهة والطعام الشهي أو حتى نوادي التنزه وحفلات السهر والرحلات الممتعة لشرم الشيخ أو الساحل الشمالي أو أي من المنتجعات .. فتلك المظاهر التقليدية للشراء توجد في كل أمصار الدنيا، كما أن التلفاز لم يأل جهدا في عرضها عبر أفلامه ومسلسلاته وإعلاناته، في محاولة لترطيب الأجواء النفسية للفقراء والمعدمين الذين يجدون نوعا من البهجة النسبية في مطالعة الجمال من خضرة وقصور فيلات وفاتنات .. عبر الشاشات، فضلا على أن المادة الإعلامية دوما تتجنب أن تكون قاتمة ومسهبية في عرض الأزمات المعيشية كي لا ينفر المشاهد المثقل بهوموم الحياة والمعيشة طيلة النهار، فالمحبد أن يجد في الشاشة نوعا من المتعة مع الاسترخاء الذي لا يكلفه شيئا بالمقارنة بالجلوس في نادي أو حتى مقهى شعبي.

وأول ما يشد انتباهك في عالم الأغنياء بمصر أنه لا يقتصر -كما يعتقد الناس- على طبقة الموهوبين والتميزين والمثقفين .. بالعكس تماما، فإن هذه الشريحة تمثل ندرا يسيرا من التركيبة الاجتماعية لهذا النادي، نعم قد تجد طبيبا بارعا، ومستثمرا ناجحا، ومهندسا متألقا، ومعلما جهبذا .. لكن الكثرة تنحصر في نمطين، إما شريحة من الأفاقين أو الوصوليين أو ذوي المناصب الإدارية المرموقة أو أصحاب الاستثمارات المشبوهة، وإما جيل من أبناء لأسر ثرية، الذين يقال عنهم أنهم ولدوا وفي أفواههم ملعقة من ذهب.

ونقول مرارا وتكرارا أن معادلة «من جد وجد ومن زرع حصد» هي معادلة غير موزونة على الإطلاق في مصر، في ظل أجواء الفساد الإداري والفساد ودهاليز المصالح الخاصة، التي ينفذ منها من باعوا ضمائرهم وصولا إلى عالم الشراء.

المحظوظون في مصر لهم أيضا نصيبا في نادي الأغنياء، فقد يكون بعضهم من حملة شهادة الثانوية العامة بتقدير ٥٠% لكنه بالمحسوبية ينخرط في سلك القضاء أو الشرطة أو الجيش ويتدرج لمكانة مرموقة يحسده عليها خريجي كليات القمة من طب وهندسة.

والمهرجون كذلك شريحة لا يستهان بها في نادي الأغنياء، وهم ثلة لا تجيد غير الرقص والقبلات والأحضان والغراميات وكافة أشكال الإسفاف التي تجعله النجم الكبير والفنان القدير، لكنه يفترق عن باقي أعضاء النادي بأنه يحوز على الثروة والشهرة!!

هموم ومشاكل أعضاء نادي الأغنياء تختلف جذريا عن هموم سائر المصريين الكادحين، بالطبع في كل غرفة -مثلا- مكيف، وفاتورة الكهرباء تأتي فلكية شهريا، لكنها لا تلفت أنظارهم كما هي حديث القاضي والداني من العوام.

وبالطبع لا يحبذون تناول الأسماك في البيت بسبب رائحتها النفاذة، ويفضلون تناولها في المطاعم الخارجية، حيث الأسماك البحرية المتميزة، بعكس البسطاء الذين إن وجدوا السمك فهو تربية المزارع والله أعلم كم النفايات والهرمونات التي تناولها.

وبالطبع مدارس الأولاد وجامعاتهم أجنبية، والخادمة ربما فلسطينية .. حتى المياه يفضلونها معدنية أو على الأقل مفلترة، والفاكهة والخضراوات أورجانيك، أما اللحوم والدجاج فهم لا يحبذون العظام إطلاقا، ويفضلون البانيه والفيليه وسائر المنتجات الخالية من المنغصات (شاورما، هامبرجر، بسطمة، لحوم مدخنة، ...).

أما أزمات الأثرياء فهي دوما مع الأقساط الشهرية لثمن الشاليه في أحد المنتجعات السياحية، أو دولرة العملة المحلية تحاشيا لهبوط الجنيه المتواصل، أو مشاكل الأولاد مع مدرسين المواد الدراسية الذين يتوافدون على فيلاتهم، ليعطوا المحروس المدلل الدرس بمفرده.

وأعضاء نادي الأغنياء يتسمون عامة بهدوء النفس والصوت المنخفض والمناقشات الهادئة، فالتوتر في حياتهم شبه مختفي، وهذه ملاحظة جوهرية وسلوك محوري كاشف لخلفية الشخص المترف، حيث تخلو حياته من منغصات زحام المواصلات العامة، وطواير الخبز والتموين المدعمة، وإهمال المستشفيات الحكومية، وحتى الخوف على مستقبل الأولاد في ظل بطالة طاحنة ودخول مادية متدنية .. وكل هذه التوترات الحياتية للقاعدة المصرية العريضة لا شك أنها تستفز المشاعر وتأزم الانفعالات وتضيق الصدر، وتجعل البائس على حافة الانهيار العصبي عند أبسط احتكاك به.

والأغنياء يخافون على أنفسهم بدرجة لا يتصورها عقل، فعند المرض يكون الهلع الذي لا يقف في وجهه عائق التكلفة الباهظة للفحوصات والعلاجات، فبدل الأشعة الواحدة تؤخذ عدة إشاعات، وبدل التحليل الواحد يتم عمل تحليلات شاملة ومتخصصة، وفي أرقى المعامل، والمستشفيات لا بد أن تكون من مستوى الدولي أو التخصصي، وإذا لزم الأمر يطلب الدواء مستورد من أحد البلدان الأوروبية، أو الذهاب للخارج من أجل خدمة طبية وعلاجية متميزة.

أما أحاديثهم في جلسات السمر فيغلب عليها ضعف الثقافة العامة، وضحالة الفكر، لأن العلم في حد ذاته مضني في تحصيله، وهم بالطبع لا يحبون بذل الجهد، وغاية مصادر المعرفة لديهم شاشات التلفاز وهي بالطبع لا تهتم بالتوجيه التربوي والفكري أكثر من اهتمامها بتقديم المثير والغريب لجذب أكبر شريحة من المشاهدين من أجل إعلانات أوسع انتشارا وأكثر ربحا.

وطبيعة الأحاديث بينهم عن مستوى النادي الذي صار متدنيا، والمعاناة في وجود سائق أمين وخادمة نظيفة، واكتشاف مطعم أو متنزه رائع في أجوائه وخدماته، أو القلق من تأخر شحنة تجارية في الميناء بسبب الجمارك والروتين، أو عن أسعار السيارات موديل السنة .. وأمثالها من مشاكل عالم خاص ومغلق لا يفتح في البوح والكلام إلا مع أقرانه الذين يؤمن شر حسدهم أو مصمصه شفاههم.

ومن معتقدات أعضاء نادي الأغنياء أنهم على قناعة تامة بحقد سائر الشعب
المسكين عليهم، خاصة غير العصاميين منهم .. هذا الشعب الذي حطمه الفقر
والجهل، لذلك فهم يتحاشونهم في كافة أشكال المعاملة، ويتجنبونهم ما استطاعوا إلى
ذلك سبيلا خوفا من «الحسد» لا أكثر ولا أقل.

بسم الله الرحمن الرحيم

رجل ليس من كوكب آخر

في حوارهِ الأخير مع جريدة «المصريون» بعد خروجه من المعتقل، طرح الدكتور الأزهري (محمود شعبان) رؤيته الإسلامية لما تمر به الأمة من أزمة طاحنة، بل ومستعصية في الحل على ما يسمون أنفسهم بالنخب أو العاملين في مراكز البحوث الإستراتيجية العربية الذين بهرونا بألقابهم، وأردونا إلى ما نحن فيه بمقترحاتهم وأطروحاتهم.

رؤية الشيخ محمود شعبان رؤية عالم رباني .. رؤية بصيغة إسلامية نقية لم نتعودها من نخب العلمانيين والاستراتيجيين والمفكرين والحداثيين والليبراليين والقوميين والبعثيين .. الذين صدعونا بزبالة أفكارهم، ومسحونا إلى «أذنان» للشرق أو للغرب، نتسول منهم سلاحنا ودوائنا وغذائنا وسائر شئوننا، في ظل حكومات الملك المفدى وجمالة السلطان وفخامة الرئيس.

يمتاز طرح الدكتور شعبان بمزج المنظومة الدينية والأخلاقية بأي عملية سياسية تنشأ الإصلاح، وهذا المزج حتمي وليس من قبيل الرأي الشخصي، لأنه مدعم بنصوص الوحي الشريف المعصوم من الخلل والذلل، كما أنه مزج مصري أبدي وليس مرحلي، حيث يلخص -حفظه الله- الأزمة في سرد طاهر وعفيف وصريح، فيقول:

"مصر في حالة حرب مع الله، فدولة قائمة على القروض الربوية وقد أمر الله بالانخلاع من الربا، ثم قال بعدها: {فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله}، فهل تطيق أمة حرب الله عز وجل؟ الإجابة لا.. مصر الحاصلة على المركز ١٣٩ من بين ١٤٠ دولة في جودة التعليم لم ير رئيس جامعة القاهرة سبباً لتدهور التعليم في مصر سوى النقاب، فحرّم وجرّم النقاب في الجامعة، والعُرى والإباحية ليسا مرفوضين لأنهما من باب الحرية، أما المنتقبة فمحرومة من الحرية بعيداً عن شرعية النقاب وأنه شرعة العلي الوهاب أين المتشدقون بالحرية؟

عشرات الآلاف في السجون، وخلف كل واحد قصة من المظالم والحقوق الضائعة، والبنات اللائي اغتصبن والأرواح التي أزهقت .. هذا الإفساد الذي حدث يقول إننا في حالة حرب مع الله الذي قال: {إن الله لا يصلح عمل المفسدين}، وقال: {إن الله لا يهدي كيد الخائنين}، وقال: {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} الآيات من سورة يونس ويوسف وتبعا، تمثل سنة كونية وقاعدة ربانية .. فعمل المفسدين لن ينصلح، والله إذا أراد أمرا يسر أسبابه، والعجيب أن الآيات الثلاث أتت في سياقات تتحدث عن مصر؛ فالآية الأولى قالها سيدنا موسى لسحرة فرعون في مصر، والثانية قالتها امرأة العزيز بعد اعترافها بأنها التي راودت يوسف عن نفسه، وبينت أن الله لا يهدي الخائنين، وكان ذلك في مصر، والثالثة كانت تعليقا على ما أراده الله من الخير لسيدنا يوسف بعد ما فعله إخوته طلبا للخلاص منه، لكن العزيز قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، أتت الجملة تعليقا على ذلك لبيان قدرته وحكمته سبحانه.

وإراقة الدماء واستباحة الأموال والأعراض وكثرة المظالم في السجون كل ذلك إفساد وليس إصلاحا، وربنا أخبر أنه لا يصلح عمل المفسدين، والذين يظنون أن القوة العسكرية البشرية والقبضة الأمنية الغاشمة تكفي لحكم الناس بالحديد والنار واستمرارهم في قيادة الأمة، تأتي الآية الأخيرة تخبرهم بأن الله غالب على أمره ولن يعجزه أحد من خلقه مهما كان قدره وقدراته".

ثم لا يتجاهل الدكتور محمود شعبان دور المنظومة العقديّة والتربويّة في رسم سبيل النجاة، فيقول بارك الله فيه:

"وانظر إلى فتوى حرمة المجاهرة بالفطر في نهار رمضان، والحرب المستعرة على الأزهر ورجاله ودار الإفتاء، والمقالات التي كتبت تحذر من «أسلمة مصر» تدرك أننا في حالة حرب مع الله؛ فالغرب للأسف يبحث عن أخلاق الإسلام وتربوياته، ونحن أبناء الإسلام نحاربه، وانظر إلى وزير الأوقاف الذي جعل درس القيام سبع دقائق بحد أقصى عشر دقائق، والخطبة ثلث ساعة بحد أقصى ومكتوبة وتقرأ من الورقة،

والاعتكاف بالبطاقة وبإذن الأمن، وانظر إلى كمّ الدعاة والقُراء الممنوعين من الخطابة والإمامة وتجريف منابع الدعوة تدرك أننا في حالة حرب مع الله.

وانظر إلى رمضانهم الذي يريدونه ومسلسلاته وأفلامه وانظر إلى مئات الملايين إن لم يكن المليارات التي أنفقت ليخرج المسلم من رمضان كما يريدون، وانظر إلى عدد مشاهد السجائر والمخدرات والعُرى والرقص والجنس والخيانة، فأنا أتابع ذلك من خلال جرائد مصر وحديثها عن ذلك الذي رفضوه هم ورأوه كثيراً خرج من حد الاعتدال إلى الابتذال عند أهل الفن أنفسهم، وسل عن علة سكوت الأزهر والأوقاف عن هذا، في وقت الشجب والاستنكار في أماكن أخرى وسياقات أخرى".

أما عن السياسية الخارجية فيذكرنا الدكتور بالخطوط الحمراء التي لا ينبغي أن نتجاوزها تنكراً لعقيدتنا ومقدساتنا، وخاصة «العلاقة مع الصهاينة» التي علت موجة التطبيع معهم -بضغط الصهاينة العرب- في هذا العصر أكثر من غيره، يقول:

"انظر إلى حالة العداء بيننا وبين دول عربية وإسلامية، وحالة الود والصدقة بيننا وبين إسرائيل التي احتلت أرضنا واغتصبت ودُنّست مقدساتنا، تدرك أننا في حالة حرب مع الله".

والدكتور أيضاً محاوراً متمكناً، يسعفه رسوخه العلمي في دحر خصوم الطرح الإسلامي، فيقول:

"انظر إلى منسوب البحث والعلم ظلمًا وزورًا، وهو لا يجيد أن يقرأ في كتاب الله، ولا أن يفهم كلام السلف، انظر إليه وهو يهاجم القرآن والسنة والتراث الذي دار حولها من كتب التفسير والحديث من أئمة الدنيا، وانظر إليه وهو يكذب على الله في حلقاته، وينفي أن التوراة حُرِّفت، ويقول هذا باطل فالتحريف كان في المعنى فقط بحيث يفتون الناس على خلاف ما أمر الله، ويشرح قوله تعالى: {أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه} يشرحها خطأ، ويتناسى جاهلاً ومُدلساً قوله تعالى بعدها: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون}

وبعد كذبه على الله، وجرأته على تراث السلف الذي يريد أن يلغيه بجرة قلم، وبعد السب والشتم لتراث المسلمين الذي لم يفهم منه قليلاً ولا كثيراً لضعف الآلة العلمية عنده، وبعد الحكم عليه قامت الدنيا ولم تقعد دفاعاً عنه، وصنعوا منه بطلاً، وبدأت الدنيا تتباكى على الحرية، وفي السجون عدد لا يعلمه إلا الله من أهل العلم والدعوة والعمائم التي كانت تقوم لها الدنيا احتراماً وإجلالاً، هؤلاء في السجون لا يسأل عنهم أحد ولا يرثى لهم أحد لأنهم قالوا كلمة حق".

أما عن المأساة التي تمر بمصر فيلخص الدكتور المشهد بقوله:

"وحيثما تقرأ قول الله: {ومن قُتلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً} من الذي وعد المظلوم بالنصر .. إنه الله، والنبى -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن ربه في الحديث القدسي إنه قال عن دعوة المظلوم: (وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين)، وحيثما تقرأ قول الإمام ابن تيمية: «إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، لأن الدنيا تقوم بعدل وكفر، ولا تقوم بظلم وإسلام» تدرك ساعتها حجم الواقع الذي نحياه والمظالم التي أصبحت عنواناً لخلق الله؛ فإننا نحيا ظلماً وحرباً على الله يستحيل معه أن تنهض أمة أو تتقدم خطوة".

والله ما أجمله من طرح، وما أجله من فكر استنار بنور القرآن والسنة، حتى باتت كلماته ليست فقط وصفية بل تمتزج بالخطوط الإصلاحية الواضحة النيرة، وباتت كلماته وكأنها معالم على الطريق يبصرها بقلبه من استنارت بصائرهم، ولا يراها من أغلق الله تعالى مدارك فهمه وطمس نور بصيرته، فمن كلماته الرائعة:

- فما أراه أن الله لن يُمهّل الظالمين أكثر من ذلك، فهو يُمهّل ولا يُهمل، ويُملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته؛ فالظالم زائل لا محالة، والباطل مدحور، والحق منصور كيف؟ لا أدري، لكنى أدري أن الله على كل شيء قدير.

- إن أمة أكبر مصائبها أنها تحارب الله لا بد لها من الصلح مع الله بالتوبة إليه والاستقامة على شريعته، فلا حل لمصر إلا بشرع الله، بل ولا حل لمشكلات العالم كله إلا في شريعة الله.

- الإسلام دين ودولة وهو صالح لكل زمان ومكان ولا حل لمشاكلنا إلا بالإسلام.
- الحل في شرع الله بالقصاص ممن سفك دماً حراماً، فإن عفا أهل الدم تحولنا للدية لأهل القتل.
- إنهاء حالة العداء والكراهية المتبادلة بين فصائل المجتمع، وذلك لن يكون إلا بالعدل الحقيقي الذي أمر به الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز والتبؤوس

دوما يقول الحكماء بأن قيمة الإنسان تتحدد بقدر ما يحسن، والعظمة تقاس بمدى الخدمات والتضحيات التي يبذلها المتميزون للأجيال وللأمم، فالنفع الخاص والعام هو المحور الذي تدور حوله العظمة، والأفذاذ دوما صنف من البشر لهم حظ أكبر من التألق الذي يؤهلهم لأن يضيئوا ليل البشرية على مر الزمان والمكان.

وإذا تدنت الأمم في سلوكها، وأفل نجمها في سماء الحضارة الإنسانية، تبدلت المفاهيم والمعايير التي تحكمها، وصارت الموازين تعمل بشكل جائر، والمعايير بشكل مقلوب، حتى يصير الحق باطل والباطل حق، وحتى يمجد السفهاء، ويسفه العقلاء. الأمر الذي وصفه القرآن بالخسران، فقال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، ويصف النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الحالة من حالات تدني الأمم بقوله: «فَيَصْبِحَ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لَا يَكَاذُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فَلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»

عندما تتبدل القدوات وتقدم رموز الأمة من طائفة أهل المغنى والطرب أو لاعبي كرة القدم، في حين يتأخر فضل العلماء، ويختفي ذكر الفضلاء، فهذه هي الكارثة. أذكر هذا الكلام في معرض الحديث عن الفاجعة التي تمر بنخبنا القيادية والإعلامية فضلا عن قنواتنا الفضائية لوفاة الفنانة (وردة الجزائرية)، التي حظيت بضجيج إعلامي ومراسم تشييع رسمية تكريما لتاريخها الفني الكبير في خدمة غناء الهوى والحب والغرام، دون علم يذكر ولا ورع يؤثر.

كانت الفنانة الراحلة قد توفيت الخميس ١٧/٥/٢٠١٢ في القاهرة إثر أزمة قلبية عن عمر ناهز ٧٣ عاما، وقد خضعت مؤخرا لجراحة لزرع كبد جديد في المستشفى الأميركي بباريس. وإثر وفاتها نقلت بطائرة خاصة عسكرية جزائرية إلى

بلدها الجزائر، ووري جثمانها بمقبرة العالية بالضاحية الشرقية للعاصمة الجزائرية بمراسم دفن رسمية، ووسط حشد كبير من محبيها.

وحضر جنازة الراحلة رئيس الوزراء (أحمد أويحيى) ووزراء من الحكومة وفنانون جزائريون، بالإضافة إلى الفنان الإماراتي (حسين الجسمي). وكان جثمان الراحلة الذي حملته عناصر من الدفاع المدني مسجى بالعلمين الجزائري والمصري قبل نقله من قصر الثقافة إلى مقبرة العالية التي يدفن فيها كبار المسؤولين في الدولة.

وتعالت أصوات المشيعين بالزغاريد والتكبير وتهاطلت الورود من كل جانب على جثمان الفقيدة، وانفجرت الحناجر بنشيد ثوري وهم يودعون الراحلة إلى مثواها الأخير. وتلقى ابن الفنانة الراحلة (رياض) تعازي المسؤولين والمواطنين عقب مراسم الدفن.

وكان الرئيس الجزائري (عبد العزيز بوتفليقة) قال في رسالة تعزية: "شاءت حكمة الله جل وعلا أن تودع وردة دنها وهي تستعد مع حرائر الجزائر وأحرارها للاحتفال بالذكرى الخمسين لعيد الاستقلال، وأن تسهم فيها بإبداعها كما أسهمت في ثورة التحرير الوطني بما كانت تقدم لجبهة التحرير من إعانات في مكاتب الحكومة المؤقتة خاصة في مكتبها بلبنان".

وأضاف أن "الراحلة نذرت حياتها لفنها ونذرت فنها لوطنها أينما حلت وارتحلت مناضلة من باريس في صباها إلى المشرق العربي، رفعت رايته في محافل الفن وأسمنت كلمته في منابر، وكانت في ذلك قامة قل أن تسامى وموهبة مبدعة ندر أن تضاهى".

ويقول منظري الفن العربي أن الفنانة وردة تُعرف بأنها إحدى أبرز المطربات الحريصات على القيم الغنائية العربية الأصيلة، وانتقاء كلمات الأغنيات التي قدمتها بعناية منذ أن حضرت إلى مصر في عام ١٩٦٠ بدعوة من المخرج المصري (حلمي رفلة) ضمن عمل سينمائي.

ولم تحرم الأحداث وردة من تكريم مغاوير المغرب أيضا حيث حضر (فؤاد عالي الهمة)!! مستشار العاهل المغربي (محمد السادس) وصديق طفولته، السبت إلى العاصمة الجزائرية لتكريم روح الفنانة العربية الكبيرة وردة الجزائرية، وذلك إلى جانب وزير الخارجية الجزائري (مراد مدلسي)، بحسب ما أفاد مراسل وكالة فرانس برس، ووصل عالي الهمة ومدلسي إلى قصر الثقافة في العاصمة الجزائرية حيث سجي جثمان الراحلة وردة، وسط إجراءات أمنية مشددة ووقفا لبرهة تكريما لروحها أمام الجثمان الذي تقوم على حراسته نساء من الحماية المدنية، وذلك قبل أن يوقع المسؤول المغربي سجل التعازي.

رحم الله إمام الأمة (سعيد بن المسيب) الذي ما فاتته تكبيرة الإحرام في الصف الأول أربعين سنة، ورحم الله (ابن سكينة) الذي يقول عنه الذهبي: الشيخ الإمام العالم الفقيه المحدث الثقة المعمر القدوة الكبير، شيخ الإسلام مفخرة العراق، ضياء الدين بن سكينة البغدادي الشافعي، وسكينة هي والدته أبيه، قال ابن النجار: شيخنا ابن سكينة شيخ العراق في الحديث والزهد وحسن السمات وموافقة السنة والسلف، عمر حتى حدث بجميع مروياته، وقصده الطلاب من البلاد، وكانت أوقاته محفوظة لا تمضي له ساعة إلا في تلاوة أو ذكر أو تهجد أو تسميع، وكان إذا قرئ عليه منع من القيام له أو لغيره، وكان كثير الحج والمجاورة والطهارة، لا يخرج من بيته إلا لحضور جمعة أو عيد أو جنازة، ولا يحضر دور أبناء الدنيا في هناء ولا عزاء، يديم الصوم غالبا، ويستعمل السنة في أموره، ويحب الصالحين، ويعظم العلماء، ويتواضع للناس، وكان يكثر أن يقول: «أسأل الله أن يميّتنا مسلمين» وكان ظاهر الخشوع، غزير الدمعة ويعتذر من البكاء ويقول: «قد كبرت ولا أملكه» وكان الله قد ألبسه رداء جميلا من البهاء وحسن الخلقة وقبول الصورة ونور الطاعة وجلالة العبادة، وكانت له في القلوب منزلة عظيمة، ومن رآه انتفع برؤيته، فإذا تكلم كان عليه البهاء والنور، لا يشبع من مجالسته، ولقد طفت شرقا وغربا ورأيت الأئمة والزهاد فما رأيت أكمل منه ولا أكثر عبادة ولا أحسن سمنا، صحبتته قريبا من عشرين سنة ليلا ونهارا، وتأدبت به وخدمته

وقرأت عليه بجميع رواياته، وسمعت منه أكثر مروياته، وكان ثقة حجة نبيلًا علما من أعلام الدين

إن قضية التلاعب برموز الأمة -في لعبة تبدل الأدوار- لهي قضية في غاية الخطورة، حيث تصاب بوصلة جموع الأمة -وخاصة الشباب- بنوع من الانحراف، في مخطط مشبوه يرسم لهم فيه مسار للرقى غير المسار المتعارف عليه من العلم والتقوى والجد والكفاح، ويقتصر فيه الوصول للثروة والشهرة على المتفلتين والماجنين، الذين يحظون بنوع من الرعاية والتكريم لم يحظ به شيخ الأزهر ولا جهابذة العلم والإبداع.

وهذا المخطط الخبيث يخدم كثيرا من الطغمة الحاكمة وأزلامهم، الذين يقصدون من تصعيد السفهاء وتهميش الفضلاء إلى تميع الأمة، وتفلت ضوابطها، مما يضمن لهم الاستمرار على كراسي السلطة أطول فترة ممكنة، ليحكموا شعوبا مغيبة، لا تعرف طريقها للحرية والتميز.

وهاهو عالمنا العربي في ظل رموزه من أهل الفن والكرة يشق طريقه نحو التقهقر بخطى ثابتة، وصار مستهلكا باقتدار لكل إبداعات ومنتجات العالم التي لاحظ له فيها سوى الشراء وبعثرة الثروات والجري وراء الملذات، دون أن تقدم سواعده شيئا يذكر في ركب الحضارة المعاصر، فصار العرب لا يملكون سيارة ولا طائرة ولا حتى الورقة لا يصنعونها، ويسب نبههم -صلى الله عليه وسلم- على مرأى ومسمع منهم فلا يملكون إلا التظاهرات والتنديدات.

إنه لا خير في أمة يقودها السفهاء ويمجد فيها الوضعاء في حين يغيب كل مجاهد صادق أفنى عمره وعمله في خدمتها وتحقيق غايتها .. إن هذه الأمة الإسلامية ليست بعقيمة لإنجاب رموز تفتخر بها على مر الزمان .. فالتحية والإجلال لكل عامل مجد أمام ماكينته في المصنع، ولكل طبيب محترف في غرفة العمليات يداوي بمبضعه آلام المرضى، ولكل باحث في معمله يضني الفكرة في اختراع يرفع من شأن الأمة، ولكل شيخ على منبره يعلى في النفوس قيم الحق والطهارة، ولكل مدرس في مدرسته

ينير الطريق لأبنائنا .. والنماذج كثيرة وعديدة، فمتى نستيقظ وننصف هؤلاء؟! تكريما
وتعظيما ورعاية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مصارع الكبار والتضليل الإعلامي

ما هو الدافع الجبار القادر على تحريك الآلة الإعلامية العالمية المهولة لكي تبث خبراً بمقتل جندي أمريكي واحد أو روسي أيضاً؟!

وما هي الرسالة التي يريدون أن يبثوها للعالم أجمع عامة والعربي خاصة؟! .
فلقد أعلنت قيادة قوات المهام المشتركة الأمريكية في العراق، عن مقتل جندي أمريكي، متأثراً بإصابة تعرض لها في مهمة غير قتالية أو عمل معاد بحسب وصفهم.
وذكر بيان صادر عن القيادة، أن "الجندي لقي حتفه جراء تلقيه إصابة دون ذكر معلومات إضافية حول مكان وزمان وكيفية الإصابة التي تعرض لها".

وبمقتل هذا الجندي يرتفع عدد قتلى العسكريين الأمريكيين إلى اثنين خلال أسبوع واحد، حيث أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية على لسان المتحدث باسم التحالف الدولي، عن تفاصيل مقتل عسكري أمريكي في ٣-٥-٢٠١٦ بتلسقف، وأكد المتحدث أن هجوم تنظيم داعش كان عنيفاً في محاولة للتأثر من الفشل الذي تعرض له خلال الأيام الماضية.

وقال المتحدث باسم التحالف، ستيف وارن، في مؤتمر صحفي بمقر السفارة الأمريكية ببغداد، في ٥-٥-٢٠١٦ إن "الجندي الأمريكي الذي قتل في هجوم داعش على جبهات قوات البشمركة في تلسقف في ٣-٥-٢٠١٦، هو تشارلز كيتنغ ويبلغ من العمر ٣١ عاماً وهو من مدينة سان دييغو"، مضيفاً أن التحالف قام إثر مقتل المستشار العسكري الأمريكي بقتل ٥٨ عنصراً من داعش.

وفي خبر آخر:

لقي جندي روسي مصرعه في هجوم قرب مدينة حلب شمالي سوريا، مما يرفع خسائر روسيا منذ تدخلها العسكري هناك إلى نحو ١٥ قتيلاً خلال عشرة شهور تقريباً.

وقالت وكالة تاس للأنباء أمس نقلا عن وزارة الدفاع الروسية إن الجندي كان في محيط مدينة حلب عندما انفجرت عبوة ناسفة قرب قافلة تحمل الغذاء والماء للسكان المحليين، وكان الجيش الروسي يرافق قافلة المساعدات، وفق ما نقلت الوكالة.

وكانت المعارضة السورية المسلحة أكدت قبل أيام أنها استهدفت موقعا عسكريا في تلة الشيخ يوسف شمال حلب مما أسفر عن مقتل ضباط روس كانوا في الموقع مع عناصر من قوات النظام السوري.

وقبل بضعة أسابيع أعلنت وزارة الدفاع الروسية عن مقتل جندي، وقالت أيضا إنه كان يرافق قافلة إنسانية.

وقتل في وقت سابق من هذا الشهر طياران روسيان كانا على متن مروحية عسكرية تشارك في عمليات ضد تنظيم الدولة الإسلامية شرق مدينة تدمر بريف حمص وسط سوريا. وتبنى تنظيم الدولة إسقاط المروحية، وعرضت وكالة أعماق التابعة له حطامها.

من جهتها أعلنت وحدات حماية الشعب الكردية في سوريا أن أميركا يدعى ليفي جوناثان شيرلي من كولورادو كان يحارب في صفوفها قتل في المعارك مع تنظيم الدولة بمدينة منبج شرق مدينة حلب. وقالت في بيان إن هذا المقاتل الأميركي لقي حتفه منتصف هذا الشهر.

بالطبع هذه الصورة الإعلامية مفادها أن الجندي الأميركي أو الروسي له ثمن وقيمة لأنه من منظومة الكبار، وهي رسالة ضمنية بأن مقتل هذا الجندي بمثابة مقتل جيش أو أمة بأسرها، ولذلك لا حرج في أن تتحرك الآلة الإعلامية وتبث الخبر عالميا بما فيها منطقتنا العربية التي تعودت على موت العشرات والمئات وربما الألوف من أبنائها، ورقم واحد ومفرداته من الكسور الإعلامية المهملة عندنا والتي لا تستحق ذكرا ولا بثا ولا حتى انزعاجا من الأمين العام للأمم المتحدة.

ثم إن الحبكة الإعلامية لم يغيب عنها تطعيم خبر مقتل الجندي الروسي بأنه كان في رفقة قافلة مساعدات أو قافلة إنسانية!! متغافلاً عن الاجتياح الروسي الغاشم لسوريا ومقتل ألوف الأبرياء بمن فيهم الأطفال والنساء تحت ذريعة محاربة الإرهاب. أما مقتل الجندي الأمريكي فقد عرض موقع الإذاعة البريطانية على الإنترنت الخبر برفقة صورة لضابط أمريكي وهو يدرب أحد الجنود العراقيين على استخدام السلاح، ومرفق مع الصورة هذه العبارة الإنسانية النبيلة: «تساهم قوات أمريكية في تدريب الجنود العراقيين وقوات البشمركة»



إن مكنم الخطورة في انسلاخ الرسالة الإعلامية عن مضمونها الإنساني والمعرفي، وتحويل مسارها الطبيعي والأخلاقي في نقل الوقائع والمعرفة إلى منحى خاص يخدم أهداف معينة ويتبنى أجندات خاصة، خصوصاً - كما يقول أ. عماد أحمد- وأن رؤوس الأموال التي تقف وراء الكثير من الوسائل والرسائل لم تعد حكرًا على استثمارات تجارية أو اتجاهات سياسية، بل أن بعضها يعتمد على أموال ذات مصادر دينية أو طائفية أو استخباراتية أو حتى إرهابية خطيرة، ومن أجل الحصول على أصوات داعمة، تلجأ هذه المصادر إلى نزع الإعلام من سياقه الإخباري واستخدامه كسلاح فعال وكفخ محكم للصطياد، متخذة الدعاية والتضليل والحذف والقص والتقزيم والتضخيم وجلد المتلقي كذباً والتلاعب بالصورة .. أدوات لتحقيق مآربها ودس سمومها في عقلية ونفسية المتابع لما يُعرض عن الحدث.

ووسائل التضليل الإعلامي متشعبة تشعب الباطل نفسه، لكن نخص بالذكر منها «لغة التبرير» أو ما يحلو للبعض أن يسميها «النجومية»، كما قال الرئيس الأمريكي

السابق (جون كينيدي) بعد فشل الهجوم على كوبا في خليج الخنازير: "لنصر مائة أب، فيما الهزيمة يتيمة".

وفي عام ١٩١٧ أعلن (آرثر بلفور) وزير خارجية بريطانيا الوعد المشؤم المشهور باسمه «وعد بلفور» بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان الهدف منه جعل بلاد فلسطين ملك اليهود، بإنشاء وطن قومي لهم في قلب العالم الإسلامي وفي أرض الإسراء، فقال الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) في رسالته المشهورة إلى الرئيس الأمريكي (جون كينيدي) في مايو سنة ١٩٦٢ م: "لقد أعطى من لا يملك، وعداً لمن لا يستحق، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق بالقوة وبالخدعة، أن يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه، فيما يملكه وفيما يستحقه".

كلمات رنانة .. لكن تبقى في النهاية الهزيمة هزيمة، وتضخم إسرائيل مستمر، رغم تلك التصريحات النارية والبريق الإعلامي المطبل لها والمزمر.

ومن وسائل التضليل «الدعاية» التي هي في جوهرها عملية إقناع ممنهجة، وصارت ركنا ركينا من العملية الإعلامية، وتبنى بالأساس الظهور بمظهر الصدق وإخلاص النصح -حتى ولو كانت تبطن الشر- من أجل كسب ثقة المتلقي والاستحواذ على فكره، وتلك سنة إبليسية، كما قال تعالى في شأن الملعون مع آدم وحواء: {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: ٢١] أي أقسم لهما بالله، وهو كاذب في هذا.

لقد أضحت الدعاية فننا له ثقله في العملية الإعلامية، وله قواعد وأسس تحكمه وتتحكم فيه مدارها على محاولة كسب تعاطف الجمهور بأي وسيلة شريفة كانت أم وضيعة، هذا مع مقومات أخرى مثل البساطة والتكرار لاخترق أذهان الناس، والولوج إلى ذاكرتهم التي لن تتذكر إلا ما استوعبته بسهولة وكثرة، مع استخدام الرموز وضرب الأمثلة، فالذاكرة البشرية يسهل أن تختزن، وأن تستدعي الصور ذات الدلالة المرتبطة بمخزون الذاكرة الموروثة أو المكتسبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

علي جمعة أم علي فرقة

أثارت زيارة مفتي مصر الشيخ (علي جمعة) للقدس موجة من اللغط والجدل في الأوساط المصرية خاصة والإسلامية عامة، في وقت تموج الأحداث السياسية بمصر، وتعصف بالأمة العربية والإسلامية عواصف الربيع العربي الشديد الدموية في بعض مشاهد اليمن والليبية، بل يتساقط المئات في سورية الشام، دون تلمح أي بارقة أمل في نهاية لهذا البحر الدموي والهادر.

ففي يوم الأربعاء ١٨/٤/٢٠١٢ فوجئ العالم الإسلامي بمفتي مصر في القدس، في زيارة غامضة لم يعلن عنها إلا صباح يوم الزيارة، على الرغم من المعارضة الممتدة منذ عقود في مصر لمثل هذه الزيارة في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ودافع المؤيدون لزيارة المفتي بأن الزيارة تمت بتأشيرة دخول أردنية، حيث أكد مستشار مفتي الديار المصرية الدكتور إبراهيم نجم أن الزيارة تمت تحت إشراف كامل من السلطات الأردنية باعتبارها المسئولة عن شؤون القدس!! بل وأضاف "نجم" أن الزيارة في أساسها زيارة علمية وليست رسمية، حيث قام المفتي بافتتاح وقف كرسي الإمام الغزالي للدراسات الإسلامية بالقدس الشريف بدعوة من مؤسسة آل البيت الملكية الأردنية، حيث إنه أحد أعضائها.

هذا في قلب غريب وعجيب للمواقف، وكأن منبع دهشة واستهجان الجموع الشعبية من نوعية التأشيرة، أو كأن نملة فما فوقها يمكن أن تقترب من القدس دون علم ومباركة السلطات الإسرائيلية، أو كأن التطبيع قضية توهب برمتها لا سياسة تدريجية تبدأ بخطوة تلو الأخرى.

خاصة وأن صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية قد أكدت أن الزيارة جاءت بالتنسيق مع وزارة الدفاع الصهيونية وليس مع وزارة الخارجية، وأنها تمت تحت حراسة الجنود الصهيونية.

المريب في الأمر أن هذه الزيارة تمت في توقيت متقارب مع عدة زيارات من مسئولين عرب آخرين، فمنذ بداية الشهر سجلت زيارات عدة للمسجد الأقصى حيث قام الأمير هاشم ابن الحسين في الخامس من أبريل/نيسان بزيارة المكان مع الداعية الحبيب الجفري، كما قام وزير الداخلية الأردني محمد الرعود بزيارة للأقصى قبل ثلاثة أيام. هذا فضلا عن زيارة بعض أقباط مصر لكنيسة القيامة بالقدس برغم موقف الكنيسة القبطية المصرية التي تتمسك بتحريم الحج إلى القدس ما دامت تحت الاحتلال.

هذه المواقف الغربية ليست بجديدة على الشيخ (على جمعة)، لكن العجيب أن فضيلة المفتي دوما ينسى أنه رأس من رؤوس الأزهر، وممثل مرموق للمؤسسة الدينية الرسمية، وأن مجرد كسر الحاجز النفسي في قضية التطبيع مع الكيان الصهيوني مسألة ليست بالهينة.

وإن كان فضيلة المفتي مولع دوما بالبطولات، فلا بد أن يعلم أن العالم تغير، بل ومصر نفسها تغيرت أيضا، وأن أسلوب البطولات الزائفة قد ولى زمانه، وأن لغة المواقف الإيجابية الحاسمة هي أبلغ لغة، وأن النصر والتأييد إن خلت من مواقف عملية فهي محض غشاء لا يسمن ولا يغني من جوع، فلقد سئمت الشعوب العربية والإسلامية الشعارات الرنانة والأحاديث الجوفاء.

إن تحدي مشاعر المسلمين، ومخالفة المجمع عليه من فتاوى العلماء المعبرين، لا يعد مجدا، بل المجد الحقيقي أن يقدم المفتي شيئا إيجابيا للقدس السليب، وأن يكسر حاجز التعاطف الوجداني مع القضية الفلسطينية إلى خطوات عملية .. هذا هو المحك الذي تصغر أمامه المناصب البراقة والمراكز المرموقة والخطب الرنانة.

وبالله عليك يا فضيلة المفتي، هل هذا توقيت مناسب لصدم مشاعر المسلمين الملتهبة بالأساس، في ظل المحن التي تعصف بالأمة .. أين فقه الأولويات الذي كنت تتشدد به صباح مساء، وأين دور الأب الحنون والشيخ العطوف على قضايا المواطن المطحون الذي أنهكه حكم طاغية خلعه شعبه بعدما وقع بعهدده في أتون الفقر والمرض.

كان أولى بفضيلة الأمام الأكبر أن يناضل في قضايا المنكوبين في بلد كمصر يسكن ٥ مليون من شعبها المقابر، ويعاني ١٣ مليون من البطالة، و ٢٠ مليون من فيروس C فضلا عن مرضى السرطان وما خفي كان أعظم.

إنها بلبلة لا مبرر لها، وفتح باب فتنة لا داعي له، وتناسي لقضايا المهضومين من نخبة آثرت الظل وحجبت نفسها عن هموم الناس، في مخالفة لصريح تعاليم ديننا الحنيف الذي هم أولى الناس باتباعه.

لقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين الناس منخرطاً في أمورهم، وكان يقول: «ابغوني في ضعفائكم، فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم» [رواه الحكم: ٢٦٤١ وصححه] قال الطيبي: وفيه نهى عن مخالطة الأغنياء، وتحذير من التكبر على الفقراء، والمحافظة على جبر خواطرهم، ولهذا قال لقمان لابنه: لا تحقرن أحداً لخلقك ثيابه فإن ربك ورب واحد. وقال ابن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستهم من علامات الصالحين، وفراغك منهم من علامات المنافقين.

إن الزيارة عمل أشل لا يخدم إلا أعداء القدس، ويؤجج الجدل بين المسلمين حول إشكالية التطبيع وصوره، ففي حين يرى البعض أن الزيارة بعيدة كل البعد عن أي أشكال من الاعتراف بالكيان الصهيوني، ترى الجموع الغفيرة من العلماء والجماهير أنها مواقف نحن في غنى عنها، وتميع أولى أن نحسمه بدخول القدس فاتحين محررين، لا زائرين عاجزين.

بسم الله الرحمن الرحيم

رحيل شنودة والصخب الإعلامي المشبوه

رحل «البابا شنودة» عن عالمنا في صمت، لكن الإعلام المصري اندفع بصورة محمومة في تضخيم الحدث بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ مصر، فلقد أعلنت بعض القنوات الحداد، وأخرى تبرعت بتغطية تفاصيل الحدث على مدار الثلاث أيام، وتعددت البرامج الحوارية والتحليلية، حتى بلغ العجب بالمصريين مبلغه، حيث لم يحدث هذا مع شخصيات أكثر منه بروزا في المجتمع المصري، كالشيخ الشعراوي أو الدكتور مصطفى محمود صاحب البرنامج التلفزيوني «العلم والإيمان» الشهير، أو حتى أي من شيوخ الأزهر السابقين.

هذا وإن كان البابا قد قدم للطائفة المسيحية الأرثوذكسية خدمات جليلة إلا أن هذه الطائفة لا تمثل إلا أقلية (٥-٧ مليون) في عموم الشعب المصري المسلم الذي يقترب تعدادده من ٩٠ مليون نسمة، وكانت التغطية الإعلامية لوفاة البابا مبالغ فيها جدا جدا لدرجة أنها أثارت الكثير من التساؤلات حول سر هذا التسابق الإعلامي الجامح في مجاملة نصارى مصر.

فهل لرجال الأعمال المسيحيين المصريين دورا بارزا في تمويل هذه الفضائيات؟ أم أن هذه الفضائيات تخدم أجندات علمانية خاصة في مواجهة المشروع الإسلامي الكاسح للمشهد الشعبي والسياسي في مصر؟ أم أن البابا حقا كان يتمتع بتاريخ نضالي فريد كان من الواجب المهني الإعلامي تقديره؟

يُحسب لشنودة اعتراضه على اتفاقية السلام مع إسرائيل، منذ اليوم الأول من توقيعها، ورفضه الذهاب مع الرئيس "السادات" في زيارته إلى إسرائيل عام ١٩٧٧م، ومعارضته لضم القدس، ومنعه للمسيحيين طيلة عهده من زيارتها احتجاجًا على سيطرة إسرائيل عليها، ورفضه أكثر من عرض إسرائيلي لزيارة مدينة القدس، وتأكيد أنه لن يدخلها إلا بمصاحبة أئمة المسلمين، ولن يحصل إلا على تأشيرة فلسطينية للدخول، إشارة منه بتحريرها من الاحتلال الإسرائيلي قبل زيارتها.

كما يُحسب له أيضاً رفضه استقبال لجنة الاضطهاد الديني التي أرسلها الكونجرس الأمريكي عام ١٩٩٧م للتقصي عن أوضاع الأقباط في مصر، وأكد أن حل مشاكل أقباط مصر يتم داخل مصر وليس في الكونجرس الأمريكي.

لكن -على الجانب الآخر- لا يخفى على أحد الدور السياسي الذي لعبه البابا شنودة الثالث على مدى عقود ولاسيما خلال العقدين الأخيرين، حيث تجاوز دوره الديني وتحول مع الوقت إلى زعيم سياسي للأقباط، مستغلا تراجع قبضة الدولة وضعف النظام السياسي وشيخوخته في السنوات الأخيرة لحكم "مبارك"، الأمر الذي حوّل الكنيسة إلى دولة داخل الدولة، وعزل الأقباط داخل جدران الكنيسة بدلا من انخراطهم في الحياة السياسية باعتبارهم مواطنين مصريين وليس باعتبارهم أقباطا.. لقد كانت إحدى المعضلات في مسيرة شنودة أنه جعل الأقباط في مصر لا يتعاملون باعتبارهم مواطنين مصريين لكنهم يتعاملون باعتبارهم أبناء للكنيسة يتبعونها فكراً وثقافياً وأيدلوجياً بما يزيد من تفوقهم داخل شرنقة يعيشون فيها طوال حياتهم.

ففي عهد شنودة خرجت الكنيسة عن دورها الأصلي في الرعاية الروحية إلى دور سياسي منح دعماً قوياً غير مشروط لنظام "مبارك" الدكتاتوري، وفي المقابل منح نظام "مبارك" للكنيسة صلاحيات واسعة وصفات عديدة رابحة، وهذا جعل البابا يرفض ابتداء مشاركة الأقباط في احتجاجات ثورة ٢٥ يناير التي أسقطت الطاغية "مبارك"، ثم عاد وأعطى بعدها مباركته للثورة ومشاركة مسيحيين فيها. بل قيل بأنه صدم صدمة فاجعة لحظة إعلان نبأ تنحي "مبارك" ودخل في نوبة بكاء شديدة حزنا على رحيله.

كما حرص البابا بتقوية شعبيته في أوساط أقباط المهجر، وتشعبت في عهده المؤسسة الكنسية لتمتد إلى أمريكا الجنوبية، مروراً بأمريكا الشمالية وأوروبا، وانتهاءً بأفريقيا. وعمل علاقات بالمؤسسات الخارجية لترويج القضية القبطية «اضطهاد الأقباط في مصر» لتكون فيما بعد أوراق ضغط على النظام المصري، واستكمل ذلك بإعلان تأييده لمرشح الحزب الوطني الحاكم للانتخابات الرئاسية المقبلة في مصر، سواء مبارك أو نجله جمال، «لكي يملك بكلتا يديه العصا والجزرة» على حد وصف أحد المحللين.

ولذلك نجح البابا في كسب الكثير من الجولات السياسية بمجرد التلويح برفع راية العصيان ضد نظام المخلوع "مبارك"، وظهر ذلك جليا في أزمة احتجاز كاميليا شحاتة ووفاء قسطنطين بأحد الأديرة بعد إسلامهما، وأزمة الكشح، وأزمة دير المحرق (الخاصة بنزاع على أرض مجاورة للدير).

بل نستطيع أن نقول أن أداء قيادات الكنيسة القبطية في عهد (مبارك) خرج عن دوره الديني وصار تابعا لدولة «الكراسة المرقسية» التي ترفض تدخل الدولة حتى في قضايا تحمل شبهة جنائية، كما حدث في واقعة وفاة الراهبة (أغابي يوحنا الحبيب) حرقا بدير "مار يوحنا" بمدينة السويس في أكتوبر ٢٠٠٧م، وتقدم أهلها ببلاغا للبابا شنودة يطالبونه بالتحقيق الرسمي في وفاتها لشكهم أنها توفيت «مقتولة»، مؤكدين أن الحريق الذي أصابها كان متعمداً نتيجة لاضطهادها من قبل الأسقف رئيس الدير "الأنبا بطرس"، وبعض المكrsات والراهبات.

لكن البابا، بعدما تسلم من الدكتور "شريف وديع"، أستاذ طب الحالات الحرجة والعناية المركزة بكلية الطب بجامعة عين شمس، نسخة من جميع التقارير الطبية الخاصة بحالة المتوفاة، أمر بإغلاق الموضوع نهائياً وللأبد، دون أدنى تدخل من الدولة وأجهزتها الأمنية، ودون تطبيق مبدأ سيادة القانون على الجميع بدون استثناء.

ونقلا عن موقع ويكيليكس كشفت برقيتان من السفارة الأمريكية في القاهرة عن لقاء قام به شنودة مع مسئولين أمريكيين، وصف في إحداها الرئيس المصري مبارك بأنه معتدل ولا يمثل تهديدا للمسيحيين المصريين، في حين رأى شنودة أن مفتي الجمهورية الشيخ "على جمعة" شخص متطرف، كما نعت جماعة الإخوان المسلمين بالتطرف أيضا، ولعل هذا ما يؤكد الفرضية القائلة بتدخل البابا لدى السلطة السياسية في عهد مبارك للحيلولة دون تولي المفتي منصب «شيخ الأزهر» بعد رحيل الشيخ طنطاوي، رغم أن العادة درجت على تصعيد المفتي لهذا المنصب البارز، وهو ما يؤكد مدى سطوة سلطة البابا في عهد النظام البائد.

كل هذا النشاط الباباوي الغير مسبوق من أجل محاولة خلق وضع متميز لأقباط مصر يجعلهم فئة لها امتيازات بالغة في الساحة المصرية، ويجعل مطالبهم توازي

الأغلبية، وفي هذا الإطار فإن معركة تعداد الأقباط هي المعركة الأولى التي يهدف منها للوصول لنسبة تؤدي لحصة سياسية مناسبة للأقباط.

ومن أشهر المواقف التي عكست تحدي البابا سلطة الدولة كانت عندما حكمت المحكمة الإدارية العليا يوم ٢٩ - ٥ - ٢٠١٠ بالتصريح للأقباط المطلقين بالزواج مرة أخرى، تأييداً لحكم القضاء الإداري الصادر لأحد الأقباط ويدعي "هاني وصفي" بالسماح له بالزواج مرة أخرى، والموافقة على الطلب الذي تقدم به للكنيسة في هذا الشأن، ورفضت طعن البابا على هذا الحكم. وقالت المحكمة في أسباب حكمها: «إن الحق في تكوين الأسرة حق دستوري، يعلو فوق كل الاعتبارات، وإن المحكمة إذ تحترم المشاعر الدينية غير أنها تحكم وفقاً لما قرره القانون، وإن القاضي لا مفر أمامه إلا تنفيذ ما نص عليه القانون وقواعده».

لكن بمجرد صدور الحكم، أعلن البابا شنودة في عظة الأربعاء الأسبوعية التي تلتته أنه "لا توجد قوة على وجه الأرض قادرة تجبرني علي تنفيذ الحكم، وعلى الدولة أن تراجع نفسها في هذا الحكم" واعتبر الحكم «مخالفاً للإنجيل»، بالرغم من أن القضاء مستقر على الفصل في الأحوال الشخصية لغير المسلمين، وفق لائحة ١٩٣٨م التي قدمها المجلس الملي ووافقت عليها الكنيسة آنذاك، حتى جاء البابا لكرسي البطريركية ليعلن أنها لا تلزمه.

وفي يوم ٢٠١٠/٦/٧ قررت المحكمة الدستورية العليا وقف حكم الإدارية العليا السابق مؤقتاً لحين الفصل في موضوع دعوى التنازع، وهو ما اعتبره البابا «عدالة السماء» كما عبر في عظة الأربعاء وقدم الشكر للسلطات وقتها.

إن البابا وإن قدم خدمات جليلة لأبناء طائفته كما يحلو أن يقرره البعض، إلا أنه على الجانب الآخر لا يمثل للجموع الشعبية المصرية هذا الثقل الذي بالغ الإعلام في الدندنة حوله في سابقة فريدة وعجيبة في ذات الوقت، بل إن أنات المضطهدات من أمثال وفاء قسطنطين وكاميليا شحاته وغيرهن تلاحقه، أما الصفقات الرخيصة التي عقدها مع النظام الدكتاتوري السابق وأقباط المهجر فتظل وصمة عار في مسيرة البابا

في نظر جموع المصريين، وهذا مما أثار عجب القاعدة الشعبية المصرية من هذه الضجة الإعلامية المشبوهة حول وفاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم المصرية ومسيرة الفشل

مضت قرابة سنتان على ثورة ٢٥ يناير ولم تتمخض الأحوال الإيجابية سوى عن ترشيح رئيس منتخب شعبيا في انتخابات حرة ونزيهة لم تعرفها مصر طيلة عمرها .. رئيس يتحمل ثقل تنوء به الجبال، وتشدو جناجر كل أبناء الشعب المخلصين بأعذب الأدعية أن يوفق الله تعالى رئيسهم لما فيه صلاح الأمور كلها وتغير الحال المريع. لكن وللأسف الحال المريع لا يتغير، لأن جهد رجل مهما كانت قدراته لا يمكن أن يعالج كم من المشاكل المزمنة تفوق العد والحصر، خاصة وأن الوزارة التي تولت زمام الأمر أقل ما توصف به أنها وزارة عقيمة، يعيش وزرائها بفكر عتيق ينصب على حكومة الفرد الواحد، لذلك فهم لا يتحركون إلا كالدمى عندما يطلب منهم التحرك من قبل رؤوسهم.

لا برامج ولا سياسات جديدة ممنهجة، ولا همة جديدة تقضي على البيروقراطية وتسهل مصالح الناس، وأصحاب المعالي محتجبون عن مشاكل الجماهير الحياتية في مكاتبهم المكيفة، وغارقون في خضم منظومة قوانين عقيمة لا يجرؤ أحد منهم على تغيير أي منها، والمحصلة أن الوزير صار كسلف العهد البائد ممسكا بقلمه الأحمر وغارقا في سلسلة توقيعات على أوراق لا طائل منها، وباقي وقته في أتون اجتماعات فارغة من مضمون حقيقي يستشعره المواطن الغلبان.

ولا أدل على هذا الفشل الإداري من واقعة الحديث النبوي المحرف الذي وجد في كتاب التربية الوطنية للصف الثالث الثانوي، صفحة ٦٤، ونصه «من بدل دينه فاحترموه»، تهكما وسخرية وتحريفا للحديث الشريف «من بدل دينه فاقتلوه» .. ودلالة الفشل هنا خروج المتحدث الرسمي لوزارة التربية والتعليم ليعلن أن هذا الكتاب تم وضعه وطباعته قبل ثلاثة أشهر، أي قبل تولي الوزير الحالي منصبه، وبالتالي فمعالي الوزير برئ من هذه الحادثة براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وأن معاليه أمر بسحب الكتاب من المدارس!! .. هكذا بكل سذاجة أو بلاهة يعلن رأس الوزارة أنه ليس أنا

المجرم .. المهم أن سيادته برئ، مع تجاهل تام للفاعل ولقصده ولخططه، فمعالي الوزير غض الطرف عن الطابور الخامس في وزارته، وعن عصابة المستشارين وخبراء المناهج المنتشرين في ديوان الوزارة فسادا وتخريبا.

نفس الفشل تجرعت غصصه هذه الأيام عندما شرعت في نقل ابني من مدرسته لأخرى لدواعي تغير السكن .. كانت أول مرة أدخل فيها مدرسة ابني الإعدادية، فوجدتها خاوية على عروشها من التلاميذ إلا النذر اليسير، ويتراكم في مكاتب المدرسة كم من الإداريين والمدرسين أقل ما يوصفون به أنهم أول الراسيين في امتحان للهيئة إذا تقدموا للعمل بأحد المدارس الخاصة.

نفس البيروقراطية بل أشد، لا بد من موافقة إدارة شرق وإدارة غرب معا، وتركت عملي الحكومي للجري في مكاتب الإدارات التعليمية، والقصة كلها أختام فارغة وتوقعات مملة لا طائل ورائها، فليس هناك أساسا قاعدة بيانات بكل إدارة لكي تحول دون تكدس الطلاب في أي جهة، بل هي أختام مجردة وسيل من التوقعات، ثم يأتي دور ابتزاز المدرسة الجديدة حيث اشترطت مديرة المدرسة لقبول ابني إحضار مكانس ومساحات وزجاجات فنيك لنظافة المدرسة، وبالفعل أحضرت المطلوب لشراء نفسي ووقتي من رق العبودية الإدارية، لكن الأمر تعسر مرة أخرى، لأنه يجب إحضار درجات ابني بالصف الأول والثاني الإعدادي علما بأنه في الصف الثالث ومعني شهادة مختومة من مدرسته القديمة بدرجات نجاحه في الصف الثاني، لكن كل هذا لا جدوى منه.

ثار غضبي وتوجهت لمدير المنطقة التعليمية، فرأيت وجها آخر لصورة الفشل في وزارة التعليم، فالغرفة المؤدية لمكتب سيادته مزدحمة بالمواطنين أصحاب شكاوى وتظلمات، لأن سيادته هو كل شيء في الإدارة، ولا أحد من أرتال الموظفين بيت في أمر دون مراجعته، فحكومة الفرد الواحد هي كما هي لم يتغير منها شيء.

وبواسطة أحد المعارف دخلت من باب آخر على سيادة مدير الإدارة التعليمية فوجدته سيدة أنيقة وضيئة هادئة تماما، والجماهير في الغرفة المجاورة تغلي .. عرضت عليها المشكلة فلم تحرك ساكنا وأصرت على ترسيخ الروتين.

في اليوم التالي تركت عملي الحكومي وتوجهت للإدارة التعليمية من أجل استخراج درجات ابني بالصف الأول والثاني الإعدادي، فطلبوا مني حوالتان بقيمة ٤٢ جنيهًا، فأيقنت أن نظام مبارك القائم على ابتزاز المواطنين مازال مترسخًا.

ثم هاهي ابنتي تلتحق بالجامعة بعد استنزاف سنتين في الثانوية العامة، لكن في الجامعة ابتزاز من نوع آخر، فكتاب الدكتور لا يساوي عشرة جنيهات يبيعه للطلاب بمائة جنيهًا على مرأى ومسمع من الجميع بما فيهم رئيس الجامعة ووزير التعليم العالي.

والكتاب الجامعي أقل ما يوصف به أنه لبنه في قلعة الفشل التعليمي المصري، ولو عرض بالأسواق لا يساوي قيمة الورق الذي كتب فيه، لكنه سيف مسلط على رقاب الطلاب .. ولقد عاصرت عند أحد الناشرين طابور من الأساتذة الجامعيين يعرضوا عليه طباعه كتبهم مقابل ثلاثة آلاف جنيهًا يدفعها سيادة الدكتور للناشر وليس العكس، هذا لمجرد أن يكون لجناب الدكتور كتاب متداول بالأسواق.

أما عن مبنى جامعة طنطا الفندقية فحدث ولا حرج .. تحفة معمارية زجاجية يقبع فيها عصابة تعليمية تشرف على تخريج عاطلين عن العمل، وليس لهم أي مهارات علمية ولا عملية يواجهون بها مصاعب الحياة. لو تم تحويله إلى متحف لأدخل لخزينة الدولة الفارغة ملايين الدولارات من العملة الصعبة ولكن اللصوص لا يرضون بترك بقرتهم التي تدر لهم ذهبًا لا لبنًا.

إنها مصر الفشل، ووزارات الخيبة والندامة، لكن هم لا يعلمون ما في الغد الأليم، فالجوع فتك ببطون الناس، وأنيابهم قد استطالت، وإراداتهم قد تحررت، وثورة الجياع على الأبواب، ستلتهم أكبادهم وتلوك أيديهم بدمائهم، وحينها لا ينفع ندم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدينتي الجميلة

المدن في بلادنا العربية لا تنعم بالجمال والأناقة، ولا تلبس أبهى حلتها إلا عند زيارة مسئول رفيع المستوى .. أنا شخصيا أسكن مدينة كبيرة وعريقة، ومن الصغر ما كنت أرى آلات الرصف أو وسائل تنظيف وتزيين المدن تجوب شوارع مدينتنا إلا وأعرف أن الرئيس السادات سيمر في طريقة لبلده «ميت أبو الكوم»، ثم لما مات السادات انعدمت هذه المشاهد تماما، وأصبح موضوع العناية بمدينتي يسير خبط عشواء، وفي أحوال نادرة وبصورة محدودة للغاية وليست بالشمولية والإتقان الذي كنا نعهده أيام مرور الرئيس السادات.

وفي هذه الأيام ستشرف مدينتي المسكينة بزيارة مسئول رفيع المستوى، وعادت القصة السخيفة لتكرر من جديد بعدما طمسها غبار الماضي .. فهمم القائمين على الأمر في أعلى نشاطها، والزينات في كل مكان، وحفر الطرق ليس لها وجود، حتى أنني أسير بالشوارع وأستغرب، معقولة! طرق بدون حفر!، ولا أستطيع أن أصف لكم يا سادة مدى نظافة الشوارع، وكأنه لم يبق لهم إلا أن يلحسوا الأسفلت بألسنتهم، أما مواقع القمامة والعشوائيات التي على جوانب الطريق والتي يصعب التخلص منها وضعت حولها الزينات والفرشات لكي لا يراها الضيف الكبير على حالتها فيتعكر مزاجه السامي.

ولقد كان أغلى أمنيات أهالي بلدتي تلك الأمنية الساذجة بأن يزورنا -ولو مرة كل عام- مسئول كبير لتنهض المدينة من كبوتها القذرة، وتنعم بالتجديد أو التصليح على الأقل.

وفي الواقع أنا لي رأي شخصي في هذا الموضوع، فالمسألة ليست كما يتصورها السذج .. زيارة معها مراسم التفتيش والمراقبة والمتابعة والوقوف على المشاكل لحلها .. أبدا أبدا، وهيئات هيئات.

فالحمد لله منطقتنا العربية تنعم بباقة من خيرة رجال المخابرات الذين لا تجد لهم
مثيل في كافة أرجاء الدنيا، والإهمال والتسيب معروف لدى الكبار والصغار في أجهزة
الدولة، ولا يحتاج لزيارات تفتيشية أو رقابية أو حتى استكشافية.

الأمر ببساطة يا سادة أن كل هذا النشاط والحماس في تجميل المدينة المزورة
ليس إلا نوعاً من التكريم والحفاوة بالضيف الكبير، ونوعاً من المداينة والنفاق لعالي
القدر، فكيف سيخرج علينا بطلعته البهية ولا تعلق له الزينات والأضواء في كل مكان،
وكيف لا ترش الأرض له بالرمال حسب التعبير الدراج عندنا، بل وتفرش له البسط
الحمراء والصفراء وجميع الألوان

إذن مسألة التفتيش ليست واردة في الحسبان، ومسألة كرامة المواطن وحقه في
أن يعيش في مدينة نظيفة قضية غير مطروحة بتاتا في الأذهان.

المسألة أن عالي القدر سيغضب إن لم نكرم نزله بكافة وسائل النفاق القولي
والعملي .. فلا بد أن يظهر الكل بصورة قشبية، ويلهج الجميع بذكره، ويقف الكل
على ساق لتحيته والتصفيق لموكبه.

المسألة يا سادة نوعاً من إرضاء غروره، واحترام كبرياؤه، وتبجيل ذاته، وخلق جو
التقديس الذي هو متعود عليه في مقر حكمه.

ولو فشلت كافة أجهزة المدينة في خلق هذا الجو الكبريائي الغريب، ربما خرج
الكبير عن شعوره، وصب جامات الغضب على كل مسئول لم يحسن استقباله على
هذه الطريقة الدكتاتورية التي تعود عليها.

وساعتها لن يجد إلا الإقصاء .. هذا لو تداركته رحمت الكبير، أما في الغالب
فالتهم جاهزة، والقضاء على السمع والطاعة، والسجن فاغر فاه لأمثال هؤلاء
المقصرين، الذين لا يعرفون كيف تنزلون الناس منازلهم، ولا يحتفون بعالي القدر مهيب
الركن.

مرحبا بالضيف الكبير .. ولا عزاء للمواطن المسكين.

بسم الله الرحمن الرحيم

أهكذا تحكم الأمم؟!!

سوريا تنتفض، وبشار أيضا ينتفض، والمحصلة مشاهد مروعة .. سحب دخان أسود تتصاعد من المدن السورية الجريحة جراء قذائف المدفعية الثقيلة، تلك المدفعية المخصصة للحصون العتيقة والمدرعات الحصينة، وليس لذوي الصدور العارية المؤلفة من لحم ودم.

طاغية سوريا يقدم كل يوم -قربانا لكرسي الحكم- قرابة المائة قتيل بجميع صنوفهم من أطفال أبرياء ونساء ضعيفات ورجال لا يحملون أي سلاح سوى هتافات «أرحل أرحل يا بشار»، وعدد القتلى تجاوز سبعة آلاف حسب التقديرات التخمينية، وإن بدا المشهد أكثر بكثير من هذه الأرقام، أما الجرحى فلا يعلم عددهم إلا الله تعالى، والعدد مرشح للازدياد، ويقترب من كسر حاجز الألف بوتيرة متسارعة، لكنه عموما يتضخم بصورة بشعة، ويقترب من ضحايا العدوان الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة في عملية الرصاص المسكوب.

نعم المشهد متشابه، وفعل بشار نفس فعل العدو الصهيوني بإخواننا في فلسطين، مع فارق ربما يكون بسيطا في عرف بشار، ألا وهو رباط الدين والملة الإسلامية الواحدة التي تجمع بين الذابح والذبيحة!!

والإيرانيون بقيادة خامنئي المرشد الأعلى للثورة الإسلامية!! هذا الإمام الناسك الذي يظهر دائما في هيئة الزاهدين، وصاحب المواعظ والترانيم .. كل هذا لم يشفع للأبرياء لديه وزن خردلة، ولم يزعزع الدعم الإيراني لبشار قيد أنملة، بل كانت لغة المصالح السياسية أفصح من لغة الدم، ورابطة الولاء النفعي أقوى من كل روابط الدين، فأرسلت إيران سفيتين بحريتين إلى سورية رست على الموانئ السورية، وأفرغت حمولتها المجهولة والمعلومة في ذات الوقت للجميع، فبالطبع لم تكن معونات غذائية أو طبية لآلاف من الجرحى والمنكوبين، ولم تكن زهور النصر المبين، بل -بواقع الأمر- المزيد من الذخائر والأسلحة الفتاكة لبشار حليف العباءة الشيعية.

وجه الشبه كبير بين بشار والعدو الصهيوني، فكلاهما لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ويستخدمون سياسة الأرض المحروقة .. الصهاينة من أجل وجودهم، وبشار من أجل كرسيه، وكلاهما يستأسد على شعب أعزل، ففي حرب تموز بين حزب الله والصهاينة كشفت المعارك الشرسة عن وهن القدرة القتالية الصهيونية، وأنهم كما وصفهم القرآن لا يقاتلوننا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر، أما بشار فلقد صدأت آليات جيشه طيلة فترة حكمه وحكم أبيه من قلة الاستخدام، رغم أن الجولان المحتل يجار بالاستغاثة، ويستنجد بالمحررين، ولم تخرج الجيوش السورية المغاورة من ثكناتها إلا لقتال فلذات أكبادها، بوحشية الحاقد الكاره الخسيس.

الآن بان للعيان لمن توجه دانات المدافع وراجمات الصواريخ، والهدف من الميزانيات الجبارة لشراء السلاح وتدعيم الجيوش العربية، ولماذا الملف الأمني هو رأس الأولويات في سياسة الحكومات العربية، وما بعده يهون .. إنها الجيوش العربية القمعية لا التحريرية، المعنية بحراسة كراسي الحكم لا حراسة الحدود والسهر على سيادة الأمة وعزتها.

صفقات سلاح فلكية، وسباق استحواذ على أرتال من الآليات والطائرات وسائر المعدات الحربية، وكأننا في الصباح القريب سنغير على الصهاينة ونحرر القدس السليب، أما رواتب العسكر فحسابها مفتوح، فضلا على حرص الزعماء العرب على تدشين احتفالية سنوية كبيرة عند تخريج دفعة من الضباط، يحضرونها بأنفسهم ولا ينوب عنهم ولي عهد ولا نائب رئيس .. تزلفا وتحايلا لضمان الولاء، والضرب دون تردد في أي فرد بالأمر المباشر.

الدولة البوليسية العربية تفوقت بامتياز في عهد الفشل العربي في كافة القطاعات السياسية والاقتصادية والإنتاجية والتعليمية .. وأجهزة المخابرات العربية تضارع مثيلاتها الأوروبية، أما الوزراء العرب فلم يتفقوا أو يتحدوا يوما كما اتحد وزراء الداخلية العربية، حيث التقت قلوبهم على الكيد لشعوبهم، وتناولوا كافة المعلومات الأمنية بكل مصداقية وشفافية.

الآن فهمنا لمن العروض العسكرية ووزارات الداخلية والجيش العسكرية، فهمنا
من يكيد لنا غير أعدائنا، أو بوضوح أكثر من هم أعداء الداخل المواليون لأعداء
الخارج .. إنهم تلك الشرذمة التي أصابها لعنة كرسي الحكم، فأصبحت لا ترى في
الوجود غيره، تعيش له فقط، والكل يهون في سبيله، والشعوب المغلوب على أمرها،
تهتف بقلوب خائفة: «عاشت أمتنا العربية حرة مستقلة».

يقول الشاعر:

قلت لكم مرارا
إن الطواير التي تمر في استعراض عيد الفطر والجلاء
فتهتف النساء في النوافذ انبهارا
لا تصنع انتصارا
إن المدافع التي تصطف على الحدود في الصحارى
لا تطلق النيران إلا حين تستدير للوراء.
إن الرصاصة التي ندفع فيها.. ثمن الكسرة والدواء
لا تقتل الأعداء
لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا
تقتلنا، وتقتل الصغار!

د/ خالد سعد النجار

alnaggar66@hotmail.com

٠٠٢٠١٢٢٩٥٩٦٦٥٨

مصر